

أَبُو تَسَامُرٍ

شَاعِرُ الْخَلِيفَةِ مُحَمَّدِ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ

دراسة تحليلية

تأليف
عِيسَى فَرْوَحَ

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي



بيروت

١٣٨٤ هـ

١٩٦٤ م

أبوتسَامر



شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله

دراسة تحليلية

تأليف
عسّ فروع

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

بيروت

١٣٨٤ هـ

١٩٦٤ م

٦٤/٥/٣٠٠٠/١



جميع الحقوق محفوظة

المحرّم ١٣٨٤
أيار (مايو) ١٩٦٤



سه عومه في البرهه معرب
من الارص او سوما الى كل معرب

سحي في حلق الحادب مسرى
كأن له صعا على كل مسرى

فهرست الكتاب

- ادب : أو الانتاج الوجداني الجيد ٢٠-٩
- بو تمام في دمشق - ٢١-
- جاسم - في جاسم - مولده - في حمص للمرة الاولى - الرحيل الى مصر - أبو تمام في المسجد - الرجوع الى الشام فالعراق - في خراسان - في العراق وبلاد الروم - وفاته - صفاته وأخلاقه - آله ٣٦-٢١
- بيته أبي تمام ٣٨
- ١ - بيته الخاصة ٣٨
- احتكاكه الاول بالشعراء - مصر بعيدة عن فساد بغداد - ممن استقى أبو تمام علمه - أثر مذهبه فيه - مقامه عند المدوحين - حياته الخاصة - العنصر الشخصي - ٤٦-٣٨
- ٢ - العناصر المساعدة ٤٦
- الثقافة اليونانية - الزندقة والشعبوية - الاحداث والفتوح : العلويون - بآبك الحرمي - فتح عمورية - مازيار - حرق الافشين ٥٢-٤٦
- الخصائص الادبية في شعره ٥٣
- ١ - خصائصه المعنوية ٥٣
- شغفه بالاعراب - قوي الفكر غواص على المعاني - تفاوت شعره - التشبيه والاستعارة - كثرة اختراعه - اعتداده بشعره - مطالعه وتخلصه وخواتيمه - مصادر معانيه - العروبة والاسلام في شعره ٧٦-٥٣

الصناعة في شعره - الجناس والطباق - شعره وأسلوبه -
مذهب أبي تمام - عمود الشعر والمذهب الشامي - تاريخ
المذهب الشامي - موجز خصائص المذهب الشامي - نظمه

٩٧ - ٧٧

- التصريح والتوشيح - التوشيح

٩٨

المتعصبون له والمتعصبون عليه

المتحاملون عليه - أنصاره وخصومه المتأخرون - دفاع

١٠٢ - ٩٨

أبي الفرج - مهاجاته للشعراء

١٠٣

آثاره وأثره

ديوان الحماسة - سائر مجاميعه الشعرية - مقلدو أبي تمام -

١١١ - ١٠٣

ديوانه والشروح عليه

١١٢

فنون أبي تمام وأغراضه

المدائح - ممدوحو أبي تمام - الفخر - الرثاء - رثاء آل

حميد الطوسي - العتاب - الوعيد والهجاء - الوصف -

وصف القلم - الغزل والنسيب - نموذج من غزله -

١٤٤ - ١١٢

الحكمة - الزهد

١٤٥

مختارات من شعره

١٤٥

مديح عبد الله بن طاهر

١٥٣

رثاء محمد بن حميد الطوسي

١٥٧

مديح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري

١٦٦

مديح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي

١٧٣

فتح عمورية

الفهرست الأبجدي لأعلام الاشخاص

الأدب



أو الانتاج الوجداني الجيد

ما الإنتاج الوجداني الجيد ؟

على هذا السؤال يدور علم النقد . وعلم النقد نفسه يقوم على علم البلاغة ؛ والغاية من علم البلاغة أن نبيّن الخصائص الفنيّة في الإنتاج الوجداني من النثر والشعر . وتبيّن هذه الخصائص هو الذي يمكننا من التوقف على حسنات القطعة الأدبية وسيئاتها . وبهذه الحسنات والسيئات المجموعة من القطع الأدبية المفروضة نستطيع أن نميّز بين شيئين :

-- بين القطع التي تستحق أن تُضاف إلى مجموع النتاج الوجداني المروري عن العرب منذ أقدم الأزمنة التي اتصلت بها الرواية ؛ وبين القطع التي لا تبلغ في الجودة ، بحسب المقاييس التي في أيدينا ، إلى أن تدخل في تراثنا الأدبي .

ثم إذا نحن رجعنا البصر في خصائص القطع الأدبية التي حكمنا بأنها من الإنتاج الوجداني الجيد وجعلناها جزءاً من تراثنا الأدبي استطعنا أن نفضّل بعض هذه القطع على بعض .

والواقع أنه ليس في النتاج الأدبي قطع جيّاد وقطع رديئة . إن التراث الأدبي يتألف من قطع جيّاد فقط . وليست القطع الرديئة من الأدب أصلاً . ولكن متى تعدّ القطعة جيّدة ؟ وما أقلّ عددٍ من الخصائص فطلبه حتى تعدّ القطعة المفروضة أدباً ؟

نحن في زمن تكثر التأليف فيه في كل مكان وفي كل فن من فنون المعرفة الإنسانية . والإنتاج الأدبي . في كل مكان . أكثر فيضاً من سائر فنون المعرفة (من مثل الرياضيات والفلك والكيمياء والموسيقى وعلم الآثار) . والسبب في ذلك واضح . هو أن العلوم الرياضية والطبيعية وما يجري مجراها علوم موضوعية ذات قواعد ثابتة مبرهنة ببراهينها . فليس من الممكنة في كل إنسان أن يهجم على التأليف فيها . إن المؤلف في هذه العلوم يعرف من تلقاء نفسه أين يقع الخطأ في ما ألف أو جمع . أما في العلوم الإنسانية (في الأدب والاجتماع والفن الوصفي) فالمقدار على الأحكام النسبية بالإضافة إلى المكان والزمان وإلى ثقافة المؤلف والقارئ . وهذه الأحكام تختلف عادة بين زمان وزمان . وبين مكان ومكان . ثم بين شخص وشخص في المكان الواحد والزمان الواحد . إن المؤلف يستطيع أن يجادل بالألفاظ المركبة والحجج الشخصية عن إنتاجه الرديء في ما يسميه هو أدباً أكثر مما يستطيع أن يدافع عن عمله الرديء في العلوم الرياضية والطبيعية .

• • •

والمألوف في التعريفات أنها مقبولة على أنها « كل » غير خاضع للتجزئة . نحن لا نستطيع أن نقول في الهندسة مثلاً : « إن هذا المربع مستطيل قليلاً » ، ذلك لأن الشكل الرباعي الأضلاع إذا لم يستوف شرط التربيع كاملاً فإنه لا يسمى مربعاً أصلاً . وكذلك نحن لا نسمي الشكل الهندسي دائرة (أو محيطاً للدائرة على الأصح) إلا إذا كان خطاً دائراً متصلًا تبعد جميع النقاط فيه عن نقطة داخلية واحدة مفروضة بُعداً واحداً . فإذا اضطرب هذا الخط أو انشعر في نقطة واحدة بطل أن يكون محيطاً للدائرة وعاد خطاً منحنياً فقط . على أننا في العلوم الإنسانية لا نفضل ذلك عادة . إننا نقبل ، فيما بيننا ، أمثال هذه الجملة : فلان أديب من الطبقة الثانية ؛ فلان سياسي قدير ولكنه قليل الإخلاص ؛ فلان رسّام ولكنه لا يحسن مزج ألوانه ! لقد كان علينا ألا نقبل أديباً من الدرجة الثانية ، وألاً نعترف بسياسي قليل الإخلاص ، وألاً

نقير لرسام لا يحسن مزج الألوان . ولكن بما أن البشر على درجات متفاوتة من الفهم ومن الاختبار ومن الثقيف . فأنهم يقيسون الجودة في الفنون الإنسانية بالاستعداد النسبي الذي في نفوسهم ثم يقبلون من تلك المحاولات الإنسانية ما يزيد في مستوى الجودة عما يستطيعون هم أن يصلوا إلى مثله . فالتسميات التي يخلعها هؤلاء على المحاولين للعلوم الإنسانية (من أمثال : أديب أو شاعر . خطاط أو رسام . مؤرخ أو عالم اجتماعي . سياسي أو اقتصادي) إنما هي تسميات بالنسب والإضافات إلى أنفسهم هم وإلى ما يحسنون من فنون المعرفة وما لا يحسنون . وليست هي تسميات ذاتية في تلك الفنون نفسها .

أما الأحكام الهندسية فإنها مقيسة بقواعد بديهية أو قابلة للبرهان في الأشكال الهندسية نفسها . هذه القواعد جمعت في أيام أقليدس . منذ اثنين وعشرين قرناً ، ولا تزال إلى اليوم لم تبدل ولم يخطر في بال أحد أن يبدلها (فيما يتعلق بالهندسية الإقليدية) . أما الذي تبدل منها فعلا (كجواز التقاء المتوازيين في اللانهاية) فقد بطل أن يكون من هندسة أقليدس ثم أصبح تابعاً لفض قائم بذاته (هو النظرية النسبية) .

• • •

سيقول آخرون من الناس : « انك . يا فلان ، تريد أن تنظر إلى الشعر على أنه ذو قواعد كقواعد الرياضيات والطبيعات ! » يجب أولاً أن نصحح هؤلاء الناس جملتهم التي ساقوا فيها اعتراضهم : إن الذي أريده هو أن يكون للشعر في نطاقه هو قواعد كقواعد الهندسة في نطاق الهندسة ، وكقواعد الكيمياء في نطاق الكيمياء ، وكقواعد النسيج في نطاق صناعة النسيج .

إن الإجابة المقدرّة بأصول ثابتة من العلم هي السبيل للحكم على الإنتاج الوجداني : هذه الإجابة في نظم الشعر هي التي تجعل من صاحب ذلك الإنتاج شاعراً . فإذا لم تتوفر له الإجابة الصحيحة المقيدة بالأصول العلمية فهو بعد ناظم فقط .

نرجع الى حديث النقد الأدبي .

ان القطعة المفروضة في الإنتاج الوجداني تكون من التراث الأدبي :

- ١ - إذا كانت ألفاظها ملائمة لمعانيها المقصودة . سهلة المخارج من أجزاء النغم . عذبة الوقع في الأذن . مألوفة عند جمهور المثقفين .
- ٢ - إذا كانت تراكيبها صحيحة منطبقة على القواعد المقبولة في اللغة المروية من حياة الأمة في انطاق الوجداني والمدى الاجتماعي .
- ٣ - إذا كانت تعالج غرضاً من الأغراض الملازمة لحياة الأمة . ثم كان ذلك الغرض . في زمن إنتاج القطعة الأدبية المفروضة . ملائماً أيضاً لعاطفة صاحب تلك القطعة ومداخلا بجانب من جوانب تفكيره . في هذه الحال يصبح صاحب تلك القطعة . في قطعه تلك . مثلاً لعبقريه قومه ومصوراً لحياتهم في إطار أدبي يؤثر في النفس الإنسانية خاصة وعامة .
- ٤ - إذا كان فيها صناعة فنية من النجوى إلى أوجه البلاغة المختلفة حتى يضيف ذلك عليها عنصراً من الخيال يجسم حقيقتها في الأذهان ويصل بالأثر المطلوب من إنتاجها إلى أفهام الكثرة المطلقة من قوم صاحبها -- على صور حقيقية أو متخيّلة -- وذلك على الرغم من اختلاف درجات الاستعداد الشخصي في أولئك القوم ومن اختلاف درجات التثقيف التي هم عليها . ان الصور البلاغية في القطعة الوجدانية هي التي تدخل تلك القطعة في إطار التراث الأدبي .
- ٥ - إذا كان فيها نفاذ بصيرة : وكانت الآراء التي فيها توافق الواقع وتسائر الاختبار الإنساني في تطوره الخاص (في قوم صاحبها) أو في تطوره العام (في معظم الأقسام) .
- ٦ - أن يكون فيها شعور يسمو على شعور سائر الناس في ناحية واحدة من النواحي على الأقل ؛ حينئذ تستطيع عين صاحبها أن تكتشف في الموضوع المادتي الذي تصنعه ، كما يستطيع فكر صاحبها أن يلمح في الموضوع المجرد الذي يعالجه . ما لا يستطيع غيره أن يكتشفه أو أن يلمحه بنفسه . بهذا ينفرد صاحب القطعة الوجدانية عن كثيرين من أنداده ويصبح خليقاً باسم أديب .

٧ - أن يكون فيها وعي "تصناعة الآلية" فلا ينفرد صاحبها الأصول التي يسير عليها أهل تلك الصناعة . وكذلك يجب أن يكون فيها استواء في العمل الفني فلا يكون فيها تفاوت أو اختلاف في مراتب الجودة ، أو أن يكون فيها اضطراب يخرج بها عن حد الجودة .

٨ - أن يكون صاحبها مسلماً بالفنون المتصلة بفنه المخصوص . إن الشاعر مثلاً « ليس مزخرفاً جملاً بالكلمات » ، ولكنه صاحب صناعة يتناول أغراضها من طريق الحياة ، فعلى الشاعر أن يكون مسلماً بجوانب الأغراض التي يتناولها في شعره . ليس من الضرورة أن يكون الشاعر عاملاً بالفلك والتاريخ ، ولكن عليه إذا تناول غرضاً من التملك أو التاريخ ، أو إذا هو مسّ ذلك الغرض مسلماً ، أن يكون مسلماً بذلك الغرض على الأقل فلا يأتي به على غير وجهه فيفسد الصورة الشعرية التي يريد أن يحملها إلى أذهان الناس أو يُعميها على أفهامهم .

٩ - أن يكون فيها رسالة يشعر الأديب أنه يؤديها على وجه من الوجوه المحمودة ، ذلك لأن لكل عمل - في نطاق عالم الإنسان وفي نطاق عالم الطبيعة الجاهدة أيضاً - غاية تجعل الإنسان يدرك في نفسه على الأقل أنه قد أصبح بعد عمله هذا أفضل مما كان من قبل . والمقاييس التي تقوم هذه الرسالة مأخوذة من حياة المجموع الصغير الذي يعيش فيه الأديب ثم من حياة المجموع الكبير الذي يعيش فيه قوم ذلك الأديب .

١٠ - أن يكون فيها أسلوب خاص هو الأسلوب الذي يتميز به صاحبها في تاريخ التراث الأدبي . إذا كان ناظم الشعر يطبع ما ينظمه على أساليب غيره ثم لا يخرج بعد ذلك بأسلوب خاص به تعرف به أشعاره عند تطبيق أصول النقد . فليس خليقاً أن يقال له شاعر ، لأنه يكون عندئذ صورة لشاعر آخر هو أحق منه بهذا الاسم .

وهنا يعترض النفر الآخرون من الناس مرة ثانية فيقولون :

ولكن . ما مقام العنصر الإنساني والطابع الشخصي في الأدب ؟

وأنا هنا أيضاً أحب أن أصحح الجملة التي سبق فيها الاعتراض الثاني ؛
انهم يتقصّدون أن يقولوا : ما قيمة الاختبار الفردي في الأدب ؟ إن هذا
الاختبار الفردي لا قيمة له أبداً ما لم يندرج في جانب من جوانبه على الأقل في
القاعدة الثالثة من القواعد العشر السابقة .

حينما نقول : « غابة » . فاننا نعني شجراً كثيراً من نوع واحد نباتاً نباتاً
طبيعياً أو نباتاً صناعياً قديماً . فاذا رأينا رجلاً قد زرع في حديقة بيته شجرة أو
عشر شجرات أو أقل من ذلك أو أكثر . فاننا لا نسمي تلك الشجرات
« غابة » !

الرجل الذي نظم قصيدة واحدة لا نسميه شاعراً . والمقطوعة الطويلة التي
يرد فيها بيت جيد أو بيتان جيدان لا نسميها قصيدة . حتى الجُمْلُ التي تأتي
عفواً على أحد أوزان الشعر . فاننا لا نسميها أبيتاً .

وكذلك حينما نخطر لرجل صورة غامضة ثم يعبر عنها تعبيراً غامضاً (إذ
لا يمكن أن يكون التعبير عن الصورة الغامضة إلا تعبيراً غامضاً) أو تعبيراً
بدعي هو أنه يفهمه ، ولكن لا يفهمه أحد سواه ، حتى أولئك الذين رزقوا
حظاً من الفهم والعلم : فاننا لا نستطيع أن نعد هذا التعبير من الأدب بحجة أن
صاحبه قد توهم أنه بتعبيره الغامض عن الصورة الغامضة في ذهنه ينتج أدباً .
ان هذا الكلام يقودنا إلى سؤال واضح :

ما موقف النقد العربي من قسم من الإنتاج الوجداني الحديث الذي يسميه
أصحابه شعراً ؟

يجب أن أبدأ جوابي هنا بملاحظتين :

(أ) في الشعر العربي منذ الجاهلية قوم ادّعوا الشعر ولم يقرّ لهم أحد بذلك
(كما أن نفرأ من الناس ، منذ أيام اليونان الإغريق ، قد ادّعوا أنهم كانوا
علماء في الكيمياء ، وأنهم كانوا قادرين على أن يحولوا المعادن الخسيسة
كالرصاص والنحاس إلى معادن شريفة كالفضة والذهب ، ولكننا نحن لم نُقرّ
لهم بذلك . فلا دعواهم المعرفة بصناعة الكيمياء ولا ورود ذكرهم في كتب

العلم والتاريخ كان مبرراً لأن يجعل منهم علماء كيمائيين . فهولاء الذين يطبعون الكلام على شكل الشعر لن يُسمّوا شعراء كما لم يُسمّ أولئك الذين ادّعوا علم الكيمياء كيمائيين !

(ب) في عالم الطبيعة أمثلة أو نماذج للموجودات ؛ وأعيان الموجودات تتكرر في عالم الطبيعة على تلك الأمثلة لا يفارق كل نوع مثاله المخصوص به في العادة . غير أنه قد يطروّ طارئ على نوع من الموجودات فيُخرج (ذلك الطارئ) من أحد أصول ذلك النوع فرعاً أسمى من أصله . من هذا الجنس العباقرة . وفي أحوال كثيرة يطروّ الطارئ فيُخرج فرعاً أدنى في سلّم التطور الطبيعي من أصله فيكون في العالم أولئك المشوهون . وسواء أكان التشويه ظاهراً أو غير ظاهر — وهو مظهر لقاعدة طبيعية ليس للإنسان يد فيها — فإن آثاره تكون دائماً ظاهرة . هذه الآثار الجديدة والغريبة على كل حال تمثّل أمام عيون الناس ؛ وكلّما كان الإنسان أقرب في التشويه الباطن في نفسه إلى تلك الصورة الشوهاء ، اتسقت تلك الصورة الشوهاء مع نفسه . وإلا فكيف نفسّر عمل الرجل الذي يمر بصورة من ريشة روفائيل أو بتمثال من إزميل ميكالانجيلو فلا يُلقي إلى أحدهما بالآثم هو يدفع ألوفاً ومئات الألوف ثمن قطعة من النسيج عليها خطوط ولطّخات من ألوان متنافرة ليعلقها في مكان من بيته قريب من عينيه . لا ريب في أن النتائج المشوهة في الفن والصناعة وفي النثر والشعر نتيجة لتشويه في نفس صاحبه (وأحب من القارئ أن يحمل كلمة التشويه في هذا الفصل من الكتاب على الدلالة على اختلاف أحد الفروع عن الصورة المخصوصة بأصله لا على المعنى الذي يحمل تجريحاً) .

لما قال مسلم بن الوليد في وصف الخمر :

سُلتُ فسُلتُ ثم سُلتُ سليلها فأتى سليلٌ سليلها مسلولاً ،

قال له زميله وصديقه أبو نواس : « والله ، لو وقفت عارياً في الأسواق

ترجّمُ الناس بالحجارة لكان ذلك أحسن لك من هذا ! »

وكلّ الناس تمر بهم غفلات من التشويه ، كما اتفق لمسلم بن الوليد .

وقد وقع في مثل ذلك أيضاً أحمد شوقي لما قال في ملوك مصر من الفراعنة :
وتاج من فرائده ابن سيني . ومن خرزاته خريفو ومينا !
ولم يفتن إلى أن لفظه « خرزاته » قبيحة . على الرغم من أنها وردت في
الشعر الجاهلي في قول القائل « خرزات مُلك » .
غير أن هذا التشويه اليسير العارض يُوجب النقد على اللفظة والبيت ولا
يوجب الحكم على الشاعر .

ولكننا أحياناً نجد مثل هذا التشويه في بعض الإنتاج الوجداني وكنداً ومُتكاملاً
لا يكاد صاحبه يتخلص منه (من التشويه) ، فحينئذ ننتقل من النقد على
اللفظة والبيت إلى الحكم على الشاعر . ومن الإنصاف أن نقول إن أصحاب هذا
الجنس من القول يحبون أن يعبروا عن آرائهم وعن الصور التي في أذهانهم
رمزاً . إلا أن الرمز نفسه ، وهو الاستعارة البعيدة المتطرفة ، يحسن في الجملة
بعد الجملة أو في البيت بعد البيت ، ثم في القطعة بعد القطعة أو في القصيدة بعد
القصيدة . وأما أن تكون القصيدة مرصوفة بالرمز (أو الاستعارات البعيدة
المتطرفة) فأمر خارج عن سنة العرب وعن منهاج العقل جملة . وأحب أن
أذكر هنا أن كلمة « مشوه » ليست اختراعاً لي . ولكنهم في اللغة الألمانية
يطلقون على طريقة الرسم التي تخالف السنة المألوفة في الرسم (التي لا تحاول
النقل عن الطبيعة ولا تحسن الطبيعة ، بل تكتفي بأن يلقي الراسم على النسيج
الصورة كما تراءى له في خياله الموج) اسم « الفن المشوه » Entartete
Kunst ، ويذكرون (أو كانوا يذكرون في أيام الحكم النازي) أن هذه
الطريقة من صنع اليهود حتى يشوه اليهود أذواق الشعوب في الفن كما شوهوها
في السياسة والاقتصاد .

كنت مرة في المكتبة فوقفت أمام قسم الدواوين ثم تناولت منها بضعة دواوين
تسمى حديثة وقلبت صفحات بعضها تقليباً يسيراً ، من غير أن أقصد التقصي
والتفتيش ، وأكتفي من كل ما قرأت بالكلام التالي (ولا أحسبه أكثر الأقوال
تطرفاً واعوجاجاً) :

نبأ عن شعة أمرعت
في الثنايا نبأ نضر
نبأ عن ميسة الأرض في
سوفها والله يفتكر .

• • •

لا ضرورة إلى ذكر صاحب هذا الكلام لأن المقصود هنا « ما قيل » لا
« من قال » . قد أُعْمِلُ أنا فكري ، أو تعمل أنت فكرك ، في استجلاء
المعنى الذي قصده صاحب هذا الكلام ثم نصل إلى ما قصد أو إلى قريب مما
قصد . ولكن من احترام العقل أن نوفره لمهام غير هذا الكد في ما لا طائل
تحتة ولا جدوى منه ولا فائدة فيه ولا معول عليه ولا نفع معه ثم لا سبيل إليه .

• • •

ونخص الآن أبا تمام بكلمة ، ما دامت هذه الملاحظات ستكون مقدمة في
دراسة حياته ولشعره .

أبو تمام شاعر على المذهب الشامي مغرم بالتصنيع (تكلف أوجه البلاغة)
وقل أن أخلى بيتاً (تركه بلا وجه من أوجه البلاغة) ، ثم هو كان يغوص على
المعنى البعيد ويسوقه أحياناً في اللفظ العسير ثم يُثقله بالتكلف اللفظي . غير أن أبا
تمام كان جاداً في ما يفعل . وهو لم ينفارق في ذلك مألوف العرب . وكثيراً ما
كنت أنا أستغرب اللفظة في شعره فأرجع إلى القاموس فأرى أنه قد استعمل
تلك اللفظة في المعنى الذي هو لها في وضعها اللغوي في أيامه أو قبل أيامه . ومع
ذلك فإن النقاد قد حملوا عليه من أجل هذا التطرف القليل احتمالات كثيرة
وتحاملوا عليه ثم حملوا عليه من اللوم فوق ما يحتمله ذنبه في ذلك . وبعد فإن
لأبي تمام كثيراً مألوفاً أحسن فيه إلى جانب ذلك القليل المتطرف الذي أساء فيه .
من أجل هذا لا نرى المسلك إلى ديوان أبي تمام أيضاً سهلاً ، ولا النظر فيه
هيناً . اننا نحتاج في تفهّم شعر أبي تمام عادة إلى دورة عقلية لا تستقر على معنى

من معاني أبي تمام الخاصة قبل أن تستعرض ما تستوعبه من اللغة والاجتماع
والفلسفة والأدب . ثم لا يفني ذلك بما تريد فترجع أدراجك لتستأنف النظر في
الاستنباط والتخريج : فاذا أنت فعلت ذلك كله كنت أمام شعر أبي تمام
حبيب بن أوس كما قال ابن الرومي في وحيد المغنية :

فَهَيَّ العِيشُ ما يزال متى استعُ رَضَ يُملي غرائباً وَيزيد !
ويلاحظ القارئ أنني قد تبسّطت في شرح الأبيات ، سواء منها تلك التي
هي من باب الاستشهاد في أثناء الدراسة وتلك التي أُجمعت في المختارات .
وذلك ، فيما رأيت ، لسببين :

السبب الأول : ان هذا الكتاب سيقع بين أيدي كثيرة ، كما هي الحال في
شأن كل كتاب . فاذا كان الأدباء والمعتنون باللغة والأدب سيجدون فيه عدداً
من الشروح هم في غنى عنها ، فان هذه الشروح ستكون مفيدة جداً للناشئين
في الأدب وللذين هم على عتبة الدراسة فيه .

السبب الثاني : ان شعر أبي تمام في ذاته يحتاج إلى عدد من الشروح :
الكلمات التي تحتاج إلى الشروح في شعر أبي تمام كثيرة ، والتراكيب والمدارك
وأوجه البلاغة والاشارات التاريخية كلّ هذه تحتاج في ديوان أبي تمام إلى
شروح وتحتاج أحياناً إلى تبسّط في الشرح .

ومع أن الأبيات المستشهد بها في ثنايا الدراسة ، مع اعتبار المكرر منها أو
التي ليست لأبي تمام أيضاً ، لا تنقص عن ثلاثمائة بيت ، فإني قد ألحقت بهذه
الدراسة خمس قصائد تامة تقرب أبياتها من مائتين وخمسين بيتاً .

ولقد حرصت على أن تكون هذه القصائد المختارة تامة لأنها في الدرجة
الأولى قصائد لأبي تمام مشهورة جداً ، إن لم تكن أشهر قصائد أبي تمام كلها .
ثم ان أبا تمام يتصرف في أثناء القصيدة تصرفاً مختلفاً : فلا يستطيع الدارس أن
يستجلي خصائصه تامة في القصيدة إلا إذا كانت تلك القصيدة أمامه تامة . لقد
كان من الضروري ، على هذا الأساس ، أن يكون أمامنا ديوان أبي تمام كاملاً
(كما يحسن أن نفعل ذلك في دراسة كل شاعر آخر) ، ولكن لا بد في كلّ

دراسة من الاختيار والتخير ، ثم ان القارئ يستطيع ، إذا أراد ذلك أو إذا احتاج إليه ، أن يرجع بنفسه إلى الديوان فيبلغ ما شاء من أمنيته .

وبعد ، ان شعر أبي تمام في الحقيقة مُتعة للعقول المثقفة بمعانيه وبصناعته اللغوية . وأنا لا أنكر الطريق الوعر الذي يُجهِدُ القراءُ فيه أنفسهم إذا أرادوا أن يتنزّهوا في هذا الفردوس الغريب . ثم أن ما نراه اليوم من هذا الأدب الخفيف الذي يُدفع إلى الأسواق في الأغلفة الملونة يقتضي أن يُوازن بدراسات لشعراء من نمط أبي تمام . لقد قيل منذ زمن بعيد : أن السكر مادة حلوة لذيدة في الفم وفيها أيضاً شيء من الغذاء ، ولكنه لا يكفي لحفظ الحياة .

ان الأدب الإنشائي الآماع قد يفيد في استجلاب التعاس قبل وقت النوم الطبيعي عند نفر من الذين اضطربت طبيعة النوم فيهم ، وقد يدغدغ خيال الذين يحبون أن يحيوا على مائدة خيالهم وعلى الانفعال في أعصابهم أو بتحديث أنفسهم بالأمان التي لا يستطيعون أن يحققوها في حياتهم العادية ، ولكنه لا يصلح للذين استوت فيهم الطبيعة الإنسانية وملكوا أعصابهم في يقظتهم ومنامهم وروّضوا خيالهم على الاحتكاك بحقائق الحياة . ان الذين يريدون أن يدخنوا لفاقة من الأدب حتى يُغرقوا همومهم الكبيرة عندهم هم ، والتي لا قيمة لها في حقيقتها هي ، لن يصبروا على قراءة هذا الكتاب لأنهم لا يستطيعون الصبر على شعر أبي تمام وعلى الشعر الذي هو من نجر شعر أبي تمام . يكفي هؤلاء - إذا كانوا يصرون على موقفهم من الأدب ومما هو الأدب - أن يكتفي أحدهم ببضعة أبيات من الأبيات المشهورة لعمر بن أبي ربيعة أو لأبي نواس وألا يجاوزوا هذه الأبيات إلى غيرها أيضاً . يجب نحن أن نذكر أن الكفاح هو قانون الحياة ، وأن « الأجر على قدر المشقة » أساس صحيح لمواجهة الحياة . ان الذي يعرف خمسمائة كلمة من لغة قومه لا يستطيع أن يدرك من حقيقة أدبهم وجماله ما يدركه الذي يعرف عشرين ألفاً . والذي لا يعرف إلا لغة واحدة لا يستطيع أن يدرك الحقيقة والجمال في عقليات الأقوام المختلفين كالذي يعرف لغتين أو ثلاث لغات .

ان العقل لا يعرف المذاهب الاشتراكية المألوفة عند الذين لا يعرفون حقيقة الاشتراكية . نحن نستطيع أن نوزع على المحرومين ، وعلى غير المحرومين أيضاً . خبزاً وليباساً وأراضى وبطاقات لحضور الحفلات التمثيلية ولركوب الطائرة . ولكننا لا نستطيع - مع الأسف - أن نوزع تذوقاً أدبياً وإدراكاً عقلياً وثقافة فنية على الناس ، ولا نحن مستطيعون أن ننقل ما تملكه أحياناً من هذه إلى أولادنا كما ينقل الأغنياء أموالهم وأملاكهم وأمجادهم الدنيوية إلى وارثيهم . لا سبيل لك إلى فهم الهندسة إلا إذا درست الهندسة كما يجب أن تُدرس الهندسة ، وكذلك لا تستطيع فهم الشعر إلا إذا درست الشعر كما ينبغي أن يُدرس الشعر . ان الطبيب قد يضع لك الدواء في غلاف من السكر : إن عمل السكر في غلاف الدواء أن يقنعك بأخذ الدواء ؛ وأما الذي يشفيك فهو الدواء نفسه . أما إذا كنت تستطيع أن تأخذ الدواء المرّ بلا غلاف من السكر فاعلم عندئذ أنك لست مريضاً ، لأن المريض هو الذي لا يمكن أن يبرأ من مرضه .

أريد أن أقف هنا عن ضرب الأمثلة وأن أتقدم معك إلى دراسة أبي تمام على الأسلوب المألوف في الدراسات الأدبية التي ترمي إلى كشف جانب من الحياة الإنسانية أو تثبيت حقيقة من الحقائق الفكرية . وأنا على مثل اليقين أن في الفائدة الحقيقية متعة حقيقية أيضاً .

أبوتكمام

جاسم

كان على يمين الطريق الأعظم الذي كان يمتد بين دمشق وطبرية بلدة صغيرة تدعى جاسم . هذه البلدة كانت تبعد عن دمشق ثمانية فراسخ ، كما ذكر ياقوت^١ . وهي من كور حوران في كورة الجولان أو الجيدور ، والجولان والجيدور كورة واحدة . وزاد المقدسي في التفصيل فقال^٢ : « وتأخذ من دمشق إلى الكسوة بريدين ، ثم إلى جاسم مرحلة ، ثم إلى فيق مثلها ، ثم إلى طبرية بريدا »^٣ .

ويبدو أن جاسم هذه هي التي كانت تقع على الدرجة الأربعين من خطوط الطول وعلى نحو الدرجة ٣٦ والدقيقة ٤٠ من خطوط العرض . على أن هذه تبعد عن دمشق مسافة تختلف عما قدره ياقوت كثيراً^٤ . ثم اننا لا ندري ما قصد الأصفهاني بقوله^٥ عن أبي تمام : « إن مولده ومنشأه بناحية منبج بقرية

(١) ياقوت ٢ : ٨

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن ١٨٧٧) ، ص ١٩٠ .

(٣) هذه مسافات تعرف بالتقريب (راجع تاج العروس ٢ : ٢٧٢ ، ٢٩٨) .

(٤) انظر موقع جاسم على الخارطة في :

Al - Muqaddasi, Blanches VIIa et VII b (pp. 160 - 161).

تقع جاسم على نحو ٣٢ كيلومتراً من فيق ، وعلى نحو ٧٥ كيلومتراً جنوب دمشق ، وعلى

نحو ٣٥ كيلومتراً شمال أذرعات .

(٥) الاغانى ١٥ : ٩٦ (بولاق)

يقال لها جاسم . أعلّ هناك غير منبج التي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة حلب : أم أنّ هناك غير جاسم التي تقع في حوران ، إلى الجنوب الشرقي من دمشق ؟ أو لعلّ الأصنفهاني وهيم فأراد أن يجعل مولد أبي تمام قريباً من مولد تلميذه البحرّي ، والبحرّي كان مولده في منبج^١ .

وكان أهل أبي تمام ينزلون بجاسم وبعيجاء : وبعيجاء أيضاً من قرى حوران^٢ .

في جاسم

كان رأس الأسرة التي خرج منها أبو تمام رجلاً نصرانياً اسمه تدوس العطار^٣ . ولهذا الاسم قراءات مختلفة : تدوس ، تدرس ، ندوس الخ ؛ لعلّ أقربها إلى الصواب تدّوس (ثادوس) المجزوءة من ثيودوسيوس اليونانية في الأغلب^٤ . وهكذا يبدو أن تدوس هذا كان من الجالية الرومية (اليونانية ، البيزنطية) التي كانت في الشام (سورية) قبل الفتح الإسلامي : أو أنه جاء إلى الشام بعد ذلك .

وينكر نجيب محمّد البهيتي^٥ أن يكون أبو تمام يوناني الأصل ثم يرى أنّه عربي صريح . أما نصرانية أبي تمام فلا يستغربها البهيتي في أول الأمر ، لأنّ أبا تمام — فيما يرى البهيتي — نشأ في طيء ، وطيء عنده « هذه القبيلة الوثنية النصرانية اليهودية . المسلمة ذات الاتّصال الوثيق بالفرس والروم في الجاهلية

(١) ياقوت ٣ : ٧٥٠ .

(٢) ياقوت ، تحت عيجاء (طبعة مصر ٦ : ٢٤٥)

(٣) أخبار أبي تمام ٢٤٦ ؛ وفيات ١ : ٣٣٤ .

(٤) كما قرأها مرغوليوس (Enc. Isl I 109) ؛ أو ثديوس ، كما قرأها رتر (Enc. Isl. new

ed. I 153) ثم راجع GAL I 83 — ونحن اليوم نقول « قسطة » مجزوءة من قسطنطين ،

وثيو مجزوءة من ثيودوسيوس . وفي القاموس (٢ : ٢٢١) : سدوس (بضم السين

وفتحها) رجل طائي .

(٥) أبو تمام الطائي ، الصفحة (و)

والإسلام^١ . بعدئذ يصرّ البهيتي على نسبة أبي تمام إلى طيء دماً وولادة ، ويرى أن نصرانية أبيه لا تتعارض مع طائفته ، وهو يعتذر عن ذلك بقوله^٢ : « فقد رأينا من قبل كيف كانت النصرانية في طيء وكيف بقيت فيهم بعد الاسلام » . وأخيراً ، بعد أن يجادل البهيتي في عشر صفحات كبيرة عن نصرانية أبي تمام وطائفته يعود فينكر أن يكون أبو تمام أو والده نصرانيين ويقول^٣ : « ودعك من نصرانية أبيه ، فما كانت الا من افتراء خصوم أبي تمام » . ان البهيتي ، في ذلك كله ، قد بذل جهداً مُضيقاً : لقد أراد أن يغمس قبيلة بأسرها في النصرانية وفي الحضارة اليونانية ، قبل الاسلام وبعده ، ليزيد شخصاً واحداً في العرب^٤ وبعد فإنه نقض بعد صفحات ما كان قد غزله . ثم إنه لم يفعل أكثر مما كان الاب لويس شيخو اليسوعي قد حاول فعله قبل نصف قرن من الزمن^٥ .

مولده

ولد أبو تمام حبيب بن ثدوس العطار في الثلث الاخير من القرن الثاني للهجرة . وقد روى الانباري^٦ عن تمام ابن الشاعر^٧ ان ذلك كان سنة ١٨٨ هـ ؛ وعدّ ابن خلكان^٨ غير عام ١٨٨ اعوام ١٧٢ ، ١٩٠ ، ١٩٢ هـ . اما ابن عساكر فاعتمد^٩ السنة ١٨٨ وشك في السنة ١٩٠ ؛ والتاريخ الاول احسن انتظاماً في ترجمة ابي تمام ، وأكثر اتساقاً مع حوادث حياته .

(١) أبو تمام الطائي ٢٨ .

(٢) مثله ٢٩ .

(٣) مثله ٦٢ .

(٤) شعراء النصرانية بعد الاسلام ٢٥٦-٢٥٩ .

(٥) نزهة الالباء ٢١٤ ، ٣٢٥ .

(٦) وفيات ١٥٢:١ ؛ مطبعة الوطن ١ : ٢١٧ .

(٧) تهذيب التاريخ الكبير ٤ : ١٨ ، ٢٦ . راجع في مولد ابي تمام ايضاً اخبار ابي تمام

٢٧٢ ؛ هبة الأيام ٩ ؛ ياقوت ٢ : ٨ ؛ اعيان الشيعة ١٩ : ٤ الخ .

في دمشق

ثم بدا لثدوس العطار - لسبب من الاسباب - ان يترك جاسم وينتقل الى دمشق . فلما نزلها افتتح حانوت خمر - صنعة كانت محصورة في غير المسلمين وغير العرب - وارسل ابنه حبيباً يشتغل عند حائك (وفي رواية فزاز - بائع قز وهو الحرير) .

نشأ حبيب وشب في دمشق ؛ ورأى فيها قوماً يحنون عليه . فلما بلغ سنّاً تقرب من سن الرشد ، وبدأت مواهبه بالظهور اعتنق الاسلام واصبح شديد الحماسة في الدفاع عنه . واشد حماسة في مهاجمة اعدائه . ويكفي ان تلقي نظرة واحدة على قصائده في مدح الخلفاء لتعلم ان اسلامه كان وطيداً متيناً ؛ وانه لم يعتنق الاسلام حباً في اجتذاب الدنيا اليه^١ . ويلوح لنا أنه اسلم وحده وبقي اهله على دينهم ، كما يلاحظ في قوله^٢ :

نأيت ، فلا مالا حويت ، ولم أقيم^٣ فأمّتع ، اذ فُجّعت بالمال والاهل^٣ .
بخلت على عيرضى بما فيه صوته رجاء اجتناء الجود من شجر البخل .
عصيت شبا حزمي لطاعة جيرة دعني الى ان افتح القفل بالقفل^٤ .

ويلفت من نظرنا ورود كتاب عليه بنعي أحد اهله ، وكان ذلك الكتاب

(١) أمراء الشعر ١٤٤ .

(٢) ديوان خ ٤٢١ .

(٣) كان من الاحزم أن أبتى مع أهلي ، ولكنني فارقتهم (سافرت الى مصر) وأنا اطمع بنيل الغنى من أيدٍ بخيلة .

(٤) عصيت شبا (حد) حزمي (أي : تخليت عن إرادتي في متابعة السفر) لطاعة جيرة (تنفيذاً لرغبة أهلي) الى أن افتح القفل (أتغلب على الصعاب وأنال الغنى) بالقفل (بالرجوع الى بلدي) . - ورد التعبير « افتح القفل بالقفل » بضم القافين في شرح الحياط (ديوان خ ٤٢١) ، وشرح شاهين عطية (بيروت ١٨٨٩ ، ص ٣٧٧) وعند البهيتي (أبوتمام الطائي ٨٩) ، ولم أجد لذلك وجهاً فاخترت أن أجعل القفل الاولى بالضم بمعنى الاداة من الحديد يخلق بها الباب (كناية عن الصعاب وانسداد باب الرزق) وأن أجعل الثانية بالفتح من قفل قفلا وقفولا بمعنى رجع .

موشحاً بالسواد^١. ثم ان ابا تمام غير اسم والده فجعله « اوساً »^٢ ، فما يدرينا اذا كان قد غير اسمه هو ايضاً ؟

في حمص للمرة الأولى

وكان لا بد لأبي تمام من التخرج في فنه ، فذهب الى حمص حيث بدأ حياته الشعرية في مدح اسرة عتبة بن ابي عبدالكريم الطائي ، وكان عبدالكريم شاعراً ففضى ابوتمام أيام تخرجه في جانبه . وكان في حمص ايضاً شاعر أبعاد شهرة من عبدالكريم الطائي هو عبدالسلام بن رغبان المعروف بديك الجن الحمصي^٣ ، فأخذ عنه وتأثر به الى حد بعيد .

احتذى ابوتمام شعر ديك الجن فاكتسب منه الصنعة اللفظية وسار بها شوطاً بعيداً حتى نسبت اليه ، وحتى قال النقاد : ان ديك الجن يتبع مذهب ابي تمام^٤ ، بدلاً من قوخم : ان ابا تمام يقتضي مذهب ديك الجن .

ولعل أبا تمام اكتسب من ديك الجن شيئاً آخر هو مذهبه العلوي ، لأن عبدالسلام كان يتشيع تشيعاً حسناً ، ولكنه لم يتأثر بشعوبيته^٥ ، وأخذ عنه ايضاً الإجابة في الرثاء^٦ .

وفي حمص ايضاً انتسب أبو تمام - في الأغلب - الى طيء بالولاء ، فقليل « ابو تمام الطائي » ، فان غير العربي إذا أسلم - كما هو معروف في التاريخ - انتسب بالولاء الى قبيلة عربية ، أو بيت عربي ، أو أسرة عربية . ولقد كان ابو تمام مقيماً في حمص مكرماً لدى الطائيين بني عبدالكريم يأخذ من جودهم ومن أدبهم فكان من أجل ذلك خائفاً أن يُنيط بهم ولاءه ، ويؤثرهم على من

(١) ديوان ١٤٣ ، ديوان س ٣٩٣ .

(٢) اخبار أبي تمام ٢٤٦ .

(٣) غ ١٢ : ١٤٢-١٤٩ (بولاق) ؛ طبعة دارالكتب ١٤ : ٥١-٦٨

(٤) مثله ١٢ : ١٤٢ ، سطر ٦ .

(٥) مثله ، راجع ١٢ : ١٤٢ ، سطر ٣ .

(٦) العمدة ٢ : ١١٩ .

موشحاً بالسواد^١. ثم ان ابا تمام غير اسم والده فجعله « اوساً »^٢ ، فما يدرينا اذا كان قد غير اسمه هو ايضاً ؟

في حمص للمرة الأولى

وكان لا بد لأبي تمام من التخرج في فنه ، فذهب الى حمص حيث بدأ حياته الشعرية في مدح اسرة عتبة بن ابي عبدالكريم الطائي ، وكان عبدالكريم شاعراً ففضى ابوتمام أيام تخرجه في جانبه . وكان في حمص ايضاً شاعر أبعد شهرة من عبدالكريم الطائي هو عبدالسلام بن رغبان المعروف بديك الجن الحمصي^٣ ، فأخذ عنه وتأثر به الى حد بعيد .

احتذى ابوتمام شعر ديك الجن فاكتسب منه الصنعة اللفظية وسار بها شوطاً بعيداً حتى نسبت اليه ، وحتى قال النقاد : ان ديك الجن يتبع مذهب ابي تمام^٤ ، بدلاً من قوخم : ان ابا تمام يقتضي مذهب ديك الجن .

ولعل أبا تمام اكتسب من ديك الجن شيئاً آخر هو مذهبه العلوي ، لأن عبدالسلام كان يتشيع تشيعاً حسناً ، ولكنه لم يتأثر بشعوبيته^٥ ، وأخذ عنه ايضاً الإجابة في الرثاء^٦ .

وفي حمص ايضاً انتسب أبو تمام - في الأغلب - الى طيء بالولاء ، فقليل « ابو تمام الطائي » ، فان غير العربي إذا أسلم - كما هو معروف في التاريخ - انتسب بالولاء الى قبيلة عربية ، أو بيت عربي ، أو أسرة عربية . ولقد كان ابو تمام مقيماً في حمص مكرماً لدى الطائيين بني عبدالكريم يأخذ من جودهم ومن أدبهم فكان من أجل ذلك خائفاً أن يُنيط بهم ولاءه ، ويؤثرهم على من

(١) ديوان ١٤٣ ، ديوان س ٣٩٣ .

(٢) اخبار أبي تمام ٢٤٦ .

(٣) غ ١٢ : ١٤٢-١٤٩ (بولاق) ؛ طبعة دارالكتب ١٤ : ٥١-٦٨

(٤) مثله ١٢ : ١٤٢ ، سطر ٦ .

(٥) مثله ، راجع ١٢ : ١٤٢ ، سطر ٣ .

(٦) العمدة ٢ : ١١٩ .

تلفت الأنظار . ثم ان العمل الذي أخذ يقوم به في مصر لا يدل على أنه قصدها كشاعر ؛ فقد كان يومذاك أحد ثأ يسقي الماء في المسجد الجامع^١ ليكسب معاشه ؛ أما كان باستطاعته أن يفعل ذلك في دمشق أو حمص ، أو في بلد أقرب من مصر ؟

يلوح لي أن أبا تمام أراد أن يبتعد عن أهله فقد أسلم وحده ، دون أهله ؛ فلم تكن حياته من أجل ذلك هادئة في دمشق ، وهو لم يكن في حمص بعيداً عن دمشق كثيراً ، فشد الرحال إلى مصر .

أبو تمام في المسجد

كانت المساجد في صدر الإسلام وما تلاه إلى زمن قريب مراكز للعلم فانتهمز أبو تمام فرصة وجوده بالمسجد الجامع ، يسقي الماء ، ليزداد علماً : كان يلزم حلقات الأدب خاصة ، فاذا طلب أحد شربة ماء سقاه ثم رجع إلى مكانه الأول يستمع إلى إملاء الأديب أو مناقشة أصحابه . ولعل ذلك كان في السنوات الأولى من القرن الهجري الثالث ؛ وعمره يومذاك نحو عشرين عاماً . أما بيته :

وان الذي أخذاني الشيبَ للكتي رأيتُ ، ولم تكمل لي السبع والعشر ؛

فلا يمكن أن يعني أكثر من أن شبيه بدأ قبل السابعة عشرة من عمره ؛ وليس فيه دليل على أنه قال القصيدة التي منها هذا البيت يوم بلغ هذه السن . وبعد أن سقى أبو تمام الماء في جامع مصر ، واستقى العلم وفنون القريض ، ترك السقاية واتصل برجل حضرمي^٢ يدعي عياش بن لهيعة^٣ وأخذ بملاحه . ولكن عياشاً لم يزد على أن كان بعد أبا تمام ويمنيه ثم يمطله . ولا أرى وجهاً لرواية الصولي^٤ : قال أبو تمام : أول شعر قلته :

(١) مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط (نزعة الالباء ٢١٣) .

(٢) حضرموت : مقاطعة في جنوبي جزيرة العرب ؛ وطيء أيضاً من حرب الجنوب .

(٣) هكذا يضبطها ابن خلكان ٢ : ٢٤٣ .

(٤) اخبار أبي تمام ١٢١ .

تقي جَمَحَاتِي . لستُ طَوْعَ مَوْتِي ؛ وليس جنبي ، إن عدلتِ ، بمصحي !
 ومدحت به عياش بن شبيعة فأعطاني خمسة آلاف درهم . ان هذه الرواية
 لا تتسق مع عتاب أبي تمام لعياش منذ اتصاله به ولا مع هجائه له في آخر
 الأمر . ومع ذلك فان نفرأ ردودا هذه الرواية وقبلوا أن يكون عياش قد أجاز
 أبا تمام عليها^٢ .

وما كاد العام الأول يمر على المدحة الأولى في عياش بن شبيعة حتى ضاق
 ابو تمام ذرعاً بعياش وقال يعاتبه^٣ :

— الفطر والأضحى قد انسلخا . ولي أملٌ ببابك صائم لم يُفطِرِ .
 حَوْلٌ . ولم يُنتَجْ نَدَاك : وإنما تُتَوَقَّعُ الحُبْلَى لتسعة أشهر^٤ .
 ولما لم يجد أبو تمام من عياش سوى مظل على مظل أخذ يهجو هجاءً مرأً ،
 ويعرض بأصله وَيَصِيْمُهُ بأنه ليس من العرب . ثم هجاه أيضاً بعد موته^٥ .
 وأصبحت إقامة أبي تمام الآن في مصر ضنكاً : لضيق ذات يده ولضيق
 مذاهبه في بلد نشبت فيه العصبية (الفن) :

بمصر : وأي مأرُبةٍ بمصر وقد شَعَبَتْ أكابرها شعوب^٦ !
 وذلك في الأعم الأغلب بين عامي ٢١٠ و ٢١١ هـ (٨٢٦ م) وما بعدهما .

(١) ديوان خ ٢٣-٢٥ . - تقي : اتقي ، احذري . جنبي : الذي أحمله في جنبي (قلبي) .
 - إذا لم تني وأردت أنا ان أسمع منك وأطيع لك فان قلبي لا يوافقني على ما أريد منه .

(٢) راجع مثلاً ابوتمام الطائي للبهيتي ٨١ .

(٣) ديوان خ ٣٩٥-٣٩٧ ؛ راجع اعيان الشيعة ١٩ : ٣٩٦-٤٠٣ .

(٤) الفطر عيد ينتهي به صيام رمضان ، والأضحى عيد يقع بعد سبعة يوماً من عيد الفطر - أما
 منزل عياش فكان بالاسكندرية (راجع الديوان خ ص ٥٠٣ البيت الثالث ؛ وص ٣٢٣
 البيت الثالث عشر) .

(٥) ديوان خ ٥٠٦ ، اعيان الشيعة ١٩ : ٤٠١ .

(٥) ديوان خ ٤٩٥-٤٩٦ .

(٦) خ ٤٧٣ ، اي مات اكابرها .

(٧) الطبري ٣ : ١٠٨٦ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٤ - ١٠٩٩ .

وكان أهل أبي تمام قد حرصوا على أن يرجع إليهم ابنهم . وأخذت نفس أبي تمام أيضاً تنازعه إلى الرجوع . غير أن كبر نفسه كان يأبى عليه أن يرجع وهو لما يزال فقيراً . وكيف يمكن أن يرجع من رحلة له فقيراً وهو الذي يقول :

ما آب من آب لم يظفر بحاجته ؛ ولم يغيب طالب بالنجح لم يخيب^١ :

غير أن الشاعر يعود إلى نفسه فيذكر حنان أمه وتشوقها إليه فيود أن يطيعها في رغبتها ، ولكنه يرى استحالة ذلك ملء عينيه ، فيقول^٢ :

وكم عدوية من سبي عمرو ذا حسب إذا انتسبت حسب ؛
لها من طيء أم حصان^٣ نجيبة معشر ، وأب نجيب .
تمنى أن يعود لها حبيب منى شططاً ، وأين لها حبيب ؛

ثم يبدو حنينه أيضاً إلى دمشق وأصحابه فيها ؛ ويذكر ما مر عليه في مصر بعد خمسة أعوام وشهرين كانت كلها أسى وضنكاً ، ثم تعرض هو في أثنائها لهجر أهله وأسفهم ، ثم لبذل ماء وجهه ؛ وبعد هذا كله آب بالحياة^٤ .

نأيت فلا مالا حويت ؛ ولم أقم^٥ فأمتنع ؛ إذ فجعت بالمال والأهل .
بخلت على عرضي بما فيه صوته رجاء اجتناء الجود من شجر البخل .
عصيت شبا حزمي لطاعة جيرة دعني إل أن أفتح القفل بالقفل .
وأبسط من وجهي الذي لو بذلته إلى الأرض ، من نعلي ، لما نقتب نعلي .
وكان ورأي ، من صريمة طيء^٦ ومعن ووهب ، عن أمامي ما يسلي .

فلم يك ، ما جرعت نفسي ، من الأسى ؛

ولم يك . ما جرعت قومي . من الشكل .

(١) في نهاية الارب للنويري ٣ : ٩٥ ما آب من اب ...

(٢) ديوان خ ٤٧٢ .

(٣) ديوان خ ٤٢١-٢٢٢ ؛ راجع فوق ، ص ٢٤ .

(٤) ديوان خ ٤٢٢ .

في هذه الأثناء كان أبو تمام قد هاجى نفرأ من الشعراء في مصر وهاجوه .
من هؤلاء شاعر اسمه يوسف السراج كان يحمل على أبي تمام لغموض
شعره^١ .

ولم يطلُ مقام أبي تمام بعد ذلك في مصر كثيراً ، بل تركها آيباً إلى الشام ،
وهو لا يزال شديد التأثير بالمذهب العلوي . ولعل أبا تمام ظل في مصر إلى سنة
٢١٤ هـ (٨٢٩ م) لأنه أدرك فيها مقتل عمير بن الوليد الباذغيسي الخراساني
عامل مصر الذي قتل في ربيع الأول سنة ٢١٤ هـ في أثناء فتنة داخلية ؛ وقد
رثاه وحضر للتغزية به^٢ .

الرجوع الى الشام (سورية) فالعراق

رجع ابو تمام إلى الشام ، ولعله لم يصل إليها قبل ٢١٥ - ٢١٦ هـ (٨٣٠ م) ،
فسعى ليتصل بالمأمون ، وكان المأمون يومذاك يتجول في الشام بعد أن خرج
إلى حروب الروم وانتصر مراراً^٣ ، فلما دخل أبو تمام عليه مدحه^٤ ولكن لم
يظفر منه بما يوئل ولا بأدنى مما كان يوئل ؛ بل بدر من الخليفة نحو الشاعر ما
صرفه عن بغداد مرة واحدة . ان المأمون كان قد انقلب على آل علي ، فأوغر
صدره أن يرى أبا تمام بمدحهم ويعرض بيني العباس^٥ .

طاف ابو تمام الآن في ما بين النهرين ، وفي أرمينية ، وفي شمال سورية ؛
ولكنه قضى معظم أوقاته في الموصل .

-
- (١) ديوان خ ٤٨٩ ، ٤٩١ ؛ الوساطة ١٨ - ١٩ ؛ أبو تمام الطائي ٨٥ - ٨٧ .
 - (٢) الديوان خ ص ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٢٨٩ - ٢٩٠ ؛ خصوصاً ص ٣٦١ ص ٣ والطبري
١١٠١:٣ .
 - (٣) غزا المأمون أرض الروم عدة مرات بين ٢١٥ و ٢١٧ هـ (الطبري ١١٠٣:٣ ، ١١٠٤ ،
١١٠٩) .
 - (٤) لعل أبا تمام لقي المأمون في دمشق ؛ أما القصيدة التي مدحه بها فهي : د من ألم بها فقال سلام
- ديوان خ ٢٧٩ ؛ وفي آياتها أنها أول ما قاله الشاعر بعد رجوعه من مصر .
 - (٥) ديوان خ ١٦٦ - ١٦٦ ؛

في خراسان

بعد موت المأمون في سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) أمين أبو تمام وكشّرت قصائده وبرز نجمه . فلما سمع به المعتصم حمّله إليه ف قضى أبو تمام عنده مدة لم يجد في أثنائها لديه ما يضارع طموحه فتركه وولّى وجهه شطر خراسان ليمدح واليها عبد الله بن طاهر بن الحسين ، وقد اشتدت الفتن فيها من آثار بابك الخرمي . وتوجه أبو تمام من العراق نحو نيسابور . وفي طريقه مر بقومس ونزل فيها عند صديق له هو عبدالله الدامغاني^١ . ثم ان تمام انتهز فرصة إقامته بنيسابور ، مع عبدالله بن طاهر ، فاتصل بالقائد أبي دلف العجّلي^٢ ، وبالقائد حيدر بن كاوس الأفشين^٣ ، وبالقائد أبي سعيد محمد بن يوسف الشغري^٤ ، وسوى هؤلاء كجعفر بن دينار الطائي . وقد بقي أبو تمام في خراسان إلى أواخر سنة ٢٢٢ هـ حينما تركها عبدالله بن طاهر قادماً إلى سامرا^٥ ومعه الناصر بابك الخرمي فوصل إليها في صفر من سنة ٢٢٣ هـ ، وقد صحب عبدالله بن طاهر في مقدمته على سامرا أبو تمام والقائد الأفشين . وفي سامرا أدخل المعتصم الشعراء على الأفشين ليمدحوه ، فمدحه أبو تمام بقصيدته^٦ :

بذّ الجِلادُ البذّ فهو دفينٌ ؛ ما إن به إلا الوحوشُ قطينٌ^٦ .

(١) ياقوت ٤ : ٢٠٣ .

(٢) وفي رواية خيذر (شرح التبريزي ٢ : ٧٢) .

(٣) سامرا مدينة على أربعين كيلومتراً شمال بغداد بناها المعتصم وجعلها معسكراً بلخده الأتراك ثم اتخذها عاصمة .

(٤) انظر تحت ، قصة بابك ، ص ٥٠ .

(٥) دهوان خ ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٦) بذّ : غلب ، تغلب على . الجِلاد : القتال ، الحرب . البذّ (بالذال المعجمة وبالذال المهملة

أيضاً) : مربع يت : الصنم ، وهو هنا مكان فيه صنم كبير لبوذا كان في جبل عال منيع ،

وكان بابك الخرمي قد اتخذ مقلداً (راجع القاموس ١ : ٢٦٧ ، ٢٥٠) . - يقول أبو تمام :

تغلب العرب بالجِلاد (بالحرب) على جبل البذّ وهدموه حتى صار مدفوناً تحت أنقاضه ،

ولم يبق به قطين (ساكن) إلا الوحوش (أي أصبح مهجوراً) .

في العراق وبلاد الروم (آسية الصغرى)

في منتصف سنة ٢٢٣ هـ (قبيل منتصف ٨٣٨ م) تجهز المعتصم لمحاربة الروم متجهاً نحو عمورية . وكان معه الأفيشين وأبو تمام . وبعد الاستيلاء على عمورية وإحراقها (رمضان ٢٢٣ هـ - آب ٨٣٨) عاد المعتصم إلى سامراً فأشده أبو تمام قصيدته السائرة على وجه الدهر : « السيف أصدق إنباء من الكتب » ، وذلك في مطلع سنة ٢٢٤ هـ أو في آخر سنة ٢٢٣ .

هنا يعترضنا أمران أولهما زمن ذهاب أبي تمام إلى الحج ، فإن أبا تمام يقول في ديوانه انه حج مع أبي سعيد الثغري^١ ، ونعلم من موضع آخر في الديوان أن أبا سعيد حج حجة يغلب على الظن أنها كانت بين ٢٢٣ و ٢٣٠ ، وهي على الأغلب في عام ٢٣٠ هـ . ثم نحن لا نلحظ إذا كانت حجة أبي سعيد هذه هي التي حج في عامها أبو تمام ، أم تلك غيرها ، فيكون الشاعر إذن قد حج مرتين .

والأمر الآخر زمن تأليف « ديوان الحماسة » : وجل ما نعلمه « أن الثلج اعترضه في همدان بفارس في أثناء ذهابه إلى مديح عبدالله بن طاهر » ، وقيل بل في أثناء رجوعه . فاشتغل بتأليف هذا الكتاب ريثما ينوب الثلج ويستطيع الشاعر أن يتابع مسيره . وعلى كل فإن ذلك كان في أواخر سني أبي تمام أيضاً . وفي هذه الأثناء كان الشاعر قد نال حظوة عند المعتصم وعند أمراء البلاد ورجال الدولة : كأحمد بن أبي دواد ومحمد بن عبدالملك الزيات وجعفر الحياط الفائد وغيرهم .

• • •

لم يألف أبو تمام الاستقرار في بلد من البلدان مدة طويلة . فما أن هدأ قليلاً في سامراً ، بعد فتح عمورية ، حتى عاد سيرته من التطفوف بين سني

(١) راجعها في المختارات .

(٢) ديوان خ ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٣) ديوان خ ٢٩٣ .

٢٢٥ و ٢٢٩ للهجرة (٨٤٠ - ٨٤٤ م) . زار أبو تمام في تلك الأثناء حوران وحمص ، ثم عاد إلى سامرا في سنة ٢٢٦ هـ ليمدح المعتصم بعد إحراق الأفشين سنة ٢٢٦ أيضاً^١ . وفي هذه الحقبه اتصل أبو تمام بأبي المغيث موسى بن ابراهيم الرافقي ، والي دمشق من قبيل الخليفة المعتصم^٢ . ويتساءل محسن الأمين^٣ عما إذا كان أبو تمام قد حضر بنفسه إلى دمشق أو أنه أرسل إلى أبي المغيث قصيدته^٤ :

أَقْشِيبَ رَبُّعِيهِمْ ، أَرَاكَ دَرِيْسًا وَقِرَى ضِيُوفِكَ لَوْعَةً وَرَسِيْسًا*

من الموصل . « ومكث أبو تمام مدة ينتظر معروف أبي المغيث موسى بن ابراهيم فلم يدرك منه رسولا ولم يبلغ مأمولا^٥ » ، فأخذ يمدحه مرة وبعاتبه أخرى . بعدئذ هجاه ولكن عاد فمدحه^٦ .

وفي هذا الدور أيضاً - فيما يبدو - اتصل أبو تمام بمالك بن طوق التغلبيّ يوم كان مالك يقاتل الثائرين على الخلافة في بادية الفرات الجزرّيّ (الفُرات الأعلى) . ويبدو لنا أيضاً أن أبا تمام ظل متصلاً بمالك بن طوق إلى ما بعد عزله عن الجزيرة ، جزيرة ابن عمر^٧ .

وكذلك يبدو أن أبا تمام لقيّ البحرّي في هذا الدور . كان أبو تمام يومذاك شاعراً ملء السمع والبصر مشهوراً ، وكان البحرّي لا يزال حديث السن

(١) ذاجع ديوان خ ١٥١ - ١٥٥ .

(٢) أمراء دمشق في الاسلام ٨٩ ، راجع ١٢٦ .

(٣) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٨٨ .

(٤) ديوان خ ١٧٥ - ١٧٨ .

(٥) يا مسكنهم الحديد ، أراك قد أصبحت دريساً (مدروساً ، خراباً) وأرى أن قرى ضيوفك (حفظ زائريك ، ضيانتهم) لوعة (حرقه في القلب وألم من حب أو غم أو مرض) ورسيسا (حصى من لوعة الحب) = كانت ديارهم عامرة زاهرة فامحت وأصبحت تخزن من يراها .

(٦) هبة الايام ١٦٧ .

(٧) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٧٨ - ٣٩٦ .

(٨) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٧٨ ، ٣٨٣ .

مغموراً^١ . وكان اللقاء اتفاقاً في حمص عند القائد أبي سعيد محمد بن يوسف .
الثغري في حديث طويل هو أكثر اتصالاً بالبحري وشاعريته منه بأبي تمام^٢
ولعل ذلك كان في بعض شهور سنة ٢٢٦ هـ (٨٤١ م) .

وبعد عام أو بعض عام رأينا أبا تمام من جديد في سامرا يعزّي الواثق بأبيه
المتعصم ويهنته بالخلافة بقصيدته الميمية^٣ :

لَمَّا لِلدَّمُوعِ تَرُومٌ كُلِّ مَرَامٍ^٤ ، وَالْحَفْنُ ثَاكِلٌ مَهْجَعَةٌ وَمَنَامٍ !
ويبدو أن أبا تمام حجّ بعد ذلك ثم بقي نحو عامين في العراق . إلا أن كثرة
تطوافه في الأرض ، إلى جانب انغماسه في الشراب ، والملذّات أيضاً ، كانا قد
نَهَكَا جسمه - قبل أن تتقدّم به السن كثيراً - فأثر أن يُخلدَ إلى شيء من
الراحة بعيداً عن مشاغل الدنيا وعن إرهاق النفس بالمدائح . في ذلك الحين تولّى
بريد الموصل :

كان بين أبي تمام وبين الحسن بن وهب صداقة وثيقة وإخاء خالص . رقي
الحسن بن وهب في المناصب وظلت الصداقة والمناذمة والأحماض^٥ بينهما على
حالها . ولما سمّ أبو تمام تكاليف الحياة رغب إلى صديقه في أن يعينه على اعتزال
الكفاح في الحياة . فعرض الحسن بن وهب على أبي تمام أن يُولّيّه منصباً
فاختار أبو تمام أن يتولّى بريد الموصل^٦ ، لأنه كان قد قضى في الموصل زمناً

(١) هناك خلاف على لقاء أبي تمام بالبحري لأول مرة ، وخلاف على ما كان في هذا اللقاء وما

أهتبه ذلك اللقاء (راجع غ ١٨ : ١٦٩ ؛ وفيات ٢ : ١٣١ ، مطبعة الوطن ٣ : ٩٧

- ٩٨ ؛ أخبار البحري ٥٦ : ٦٣ - ٦٥) .

(٢) راجع أخبار أبي تمام ١٠٥ ؛ هبة الايام ١٣ وما بعدها ؛ أخبار البحري ٦٣ - ٦٤ ؛

أعيان الشيعة ١٩ : ٤٣٧ وما بعدها .

(٣) ديوان خ ٢٧٥ - ٢٧٩ .

(٤) ما للدُمُوعِ تهمي غزيرة ، في كل جهة (وفي كل حين) .

(٥) الاحماض : المزاج بالفاظ مكشوفة . راجع أخبار أبي تمام ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢٦٩

(٦) أخبار أبي تمام ٢٧٢ . - كان البريد لنقل الرسائل والاشياء والاشخاص مما يتعلق بأعمال

الدولة ، كما كان رجال البريد (الموظفون في ديوان البريد) ينقلون اخبار البلاد والناس

الى الخليفة .

أيام تخفيبه من المأمون. وكانت ولاية أبي تمام على بريد الموصل ولاية شرف يستجم فيها أبو تمام ويتقبض منها راتباً ، مع العلم بأن أعمال هذا المنصب في الأصل كثيرة متعبة . غير أن أبا تمام لم يمكث في هذا المنصب أكثر من عامين اثنين ، من أوائل سنة ٢٢٩ هـ (أواخر عام ٨٤٣ م) إلى وفاته^١ .

وفاته

اختلف الرواه في سنة وفاة أبي تمام^٢ ، كما اختلفوا في سنة مولده ، اختلافاً كبيراً بين سنة ٢٢٨ و سنة ٢٣٢ للهجرة . ويبدو أن أبا تمام قد توفي - في أوثق الأقوال وأحسنها اتساقاً مع حوادث حياته - في المحرم من سنة ٢٣٢ (أيلول ٨٤٦) ، وهو يتولى بريد الموصل^٣ ، وعمره نحو ثلاث وأربعين سنة . ودفن أبو تمام في الموصل^٤ خارج الميدان على حافة الخندق ؛ وتقول العامة : هذا قبر تمام الشاعر^٥ . وقد بنى أبو نهشل بن حميد الطوسي قبة عليه^٦ . أما اليوم فان رفاتة في حديقة البلدية في ضريح ضخم^٧ . ورثى أبا تمام نفر كثيرون منهم ديك الجن أستاذة والبحري تلميذه ؛ ومنهم صديقه وممدوحاه محمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب ، وصديقه الشاعر علي بن الجهم وسراهم^٨ .

- (١) راجع أخبار أبي تمام ٢٧٢ - ٢٧٣ ؛ ياقوت ٨: ٢ ، راجع ٤٢٠: ١ ؛ وفيات ١: ٣٣٧ ؛ مطبعة الوطن ١: ٢١٧، ٢١٦ هبة الايام ٥٣-٦٣ ؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣٥٧-٣٦٧ .
- (٢) أخبار أبي تمام ٢٧٢-٢٧٣ ؛ تاريخ بغداد... أخبار البحري (ص ٦٦) سنة ٢٣١ هـ ؛ وفيات (وستنفلد) رقم ١٤٦ ؛ مطبعة الوطن ١: ٢١٧ ؛ ياقوت ٨: ٢ ؛ هبة الايام ٤٩ ؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣ ، راجع ١٢ .
- (٣) ياقوت ١: ٤٢٠، ٨: ٢ ؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣ ، راجع ٣٦٢ الخ .
- (٤) ياقوت ١: ٤٢٠ ؛
- (٥) وفيات ١: ١٥٣، ٣٣٩ ؛ مطبعة الوطن ١: ٢١٧، السطر ٢١ .
- (٦) هبة الايام ٤٩ ؛ وفيات ١: ٣٣٩ .
- (٧) هبة الايام ٤٩ ، حاشية ٥ .
- (٨) العمدة ١: ٤٣ ؛ أخبار أبي تمام ٢٧٥ - ٢٧٩ ؛ وفيات (آخر الترجمة)

صفاته وأخلاقه الخاصة

ليس لدينا ما يدل على صفات أبي تمام سوى قول ابن خلكان^١ : « كان أسمر طويلاً فصيح الكلام فيه تمتمة بسيطة » . وقد نقلها عنه كثيرون ؛ وإلا جملة للأنباري : « وكان موصوفاً بالظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس » . ثم ليس في ديوانه ما يناقض هذه الأحكام .

من أجل هذه التمتمة اليسيرة اشترى له أبو سعيد الثغري غلاماً أديباً فصيحاً اسمه الفتح بثلاثمائة دينار ليلقي له قصائده . ولكننا نعلم أنه كثيراً ما كان يلقي قصائده بنفسه . وقيل إنما كان إنشاده قبيحاً^٢ وزاد ابن رشيق فقال « وكان في حبيب حبسة شديدة إذا تكلم ... » فقال فيه محمد بن بكار الموصلي^٣ .

يا نبي الله في الشعر ويا عيسى بن مريم ،

أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم !

أما أخلاقه فكانت أخلاق شاعر عباسي ؛ غير أنه لم يكن متهتكاً ؛ بل كان يأتي مائدته في سر^٤ .

آله

كان أبو تمام مُرَزَّناً : مات نفر من أهله ، من أخوة وأولاد له ، في حياته . وقد مات نفر من هؤلاء في عام واحد^٥ :

تتابع في عام بني^٥ وإخوتي ، فأصبحت إن لم يُخْلِيفِ اللهُ مُفْرَداً .

أما أبواه فلا نجد إشارة إليهما في ديوانه إلا أن تكون الرسالة التي جاءت

(١) وفيات الأعيان ١ : ٣٣٩ .

(٢) الاغانى ١٨ : ٤٧ .

(٣) الممددة ١ : ٧٠ ، ١٨٤ - مخله مضبوطة في اخبار أبي تمام بضم الميم وفتح الحاء تشديد

اللام المفتوحة (ص ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٧٢) .

(٤) راجع اعيان الشيعة ١٩ : ١٩ وما بعدها ففيها اشارات كثيرة وشواهد على اخلاقه الشخصية .

(٥) ديوان خ ٣٦٣ .

(٦) ان لم يخلف الله : ان لم يرزقني ولدأ من جديد .

إليه موشحة بالسواد نعيّاً لأحدهما^١. وكذلك نعرفُ أخاً له كان اسمه سهماً^٢. ثم ان هنالك في ديوانه^٣ مرثية عنوانها « وقال في أخ له وحضر وفاته » تدل على أن الشاعر قالها في أخ له من النسب لا من الصداقة . ولكن ليس فيها ما يدل على أن هذا الأخ المرثي كان سهماً أو أخاً ثانياً له .

وتزوج أبو تمام امرأة توفيت وشيكاً صغيرة السن فرثاها^٤. وكذلك كانت له جاربية ، بمعنى الزوج لا بمعنى الولد ، ماتت في حياته أيضاً^٥. وكان لأبي تمام أولاد لا نعلم من أي الزوجتين هم .

توفي لأبي تمام ابن اسمه محمد رثاه رثاء يدل على أنه لم يكن له آنذاك ولد غيره^٦. وهنالك في الديوان مرثية تعد واحداً وعشرين بيتاً في ابن له يكنىه أبا عليّ ويذكر أنه كان يوم توفي وحيداً له وأنه قد بلغ مبلغ الشباب . ومطلع هذه المرثية^٧ :

كان الذي خيفتُ أن يكونا أنا إلى الله راجعونا .
أسمى المرثى أبو عليّ مُوسداً في الثرى يمينا ،
حين انتهى واستوى شبابا وحقق الرأي والظنونا .

ويبدو أن ابنه المرثي بهذه القطعة هو غير ابنه المرثي بالقطعة السابقة . يذكر الشاعر أن ابنه المسمى أبا عليّ توفي بعد مرض ، بينما هو لم يتكلم عن المرض في المرثية الأولى بل تكلم عن شماتة الناس به . ثم ان لأبي تمام ابناً آخر اسمه تمام عاش بعده مدة^٨ ، وهو الذي يتكنى به شاعرنا .

(١) ديوان خ ١٤٣ = شرح التبريزي ٢ : ٦٩ .

(٢) ديوان خ ٣٤٣ ، البيت الثالث . هبة الأيام ١٢٢ . اخبار البحري ١٤٦ .

(٣) راجع ديوان خ ٣٩٢ .

(٤) ديوان خ ٣٥٦ .

(٥) ديوان خ ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٦) ديوان خ ٣٦٣ .

(٧) ديوان خ ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٨) اخبار ابي تمام ٢٦١ ، ٢٧٣ .

بيئة أبي تمام

لا أقصد بوصف بيئة أبي تمام دراسة أحوال الامبراطورية العربية في القرن الثالث الهجري (والقرن التاسع الميلادي) . ان تلك الأحوال كانت تمثل مدينة العالم بأسره والتاريخ بعصوره . ولو أنني تعرضت لبيئة أبي تمام بمثل هذا التفصيل^١ لاضطرت إلى أن أجزيء بأشياء عامة لا جدوى تحتها لمن يتناول هذا الكتاب - وقد لا يكون لها صلة وثيقة أو غير وثيقة بأبي تمام وشعره . على أنني سأخذ في هذا الفصل تلك العناصر والعوامل التي كان لها أثر بين في حياة أبي تمام وصلة ظاهرة بشعره .

١ - بيئته الخاصة

احتكاكه الأول بالشعراء

لما ظهرت مواهب أبي تمام - وكان قد رحل من دمشق إلى حمص - كان أكثر اختلاطه بالأنبياء الكرام الطائي، وبعد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن ، كما مر بنا . ثم إن شبان حمص وشعراءها لم يبلغوا من الخلاعة والفتك ما بلغ إليه أبو نواس وعصابته ببغداد وضواحيها : لقد كان الرأي السائد في حمص مناهضة أمثال هؤلاء المنتهكين الذين كانوا يفسقون في ستر . وكثيراً ما

(١) لما أصدرت الطبعة الأولى من دراسة أبي نواس (بيروت ١٣٥١ - ١٩٣٢) أخذ علي محمد

محمود شاكر في مجلة المقتطف (مصر ، فبراير - شباط ١٩٣٣ ، ص ٢٤٠ س) أنني

أوجزت جداً في الكلام على بيئة أبي نواس .

كان هؤلاء الخلقاء لا ينجون من قبضة رجال الشرطة إلا بعد لأي^١ .
وكان 'مجان' حمص يرتادون الميماس^٢ ليشربوا الخمر أو ليفسقوا، ولكن ذلك كان حياة خاصة لهم لم يجهروا بها ، ولم يتهتكوا تهتك بشار وأبي نواس ومطيع بن إلياس^٣ في بغداد . وكذلك كان زعيم شعراء الشام وأستاذ أبي تمام، ديك الجن الحمصي ، كثير التأثم من الجهر بما كان يغلب على طبعه أحياناً من حب القصف ، ثم هو فوق ذلك علوي شديد التقوى . وهكذا لم يقع أبو تمام في بيثة مستهتره كما اتفق لأبي نواس .

وهناك أيضاً ملاحظة تصدق على كل زمن ، هي أن الداخل حديثاً في دين يكون أشد تمسكاً بفروضه وشعائره من أصحاب الدين أنفسهم . وأبو تمام رغب في الإسلام - تاركاً بلاده وأهله - فكان حرياً باجتناّب كل ما يُحمّل منه على غير الإخلاص .

مصر بعيدة عن فساد بغداد

وانتقل أبو تمام إلى مسجد مصر يسقي الماء فيه لمعاشه ، فكان يلازم المسجد منذ الفجر إلى ما بعد العشاء في الأغلب - مدة قد تبلغ أحياناً ست عشرة ساعة أو أقل قليلاً - . من أجل ذلك كانت فرص اختلاطه بالعالم الخارجي نادرة فلم تُتَح له فرّصٌ يقتدي فيها بغير رجال الدين وأعلام الأدب . كان أبو تمام يلازم هذا المسجد واقفاً أمام حلقة تدرّيس ، فاذا طلب أحدهم شربة ماء سقاه ثم رجع إلى مكانه الأول يجلس الرأي بعد الرأي والرواية بعد الرواية . ولا ريب في أن مصر كانت في ذلك غير بغداد : كانت بعيدة عن فجور

(١) وراجع شيئاً من أخبار ديك الجن في الاغانى ١٢ : ١٣٦ (طبعة دار الكتب ١٤ : ٥١ - ٦٨) .
(٢) الميماس منزّه في حمص كثير الأشجار يتدفق فيه نهر الماسي فيكسبه جمالا ؛ وكان الميماس منزهاً لحمص ولا يزال ، ولكنه اليوم لمن يقصده . وقد بنى اليوم فيه بناء حديث يجذب نفراً من المتزهين ولكن ضيق شيئاً من الجهال الطبيعي لذلك المتنزه .
(٣) وراجع راجع مثلاً أخبار أبي نواس لابن منظور .

الروم والفرس والمجوس وعن حاناتهم السرية ؛ أو هي لم تكن في ذلك كما كانت بغداد ، ولم يكن فيها من يطلب اللدغابة حتى في المسجد ، أمثال عصاية أبي نواس الذين كانوا يُنهون الدرس بحملة مجونية على الأستاذ .

من استقى أبو تمام علمه ؟

كان أبو تمام رجلاً حُبِّبَ إليه الأدب عامة والشعر خاصة ، فكان يستفيد مما يمر به من ذلك . فهو في هذا الباب عنصامي وقر أوقاته على الاستفادة ثم لم يترك له اجتهاده متسعاً للتهور .

لا نستطيع ، مما لدينا من أخبار أبي تمام ، أن نعرف شيوخ أبي تمام ؛ ولكن الصولي^١ ذكر جماعة روى أبو تمام عنهم ، منهم العطف بن هرون ، وكرامة بن أبان ، وأبو عبد الرحمن يحيى بن اسماعيل الأموي ، وسلامة بن جابر النهدي ، ومحمد بن خالد الشيباني ، وقلاية الحرّمي ، ومالك بن دكهم وعمرو بن هاشم السروي^٢ . وذكر محسن الأمين هذه الأسماء وزاد عليها صهيب بن أبي صهباء الشاعر^٣ . قد يكون هؤلاء شيوخاً لأبي تمام تلقى العلم والأدب عليهم وتخرج على أيديهم ، وقد يكونون شيوخاً اتفق أن سمع أبو تمام منهم حديثاً بعد حديث وكتب عنهم إملاء بعد إملاء .

^٤ كان أبو تمام حافظاً للقرآن ، عارفاً بالحديث وبعلم العربية ؛ كثير الاطلاع على التاريخ : ما عمّ منه وما خصّ ، حسن المشاركة في علم الكلام وفنون الفلسفة . أما في الأدب والنقد وفروع البلاغة فكان — مما يبدو لنا في ديوانه — إماماً كبيراً .

الر مذهبه فيه

وكان مما اكتسبه أبو تمام في حمص مذهبه العلوي . ونحن نعلم أن أتباع

(١) أخبار أبي تمام ٢٤٩ - ٢٥٨ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٥ . في أبي تمام الطائي (ص ٧٣) : صهيب بن أبي الصهبان (أو الصهباء) الشاعر (أيضاً) .

المذهب العلوي أشد الناس محافظة على الفرائض والنوافل وأبعدهم في الحماسة الدينية حتى ليكونون أحياناً مفرطين فيما يظنونهم التقوى . فهذا ، إذن ، عامل آخر يحجز أبا تمام عن ارتياد اللهو علناً ؛ وهذا شيء نعرفه من حياته .

وأبو تمام لم يكن متشيعاً^١ يُعجب بآل البيت ويأسى لما نزل بهم من المصائب فقط ، بل كان شيعياً يعتقد إمامتهم ويذهب في إثبات الإمامة لعلي مذهبهم . وشعره في ذلك كله ظاهر الدلالة . ولقد جمع محسن الأمين^٢ طرفاً صالحاً من شعر أبي تمام الدال على شيعيته . أما أبرز قصائده في هذا الباب فهي^٣ :

أظبية ، حيث استنتت الكئيب العفره ،

رؤيدك لا يفتالك اللوم والزجر !

التي قالها في مطلع حياته قبل أن تقبل عليه الدنيا ، وحينما كان في مصر في الأغلب . وقد جاء في هذه القصيدة :

أفاعيل أدناها الحيانة والغدر ^٤ .	فعلتم بأبناء النبي ورهطه
بداهية دهباء ليس لها قدر ^٥ .	ومن قبله أخلفتكم لوصيه
فلا مثله أخ ولا مثله صهر ^٦ .	أخوه - إذا أعد الفخار - وصهره ؛
كما شد من موسى بهارونه الأزرق ^٧ .	وشد به أزر النبي محمد

(١) راجع الفرق بين « متشيع » و « شيعي » ، ابن الرومي للمؤلف (الطبعة الثانية) ص ٩-١٠

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٥٣٠-٥٤٣ .

(٣) ديوان خ ١٦٦-١٦٦ .

(٤) حيث نتالت (تنايمت) التلال السمراء اللون .

(٥) رهط الرجل : جماعته . أفاعيل جمع أفعولة : عمل الشر والخداع .

(٥) وصيه ، يقصد أبو تمام علي بن أبي طالب . يرى الشيعة أن الرسول كان قد أوصى لعلي بالخلافة بعده . الداهية الدهباء : المصيبة العظيمة . ليس لها قدر : ليس لها (لعظمتها) مقياس تقاس به .

(٦) أخوه (لما آخى الرسول بين المهاجرين والانصار آخى بينه وبين علي) . صهره : زوج ابنته (فاطمة) .

(٧) الأزرق (في الاصل) : الظهر . شد به أزر النبي : جعل له سداً ومعيناً . كما شد من موسى -

ويوم الغدير استوضح الحق أهله
أقام رسول الله يدعوهم بها
يمد بضبعيه ويعلم أنه
أحجة رب العالمين ووارثه
ولو لم يخلف وارثاً لعرتكم

بفيحاء لا فيها حجاب ولا ستر^١.
ليقرّبهم عرف ويناهم نكر^٢.
ولي ومولاكم؛ فهل لكم خبر^٣؟
نبي، ألا عهد وفي ولا إصرا^٤،
أمر تبين الشك ساحة من تعرفوه^٥.

= بهاروفه الازر: كما جعل هرون معينا لموسى (راجع القرآن الكريم سورة طه ، ٢٠: ٣١ :
« هرون أخي، اشدد به أزري وأشركه في أمري »).

وفي غزوة تبوك (٥٩) اصطحب الرسول كبار الصحابة وخلف علياً مكانه على المدينة .
وظن علي أن فعل الرسول كان تفضيلاً للصحابة عليه، فقال له الرسول : ألا ترضى أن تكون
مني بمنزلة هرون من موسى ؟ (تخلفني في الناس كما خلف هرون موسى في بني اسرائيل لما
صعد موسى لميقات ربه) .

(١) يوم غدير خم (بضم الحاء) . خم غيضة فيها غدير على يسار الطريق من المدينة الى مكة . في
الثامن عشر من شهر ذي الحجة من سنة ١١ خطب الرسول بعد حجة الوداع في من كان معه
من الحجاج قبل أن يتفرقوا ، ثم أخذ بيد علي ورفعها .. وقال : « فمن كنت مولاه فهذا
علي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » الخ . كما يروي الشيعة . وهم يرون أن
هذه الولاية تقوم مقام الوصية له لي بالخلافة (راجع منتخب اسمايلية ، دمشق ١٣٧٨ هـ -
١٩٥٨ م ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ؛ وذخائر العقبى من مناقب ذوي القربى
تأليف الحافظ محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري) القاهرة ١٣٥٦ هـ (ص ٦٧) .
استوضح الحق أهله : بان الحق للذين يحبون الحق . بفيحاء : في أرض منبسطة مكشوفة (علناً)
(٢) ليقرّبهم عرف : ليشاح لهم أن يعرفوا . ويناهم نكر : ليبعد عنهم الجهل .

(٣) يمد بضبعيه : يرفع (الرسول صل الله عليه وسلم) عضد (يد) علي بن أبي طالب ليشهد
الناس على أنه مولد المسلمين . خبر : علم (راجع مقدمة ابن خلدون ، بيروت ١٩٥٦
ص ٣٤٢ وما بهد) .

(٤) إصر : قرابة . - يا حجة الله على عباده ووارث نبيه (يقصد علي بن أبي طالب) ،
ألا يقر (هؤلاء الذين فعلوا بأبناء علي ما فعلوا من الامور المذكورة في آيات تسبق هذا
البيت) بعهد أخذ عليهم أو بقرابة يعرفونها لعلي بالرسول (.

(٥) لو لم يكن للرسول وارث لنا لنتكم أمور مميّية تلحق من تصيبه (لو ترك الرسول المسلمين
بلا وصية لكان ذلك عاراً عليهم) .

جعلتُ هوايَ الفاطميّين زُلفَةً
وَكُوفِي دِينِي ، على أن مَنْصِبِي
إلى خالقي ما دُمْتُ أو دام لي عُمرًا .
شَامٌ ونَجْرِي أَيْةٌ ذُكِرَ النَجْرُ .^٢

مقامه عند المدوحين

رجع أبو تمام من مصر فأقام عند مدوحين - في الشام وبغداد وخراسان -
وكاهم من الخلفاء والأمراء ورجال الدولة الذين قاموا على أنقاض حاشية الأمين
الفاسقة في زعمهم . أفطن أن الذين ينقمون من الأمين أنه اتخذ شاعراً فاسقاً
كأبي نواس - وهم إنما أثاروا عليه هذه التهمة حتى خلعوه وحاربوه ثم قتلوه
ليشيتدوا دولتهم - يتساهلون في أمر دينهم وسلوكهم ليسرّموا بما رُمي به الذين
جاءوا قبلهم ؟ كان هذا أيضاً يصد الشاعر عند عبثه إذا اشتهاه .

حياته الخاصة

ولكنّ هذا كله لم يكن ليمنع الشاعر من إطلاق عواطفه فيما حوله في شيء
من الخمر والتسرّ . فلقد أحب بعض الجوارى ، وكثيراً من الغلمان ، ويظهر
أن عواطفه أحياناً كانت تتغلب على مبادئه فيسرف في شرب الخمر وإنفاق
المال ، وفي اتباع أهواء النفس حتى يُسِفّ إلى ما انحطّ إليه أبو نواس ؛ لولا
أنه متكمّ قليلاً ، وإن أبا نواس متهتك مستهتر^٣ .

العنصر الشخصي

كان أبو تمام من الشعراء الذين شعروا بقيمتهم الذاتية شعوراً حقيقياً . لقد
رؤي عن جميع الشعراء أنهم فاخروا أقرانهم ، وأشاروا إلى مقدرتهم في أثناء
مناقضات متباينة المرامي ؛ ولكن أبا تمام كان أول من أخذ بالنظر إلى نفسه ثم إلى

(١) زلفة: تقرباً إلى الله .

(٢) وكوفي ديني : اتخذت دين أهل الكوفة (التشييع لعلي وآله) ، مع أن منصبه (مكافئ ،

سكني) ونجري (أصلي ، نسبي) شام (من أهل الشام ، أموي) أية ذكر النجر : مهما

كان أصلي ، عربي أو رومي (؟) .

(٣) راجع الاغانى ٢١ : ٣٤ .

شعره مؤكداً صفاتها العالية. انه لا يكفي أن ينشرهما، بل يتخذ منهما موضوعاً يتابعه في أماكن كثيرة من قصائده. تراه يقول من مِدحة في عياش ابن كهيعة:

شجى في حُلوق الحاديات مُشْرِقٍ^١ به عزمه، في الترهات، مُغْرَبٍ^٢
 كأن له ديناً على كل مشرقٍ من الأرض، أو ثاراً لدى كل مغربٍ
 - وان نُكبتُ بجِدِّ في حزونته سهاتهُ، فكأنني منه في لعبٍ،
 مُقَصِّراً خطراتِ الهمِّ في بدني علماً بأني ما قصرت في الطلب^٣.

وغيرها مما تجده أيضاً في قصيدته: أهن عوادي يوسف وصواجه^٤.

وقد أجمل الأستاذ المقدسي^٥ ذلك فأشار إلى « صبره على المشاق لبلوغ المتى، وشدة إعجابه بنفسه... فاذا قرأت ديوانه رأيت مفعماً بما يدل على أنه نشأ مغامراً في سبيل المال والجاه. وقد زادت كثرة أسفاره عزماً ومضاء... »

فلا عجب إن كان أبو تمام: إذن، واثقاً بنفسه إلى حد الغرور أحياناً؛ يفرض ما يقوله على الناس فرضاً، ويعتقد آماله قبل أن تقع. ولا تحملن ذلك منه على العفو أو العبث فقد جاء به في أعظم مواقفه جيداً؛ لنصغ الى أبي تمام يقول (ديوان خ ٧):

ولقد رجوتُ، فهل لديك بحاجة، وعلمت أنك لا تُخيب رجائي؛
 إني امتدحتك لا لفائدة، ولا همِّي جزاءُ مدائمي بجزاء
 لكن أروم به احتياطك؛ إنه فيما لديك لبغيتي وغنائي.

فهو يقول: أنا لا أمدحك طمعاً بالجائزة، ولا « تملقاً » كما يفعل الشعراء؛ ولكن لأريك عظمة شعري^٦. ... ثم انظر قوله « أنا (من) عرفت »، أو قوله

(١) راجع أيضاً الاغانى ٢١: ٣٤.

(٢) الترهات: القفار. ديوان خ ٢٥.

(٣) خ ٤٧١.

(٤) ديوان خ ٤٣، راجعها في « المختارات ».

(٥) امرأه للشعر ١٧٧ - ١٧٨.

(٦) ديوان من، ص ٥٤ وحاشية ٧؛ خ، ص ٧.

ولمّني لأرجو عاجلاً أن ترّدني مواهبه بجرأ تُرجّتي مواهي .
وسنرى في مكان آخر أن « آراءه لم تشبهه » ، وانه « فاق فطنة الفيلسوف »^١
وقد انتقل هذا الروح إلى شعره أيضاً ففخّر به وفضّله ، وقارنه بصلة
المملوح ، ثم قرن نفسه بالمملوح :
سأجهد حتى أبلغَ الشعرَ شأوه .
فان أنا لم يحمدكَ عنّي صاغراً
— فالبسني من أمهات تِلادِهِ ،
— ما خالده لي دون أيوبٍ ، ولا
خذها مثقفةَ القوافي ، ربّها
حذاء تملأ كل أذنٍ حِكْمَةً
كالطعنة التجلاء من يد نائر
كالدر والمرجان ألف نظمه
ويندر أن ترى له مدحة لم يفتخر فيها بنفسه وشعره^٨ :

(١) ديوان خ ٤٣ ، ٨٤ ، ٤٠٤ .

(٢) خ ١١٩ .

(٣) خ ٩٥ .

(٤) خ ٨٤ = هذا بيت من قصيدة يعتذر أبو تمام بها إلى قاضي الدولة أحمد بن أبي دواد ،

ويستشفع بخالده بن يزيد الشيباني فيقول : منلي في الاعتذار اليك مثل يزيد بن المهلب لما استجار من

الوليد بابوب بن سليمان بن عبد الملك ، وبعده العزيز بن الوليد فشفعاه له . وما خالده الذي

يشفع لي باقل منها ، وما أذت باقل من الوليد بن عبد الملك - راجع امرأه الشعر ص ١٧٩

(راجع ديوان شرح التبريزي ١ : ٤٠٠ .

(٥) حذاء : قارصة .

(٦) الاخذود : الشق في الارض . الضربة الاخذود : الضربة بالسيف تحدث جرحاً واسعاً .

(٧) الشذر : قطع من الذهب او الفضة توضع بين المألثة والمألثة في المقد .

الكعاب : الفتاة اذا برز نهذاها . الرود : اللينة ، الذاعمة .

(٨) ص ١٧٩ - ١٨٠ .

وما كنت ذا فقر إلى صلب ماله : وما كان حفص بالفقير إلى حمدي .
ولكن رأى شكري قِلادةً سُودُودٍ فصاغ لها سلكاً بهياً من الرّفْد ؛
فما فاتني ما عنده من حباه ، ولا فاته من فاخر الشعر ما عندي .
- بقوافٍ هن البواقي على الدهر ، ولكنّ أثمانهن مواض^٢ .
ثم لا يذهبن بك الظن إلى أنه يدعي ذلك ويتظاهر به ، فقد رُكِّب ذلك في
نفسه ؛ روى الأصمّهاني^٣ أن أبا تمام أنشد عبدالله بن طاهر قصيدته « أهن
عوادي يوسف وصواحيه ؟ » فثر عليه ألف دينار ، فلم يمسّ منها شيئاً بل
تركها للغلمان يلتقطونها حتى وجد عليه ابن طاهر ، وقطعه زماناً . ثم قلب
ديوانه حتى تصل إلى هذه الأبيات فتحسب أبا تمام إنما يتكلم عن نفسه لا عن
الممدوح :

ماذا ترى فيمن رآك لمدحه ؟ أهلاً ، وصارت في يدك مصائرُه ؟
قد كابرَ الأيام حتى كذّبت عنه ، ولكنّ القضاءُ يكابره .
لا تنسَ من لم ينسَ مدحك ، والمني تحت الدجى بزُعمنْ أنك ذاكره .
بكرٌ ، فقد بكَرتُ إليك بمِدْحَةٍ عُغرُ القصائد ؛ خيرُ أمرٍ باكره .
لا شيءَ أحسنُ من ثنائي سائراً ، ونداك في أفق البلاد يسايره * !

٢ - العناصر المساعدة

دخل أبو تمام بغداد بعد وفاة المأمون ، وقد لبست من الثقافة الأجنبية ثوباً

(١) ديوان خ ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) ديوان خ ١٨٨ .

(٣) الاغاني ١٥ : ٩٩ (يولاق) .

(٤) كذبت عنه : أنشئت عنه وجبت ، ومعنى البيت ان الشاعر غالب الأيام فقهرها ؛ ولكن

قضاء الله هو الذي يغالبه الآن .

(٥) ديوان خ ١٥٦ .

قشيباً بفضل سعيه لنقل كتب الإغريق خاصة . ويحسن هنا أن نقول : إن أبا تمام جاء بعد رده من الزمن فرأى الكتب منتشرة ، والثقافة شائعة في الناس . بدأ الخلفاء بالنقل منذ أيام المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) ، ولكن الثقافات المتضمنة في الكتب المنقولة اقتضت وقتاً حتى انتشرت بين الناس .

أما الجوالي اليونانية والفارسية والهندية ، سواء منها التي اعتنقت الإسلام - قديماً أو حديثاً - أو التي بقيت على أديان آبائها ، فإنها كانت كتباً حية في المجتمعات وحلقات الأدب والعلم والجدل . وإذا كان بشار بن برد وأبو نواس وأبو العتاهية ومعاصروهم قد رأوا هذه الحركة في أولها ، وتعرفوا إليها في طفولتها فإن أبا تمام قد شهد عنفوانها وعاش في إبانها .

الثقافة اليونانية

هُزم النفوذ الفارسي في معركتين : الأولى يوم فتك الرشيد بالبرامكة وأتباعهم ومواليهم وصنائعهم ، ففضى على نفوذ الفرس في الحكم ، وقلص ظلهم الوارف عن قصر الخلد ؛ والثانية يوم ترك المأمون مرو وأتى إلى مدينة السلام ، ثم ما عثم فيها أن أعلن ترك الحضرة والرجوع إلى السواد : شعار بني العباس ؛ ففضى على أمل الفرس المستتر وراء النظرية العلوية في الخلافة ؛ غير أن ذلك لم يتعرض للثقافة الأدبية بشيء .

إلى جانب هذه الثقافة الأدبية الفارسية ازدهرت ثقافة علمية إغريقية . فبينما كنت ترى الناس يستمعون إلى الغناء الفارسي أو المنقول عن الفارسية ؛ أو تراهم يصفون إلى قصاص الحرافات الفارسية أو يتفقهون بالأدب الفارسي والكياسة الفارسية ، اللذين استخرجهما ابن المقفع وأمثاله ، كنت تراهم يتجادلون في الفلسفة اليونانية ويتناقشون في كتب الإغريق العلمية . وكان للهند أيضاً ثقافة رياضية في بلاد الإسلام كلها . غير أن العرب لم يستفيدوا من أدب اليونان الفني .

وكان أظهر هذه الثقافات في شعر أبي تمام الثقافة اليونانية ، ولا عجب فقد

كانت الزي الشائع بعد المأمون كما أن الثقافة الفارسية كانت الزي في عصر هرون الرشيد . ولعل هذه الثقافة كانت أقرب إلى عقلية أبي تمام ، ربما لصلة نسبه بالروم ، وهو لم يتحرر من بيئته اليونانية إلا يوم أسلم دون أفراد أسرة على ما رأينا .

ثم توفي المأمون وترك وراءه نزعاً من الحرية العقلية لم يعرفها الإسلام من قبل ولا عرفها من بعد : لقد تناولت هذه النزعة الدين بأوسع مظاهرها وفي أقدس مظاهره كالقول بخلق القرآن ، وجدال أهل الكتاب بلا قيد ولا رقيب ، ثم التفكير في ما حفظه الدين من الروايات . وحسبك في هذا المقام أن تعرف أن هذه كانت من قبله كفرة أو أقرب شيء إلى الكفر . ولا ريب في أن أبا تمام احتك بهذه أيضاً - وهو الشاعر العالم - واستفاد منها حتى ظهر بعض أثرها في حياته وشعره .

الزندقة والشعبية

اتهم حبيب بن أوس بالزندقة ككثيرين غيره ؛ والزندقة يومذاك تهمة سياسية أو دعوى على رجل اتهم بما لا يمس الدين في أساسه . فيكفي أن يكون الإنسان متهتكاً في قوله دون عمله حتى يرمي بالزندقة . وقد يكون ملحداً كافراً فلا يسمونه إلا زنديقاً . من أجل ذلك ترى أن هذه الكلمة مطاطة باستطاعتك أن تجمع فيها الأضداد والقراء . وقد اتهم أبو تمام بها ، قيل لأنه لم يصل الظهر في يوم بارد .

أما الشعبية فلم تظهر في شعر صاحبنا ولا في حياته ؛ ليس ذلك فقط بل انه هجا من اتهموا بها وبالزندقة هجاء مرأ . فلا عجب إذا بحثنا فيها عند الكلام على هؤلاء .

الاحداث والفتوح

لم يمثل الناحية القومية الدينية بمعناها الواسع حتى ذلك الوقت شاعر كما

مثلها أبو تمام . ثم جرى كثيرون على أثره وحاولوا أن يلحقوا به ، ولم يبلغه ويتقدم عليه غير شوقي .

كان فخر الجاهلي بقبيلته فحسب لا يعدو بضعة آباء خوفاً من أن يلتقي بجد قبيلة الشاعر الذي يفاخره ؛ وجاء العصر الأموي فكانت النقائص التي نسميها نحن هجاء سياسياً ، فخرأ محدوداً وشتائم كثيرة لا تعدو أيضاً قبيلة واحدة ، أو أسرة واحدة . أما أبو تمام فقد مدح الخليفة ، وهو ليس الامبراطورية العربية الإسلامية ؛ ومدح رجال الخليفة - وأكثرهم عرب - إذا كانت سيرتهم وأعمالهم في رضى الخليفة ، كما سرى عند الكلام على فنون أبي تمام . ولقد أجاد الشاعر في جميع هذه القصائد إجادة عظيمة ، وخلق منها في ديوانه ناحية بارزة تنجلي فيها نفسه الكبيرة سيقاً مسلولاً على أعداء الخليفة الداخلين والخارجيين ، ومنطقاً فصيحاً ، وشعراً فخماً . ولننجز الآن الكلام على خمسة من هذه الأحداث .

أ - العلويون

يظهر عطف أبي تمام على العلويين جلياً في عدد من قصائده لميله اليهم : كان يعتقد بحقهم في الخلافة ويأبى لما أصاب رجالهم على يد العباسيين ، وكان المأمون قد مال إلى العلويين ثم انقلب عليهم .

خرج محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان . وبعد معارك متعددة انهزم فنجا إلى نسا ، فأخذه عامل نسا وأرسله إلى عبدالله بن طاهر أمير خراسان . وأرسله عبدالله بن طاهر إلى المعتصم فوافق وصوله إلى سامرا في ربيع الأول من سنة ٢١٩ هـ (آذار ٨٣٤ م) فحبسه المعتصم ، ولكن محمداً احتال في ليلة الفطر (آخر رمضان ٢١٩ = ٥ تشرين الأول ٨٣٤) ، وقد اشتغل الناس بأمر العيد ، للهرب . ولم يعرف أحد مكانه بعد ذلك .

(١) راجع قصيدته : أظبية حيث استفتت الكتب خ ١٦١ - ١٦٦ ، (فوق ١ ص ٤١-٤٣) .

(٢) تاريخ الكامل ٦ : ٣١٢ .

ب - بابك الحرمي

الحرمية «دين الفرخ» ، ويعمل أتباعها على الأخذ بالملذات وعلى «الإباحية» فيتزوج الرجل أمه أو أخته أو ابنته ؛ ويؤمنون بتناسخ الأرواح . ولهم ناحية ثانية في مذهبهم هي كره العرب وكره دينهم ، والعمل على ردّ المزدكية - دين الفرس الشعبي - ؛ على أن هذه الحركة لم تقوَ إلا بعد اتصالها ببابك^١ في حديث يطول . فلما قويت قام بابك يحارب المسلمين معتصماً بجبال البَدّ منذ أيام المأمون . وقبل أن يتوفى المأمون أخذ في وصيته على أخيه المعتصم عهداً لزاماً بأن يتغلب على بابك ولو أنفق كل ثمين . ولقد صدع المعتصم بذلك فلم يغز الروم ، ولم يوجه جيشاً إلا إلى حرب بابك حتى انتصر عليه^٢ .

أثارت هذه الحادثة حمية أبي تمام الدينية وخلدها في قصائد كثيرة من عيون قصائده في شعر يتدفق حماسة وبلاغة ، ثم قدم الأفشين ببابك الحرمي على سامرا سنة ٢٢٣ هـ فقتل بابك فيها وصلب .

ج - فتح عمورية

كان الروم قد انتهزوا فرصة اشتغال المسلمين بحروب بابك فجعلوا يغيرون على البلاد الاسلامية ؛ اويؤوون اليهم بعض الثائرين على سلطة بغداد . وقبيل اسر بابك أغار ثيوفيلوس^٣ ، ويسميه العرب : توفيل بن ميخائيل ، على

(١) بابك في الفارسية تصغير باب ؛ والباب بالفارسية : الاب ، الحليل . وبابك تطلق على المرء ، والمعلم . وهو اسم ملك أيضاً . (Steingass, Persian - English Dictionary, London, p. 135.

(٢) طالت حركة بابك عشرين سنة وروي انه قتل في اثناها ٢٥٥,٥٠٠ انسان ثم تغلب الافشين على بابك واستخلص من في يديه من المملكات واولاد دهن . وقد كانا المعتصم الافشين بعشرين مليون درهماً (نحو نصف مليون ليرة ذهبية) . . وادخل عليه الشعراء بمدحونه وامر لهم بصلات ايضاً ، وذلك في ١٥ ربيع الاول سنة ٢٢٣ فقال فيه ابوتمام قصيدته : « بذ الجلاد البذ فهو دفين ، الطبري (مصر) ١٠ : ٢٢٣ ؛ خ ٢٢٦ - ٢٢٨ ؛ تاريخ الكامل ٦ : ١٣٥ ١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩٣ . والفهرست ٤٨٠ - ٤٨٢ .

(٣) Cf. Finlay, Hist. of Byz. Emp. ch. III. Sect. ii

زِبْطَرَة^١ : مولدِ امّ المعتصم ، وقيل بل مولد المعتصم ؛ وخرّبها ثم أوقع بأهلها .
في هذه الاثناء اتصل بالمعتصم ان امرأة هاشمية صرخت ، وقد هاجمها العلوج :
« وآمعتصماه » . قصرخ وهو على سريرته : « لبَيْتِكَ » . ونهض من ساعته .
واستعد اعظم استعداد (٥٢٢٣) .

لقد خرب توفيل مدينة لها ذكرى في قلب المعتصم ، فلراد المعتصم ان يقابله
بمثل عمله ؛ فسأل عن اعظم مدينة عند الروم ، فقيل هي عمورية^٢ . ولعل
لذلك سبباً آخر هو ان عمورية بلد الدولة الحاكمة ومولدها وإليها تنسب . ففتح
عمورية ، اذن ، كان مغامرة شعرية جميلة فوق ما انطوت عليه من الاهمية
التاريخية التي حملت الروم ذلاً^٣ تلمسه في قصيدة فتح الفتوح^٤ .

د - مازيار

كان مازيار هذا قد اظهر الخلاف على امير خراسان عبد الله بن طاهر ؛
وفي عام ٢٢٤ هـ خرج عليه بطرستان وامتنع عن ارسال الخراج . لكسن
عبدالله تمكن بوساطة احد عماله من ان يقبض على مازيار ويرسله الى سامرا ،
فيقتله المعتصم عام ٢٢٥ هـ .

هـ - حرق الافشين

لما ظهرت حركة بابك أرسل الافشين لقتاله ؛ ولكن الافشين جعل يطاول
بابك ، فاثارت هذه المطاولة شكاً حوله ، وظنها الكثيرون محاباة للثائر وعطفاً
عليه . ثم تتابعت سلسلة من الأدلة جعلت الافشين متهماً لدى الخليفة : منها
ارساله الأموال الى اشروسنة (بين نهر سيحون وبلدة سمرقند) سرّاً ، قيل
لتأييد الدعوة الى الدين المجوسي وردّه ؛ وقد ثبت ان أهالي اشروسنة كانوا يبدأون

(١) زبطرة Zapetra بلدة بين ملطية وسميساط والحدث ، فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ هـ (ياقوت

٢ : ٩١٤) .

(٢) « السيف أسدق انباء من الكتب .. »

كتبهم الى الافشين بهذا العنوان : « الى اله الآلهة ... » ؛ وانه كان لدى الافشين كتاب في الديانة القديمة مُحتمى بالذهب والجواهر ؛ وانه كان يكاتب اتباعه ويكاتبونه متربصين بالعرب الدوائر . وزاد في النقمة على الافشين سعيه بعبد الله ابن طاهر وطمعه بإمارة خراسان مكانه .

كل هذه البيئات تجمعت لتدين الافشين فلم يرَ المعتصم بدأً من قتله ؛ ولكن السياسة اضطرته الى تجاهل امره حتى ينجلي الموقف في خراسان ؛ فتركه اميراً عاماً للجند في المشرق ، ولكن جعل على بعض اقسام الجند قادة يطمئن الى ولائهم : منهم ابو سعيد محمد بن يوسف الثغري ، وابو دُلْف العجلي ، يساعدهما عبد الله بن طاهر والي خراسان .

وتغلب المسلمون على بابك ولم يقتل المعتصمُ الافشينَ ، لحرصه على الاستفادة من مواهبه العسكرية في حرب الروم ايضاً بعد ان عزم على مهاجمة عمورية . فلما فتحت عمورية وغلبت الروم ؛ ولما خضد الخليفة شوكة الثائرين في المشرق ومكثه الله من اعناقهم ، لم يبق للمعتصم في الافشين مأرُبة فقتله وصلبه ، ثم احرقه . فأضاف ابوتمام الى قلائده الخالدة قيادة جديدة ، وانشد المعتصم مِدحة جديدة يبدأها بيسط تهم الافشين ، وينهيها بطلبه الى الخليفة ان يعقد لابنه الواثق ولاية العهد ؛ وذلك عام ٢٢٥ هـ :

الحقّ أبلجُ ، والسيوفُ عوارٍ ؛
فحدّارٍ من أسدِ العرين حدّارٍ !

(١) ابن الاثير ٦ : ٢١٠ ، خ ١٥١ - ١٥٥ .

(٢) ابلج : ظاهر ، واضح ؛ عوار (ج عارية) مجردة .

الخصائص الأدبية في شعره

ان الأمم تختلف في أساليب تفكيرها ، نعلم ذلك مما فراه عندها من بناء جُمَلها ونراكيب كلامها وأنواع مجازها واستعاراتها وكنياتها - كل أمة حسب بيئتها وتطورها وثقافتها . وكذلك أفراد الأمة الواحدة فانهم يختلفون أيضاً في طرائق تفكيرهم ، قوة وضعفاً أو بُعد غورٍ وقرب مُتناول ، كل حسب بيئته واستعداده الطبيعي والفكري وحسب ثقافته .

١ - خصائصه المعنوية

لم تبرز هذه الظاهرة في شاعر عربي بروزها في ابي تمام ؛ حتى قال النقاد عن شعره إنه معقد ؛ وعن معانيه أنها مقتسرة مأخوذة بعنف . على اننا لو انعمنا النظر لوجدناه يفكر بطريقة صحيحة ، ولكنها بعيدة عن مألوف الرجل العادي . ان أبا تمام مثقف حافظ ، مطلع على الحركات الفكرية التي كانت في أيامه ؛ وهذه عناصر كلها تتضافر على صبغ تفكيره بصبغة تظهره غريباً في نظر القارئ العادي ، وليس هو على الحقيقة كذلك . ثم أي فضل لشاعر - او لأي رجل آخر - اذا كان يحرك لسانه بما انتجته قرائح الناس ؟

ولقد صدق ابن رشيقي حين قال : « وانما سمي الشاعر شاعراً لانه يشعر بما لم يشعر به غيره ؛ فاذا لم يكن عنده توليد معنى ، ولا اختراعه ... او صرف

(١) المدة ١ : ٩٦ .

معنى عن وجه الى وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ؛ ولم يكن له الا فضل الوزن ، وليس بفضل عندي ، مع التقصير ... ثم قال : « وانما السبق والشرف في المعنى ١ » .

واليك هنا مثالين من تقصير الناس في فهم معاني أبي تمام .

خطأ الآمدي^٢ أبا تمام في قوله^٣ :

فلويتَ بالمعروف أعناقَ المتى ، وحطمتَ بالإيجازَ ظهرَ الموعدِ .

فزعم استعارة الظهر للموعد قبيحة ، والمعنى المستخلص من حطم الظهر رديئاً ؛ ولا أرى إلا أن أبا تمام تخيل أن ينجز الإنسان وعداً قبل أن يقطعه ثم يستغني عن الوعد مرة واحدة ، فيعطي المعتفين حالاً ، فلا يجري الوعد على لسانه . وكل ما في نقمة النقاد منه أنه نظر إلى المعنى من حيث لم يتعود الناس أن ينظروا إليه من قبل ، ودليلنا على ذلك قول أبي تمام نفسه :

برى الوعدَ أخزى العار ، إن هو لم تكن مواهبه تأتي مقدّمة الوعدِ .
وخطأه الآمدي أيضاً في قوله^٤ :

يَقِظُ ، وهو أكثرُ الناسِ إغصاءً على نائلٍ له مسروقٍ .

وكل ما في الأمر أن الآمدي لم يتعود أيضاً أن يرى النائل (العطاء) مسروقاً . إن ما يكون مسروقاً ، في رأيه ، هو المال المغصوب ؛ أما ما يعطيه الرجل فلا يمكن أن يكون مسروقاً . ولا ريب عندي أبداً في أن أبا تمام قصد أن الشاعر يأخذ الممدوح بالشعر الجميل حتى يسلبه مالا ما كان ليُعطيَه إياه لولا

(١) السبعة ١ : ٧٤ ، الطر ٥ - ٦ .

(٢) الموازنة ٩٥ .

(٣) دهبان خ ١١٣ .

(٤) انظر شرح الاسود ١ : ٢٦٥ ، امراء الشعر ١٥٥ .

(٥) دهبان خ ١٣٠ .

(٦) الموازنة ٩٩ .

(٧) دهبان خ ٢٢٠ ، سر الفصاحة ٢٥٠ .

هذا الشعر .

وعلى كل فلنذكر أن الآمدي - جد متحامل على أبي تمام ، جد مُحَابٍ
للبحري .

شغف أبي تمام بالإغراب

قال الآمدي في كتابه « الموازنة بين أبي تمام والبحري » ، على لسان صاحب
أبي تمام : « إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور
فهمه (هو) ، وفهمه العلماء والنقاد في علم الشعر »^١ . وكان مثال ذلك ما
جرى يوم قصد أبو تمام عبدالله بن طاهر ومعه قصيدة يمدحه بها مطلعها :
أهنّ عوادي يوسف وصواحيبه^٢ . فلما عرضها على كاتبين لعبدالله بن طاهر
قالا له : « لم تقول ، يا أبا تمام ، ما لا يفهم^٣ ؟ » فأجابهما فوراً : « لم لا
تفهمان ما يقال ؟ » . فكان هذا مما استحسن من جوابه^٤ . ثم انهما سرا بأبيات
منها سروراً حملهما على رفعها إلى عبدالله بن طاهر .

وكان في الآمدي تحامل على أبي تمام ، ومع ذلك فاننا نجد يقول :
« لا يدفعون أبا تمام عن لطيف المعاني ودقيقتها والاغراب فيها
لوالاستنباط لها » . ولكنه يقول أيضاً : « وأبو تمام يتبهرج شعره عند التفتيش
والبحث ، ولا تصحّ معانيه على التفسير والشرح »^٥ .

ولا ريب في أن أبا تمام كان يوغل في طلب معانيه . ولقد أنصف كتاب
أمراء الشعراء في نقل رأي ابن رشيق^٦ : « وأما حبيب (أبو تمام) فيذهب
لى حزنونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنيع المحكم طوعاً أو كرهاً ،

(١) الموازنة ٩ .

(٢) راجع هبة الايام ٢٦ وما بعدها ، ١٣٤ .

(٣) الموازنة ١٧٠-١٧١ .

(٤) الموازنة ١٥ .

(٥) ص ١٩٣-١٩٤ (الطبعة الثانية ١٩٠) .

(٦) الممددة ١: ١٠٩ .

يأتي للأشياء من بعد . ويأخذها بقوة » ...

« ويراد بذلك هيامه بالغريب من المعاني التي يحتاج في تفهمها إلى تأمل ومثقة . تراه يغطي مقاصده بشيء من الإبهام ، فإذا كشفته بان لك جمال خلاب يستهويك ويزيدك ترحماً بها . ومن هنا (تنشأ) هذه الصعوبة التي يعابنها من بطالع ديوانه ، فإنه قد يقف حائراً أمام طلاسده وغموض معانيه ، حتى إذا راضت له بالدرس والتفكير رأى فيها ما يلذّه من صور جميلة ومعانٍ رشيقة^١ . كل شعر يبدأ نهضة فهو غامض : كذلك الشعر الجاهلي الأول ، ف شعر امرئ القيس أكثر غموضاً من شعر زهير للزمن الذي بينهما ؛ وشعر الطيرمّاح أشدّ تعقيداً من شعر جرير ! وكذلك شعر مسلم بن الوليد أحياناً ، وشعر ابن الفارض ؛ وكذلك أيضاً شعر شكبير والروائيين الإفرنسيين الأول وشعر غوته سيد شعراء ألمانيا . ولعل أشعار فيرجيل ودانتي لا تخرج على حدود المبدأ الذي نتخذه .

أفنعجب بعدئذ ، إذا رأينا غموضاً في بعض شعر أبي تمام وهو الذي أوجد طريقة الشاميين ، وكان أول من حلّى الشعر العربي بالصناعة اللفظية المقصودة ؟ فمن إغراب أبي تمام ، إذن ، قوله :

— وقد كانت الأرماح ابصرن قلبه فأرمدتها ستر القضاء الممدد^٢ .
— رقيق حواشي الحليم ، لو ان خلقه بكفك ما ماريت في أنه برّد^٣ .
— قد كان عُذرة مغرب فافتضتها بالسيف فحل المشرق الأفشين^٤ .

(١) امرأ الشعر ١٩٤ (الطبعة الثانية ١٦٠ - ١٦١) .

(٢) خ ١٠٢ - يتخيل الشاعر هنا ان للرماح عيوناً ابصرت المقتل (من بابك الحرمي) ولكن قضاء الله الذي لم يكن قد حان بعد مد بين عيون الرماح وبين قلب بابك سترأ مرضها فاضلت المقتل (ونجا بابك) .

(٣) خ ١٢١ - يخبرنا ابوتمام ان الممدوح (محمد بن الهيثم) لبس العريكة طيب النفس ، حتى لو ان اخلاقه تجس باليد لما شك انسان في انها ثوب من الحرير رقيق . راجع سر الفصاحة ٢٤٩ .

(٤) خ ٣٢٦ - ما زالت مدينة البذ (معقل بابك) بكر محصنة بعيدة المنال حتى استطاع القائد الافشين التركي (المشرق) ان يكون اول بان بها (متزوج بها = اول من أخذها عنوة) .

— وركب يساقون الركاب زجاجةً من السير لم تقصِد لها كف قاطب؛
 فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى ، وصارت لها أشباههم كالغوارب^١ .
 ولكن يجب ألا نجفيل كثيراً من الغموض والتعقيد في الشعر ، كما يقول
 نقر من النقاد ، فإن الشعر لا يمكن أن يكون الكلام المتداول المألوف . من
 من أجل ذلك وجب أن نعتذر للشعراء كثيراً مما يظهر في شعرهم من ذلك .
 « ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعراً لوجب ألا يرى لأبي تمام
 بيت واحد ؛ فإنا لا نعلم له قصيدة تسلم من بيت أو بيتين قد وفرّ من التعقيد
 حظهما وأفسد به لفظهما . ولذلك كثر الاختلاف (أي اختلاف الناس) في
 معانيه ، وصار استخراجها باباً منفرداً ينتسب إليه طائفة من أهل الأدب ،
 وصارت تطارح في المجالس مطارحة أبيات المعاني وألغاز المعنى^٢ .
 وهذا يكاد يكون عاماً في الشعر كله ، قال الجرجاني^٣ : « وليس في الأرض
 بيت من أبيات المعاني لقديم أو مُحدث إلا ومعناه غامض مستر ؛ ولولا ذلك
 لم تكن إلا كغيرها من الشعر ، ولم تفرّد فيها الكتب المصنفة ، وتشغل
 باستخراجها الأفكار الفارغة^٤ . » على أن الذي يُؤخذ على أبي تمام أن ديوانه
 مشحون بالغموض والتعقيد^٥ .

قوى الفكر غواص على المعاني .

قال المبرد^٦ « لأبي تمام استخراجات لطيفة ومعانٍ طريفة ، وهو صحيح

(١) خ ٤١ ؛ امراء الشعر ١٩٦ - ١٩٧ - يجعل اهوتمام السير خراً صرفاً غير مزوجة ؛
 يديرها الركبان بينهم فتورثهم شدة في سيرهم من غير تفكير بمآل ؛ ثم ان اجهاد النياق بالسير
 قد اذاب سنامها ؛ وكان السير الكثير ايضاً قد انحلهم هم انفسهم فأصبحت اجسامهم النحولة
 كأنها هي سنام الابل (راجع ايضاً شرح النبريزي ٢٠٩ : ١) .

(٢) الوساطة ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٣) الوساطة ٤٣١ .

(٤) الافكار الفارغة : التي ليس لها مشاغل .

(٥) الوساطة ٤٣٣ .

(٦) اخبار ابي تمام ٩٦ - ٩٧ ؛ اخبار البحري ١٦٤ - ١٦٥ .

الخاطر حسن الانتزاع (للمعاني وللصور الشعرية) . وأبو تمام يقول النادر والبارد ، وما أشبهه إلا بغائص يخرج الدرّ والمخشليّة^١ . والصولي يقول^٢ : « ان أبا تمام يصنع الكلام ويخترعه ويتعب في طلبه حتى يُبدع ، ويستعير^٣ ويُغرب^٤ في كل بيت إن استطاع وأبو تمام لا يسقط معناه البتّة ، وإنما يختلّ في (بعض) الوقت لفظه . فاذا استوى له اللفظ ف (ذلك) هو الجيد من شعره النادر الذي لا يتعلّق به » .

تفاوت شعره

بدأ الأمدي حجاجه عن البحرّي وحملته على أبي تمام بقوله^٣ : « ووجدت - أطال الله عمرك - أكثر من شاهدته ورأيت من رواة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبي تمام لا يتعلّق بجيده جيد أمثاله ، ورديته مطروح مرذول » . وعلى هذا سار الأصفهاني فقال^٤ : « والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلّق به أحد ، وله أشياء متوسطة ، و (أشياء) رذلة جدا » . كل هذه الأحكام ترجع بلا ريب إلى قول البحرّي عن أبي تمام وعن نفسه^٥ : « جيده خير من جيدي ، ورديتي خير من رديته » .

ولقد أنصف الجرجاني لما استعرض أقوال النقاد في أبي تمام ثم وازن بين هذه الأقوال وبين شعر أبي تمام ، وقد استشهد ببعض غرره وقلائده ، فقال^٦ : رأيت أبا تمام يترقى في هذه^٧ الدرّج العالية ويتصرف هذا التصرف المعجز ، ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب . ويلوم الجرجاني

(١) خرز أبيض يشبه اللؤلؤ .

(٢) أخبار البحرّي ١٦٥ - ١٦٦ ، راجع ٥٧ - ٥٨ ، غ ١٥ : ٩٦ .

(٣) الموازنة ١ .

(٤) غ ١٥ : ٩٦ .

(٥) أخبار البحرّي ٥٧ .

(٦) الوساطة ٦٥ ، راجع ١٨ ، ٢١ ، ٦٢ - ٧٨ .

(٧) في الأصل « هذا » . - الدرجة (بالضم ، أو بفتح ففتح ، أو بضم وفتح) : المرقاة .

أبا تمام - مع شدة حبه له^١ - على أنه يأتي بالأبيات الرائعة الأنيفة ، ثم يأتي له في أثناءها بيتٌ ضعيف فينقلق هذا البيت الضعيف في موضعه وتتخلخل القطعة كلها . ان البيت الضعيف إذا جاء في أثناء أبيات بارعة أو متينة اشتد ضعفه بروزاً ، كما أن البيت البارع المتين إذا وقع في الأبيات السخيفة الركيكة ضاع جماله ولحفته هجئته . ويتمنى الجرجاني أن لو كان أبو تمام قد حذف الأبيات الغثة الركيكة من ديوانه ولو ذهب في ذلك نصف شعره . ويردّ الجرجاني أكثر عيوب أبي تمام إلى شدة تكلفه للمعاني البعيدة وإلى الجِدِّ في تطلب البديع ، فان التكلف ، في رأي الجرجاني^٢ ، « قد يكون سبباً إلى طمس المحاسن » .

التشبيه والاستعارة

ويتبع أغراب أبي تمام في المعاني عموماً ، بعد تشابيهه واستعاراته . ولكن لا يعزبن عن بالك أن الناس يميلون إلى ما ألفوا ويصدون عما لم يعرفوا . وقد صرح بذلك الأمدى^٣ فقال عن أبي تمام : « ولو ... اقتصر من القول على ما كان مخدراً حذو الشعراء المحسنين ... لظننته كان يتقدم عند أهل العلم بالشعر أكثر الشعراء المتأخرين » . وعلى هذا انتقد له « رقيق حواشي الحلم » لأنه ما علم أحداً من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقّة ، وإنما يوصف الحلم بالعِظَم والرجحان والثقل والرزانة ...^٤ وانتقد له : من الهيف لو أن الخلاخل صيرت لها وشحاً جالت عليها الخلاخل . فقال « وهذا الذري وصفه أبو تمام ضد ما نطقت به العرب ... »^٥ ، لأن

(١) قال الجرجاني : « ولست أقول هذا غضاً من أبي تمام ، ولا تهجيناً لشعره ، ولا عصبية عليه لنيره . فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه ، وأنحل مولاته وتمظيحه ، وأراه قبلة أصحاب المعاني وقدوة أهل البديع » (الوساطة ١٨) .

(٢) الوساطة ١٨ .

(٣) الموازنة ٥٦ .

(٤) الموازنة ٥٧ ، ثم ٥٧ - ٥٩ ، راجع الوساطة ٧٦ .

(٥) الموازنة ٥٩ ، الوساطة ٧٦ .

العرب تجعل الخلاخل ضيقة في الأرجل ، وتحب النساء البديئات . وانتقد له
« عرض الدهر » ، « والزمان لا عرض له على الحقيقة »^١ .

وأخذوا على أبي تمام من استعاراته قوله^٢ :

فَضْرِبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعِيهِ
ضَرْبَةً غَادَرْتَهُ قَوْدًا رَكُوبًا ،

وقوله : « يا دهر قوم من اخدعيك^٣ ... » فالآمدي لا يعترف للشتاء باخدعين
« عرقا العنق » ، وإنما هما للبشر أو للحياء على الأقل . ثم ان الأستاذ ضومط
يساير الآمدي الى حدّ فيقول : « إنه (أي أبا تمام) يصور الشتاء بغيراً
صعباً وقد ركبه الممدوح فعاصى عليه في سيره فضربه ضربة شديدة في كل من
اخدعيه فذل وأطاع ؛ ... ان الاستعارة بالكناية في البيت بعيدة عن المؤلف ،
ويصعب على الذهن تصورها » .

فأنت إذا رأيت الأسس التي ، اتخذها النقاد لنقد شعر أبي تمام ، علمت أنها
صحيحة بالإضافة إلى أنفسهم - أي إلى ما ألفوا وما لم يألفوا - لا بالإضافة إلى
ما يمكن أن يفهم منها بعد إعمال الفكر . ولا ريب عندنا في رجاحة رأي ابن
رشيق : « والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر ، فان وقع فيه منهما
شيء فبقدر . ولا يجب أن يجعل نصب العين ويكونا متكئاً واستراحة ؛ وإنما
الشعر ما أطرب ، وهز النفوس وهز الطباع ... » ، ثم نقل ابن رشيق رأي
الجاحظ في مكان آخر فقال : « أجود الشعر ما رأته متلاحم الأجزاء سهل
المخارج ... فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان . وإذا كان الكلام على هذا
الأسلوب الذي ذكر الجاحظ لذ سماعه ونخف محتمله وقرب فهمه وعذّب
النطق به^٤ ... »

على ان تكلف أبي تمام قد جعل كثيراً من استعاراته سيئة لنفرتها في الذوق

(١) الموازنة ٨٢ .

(٢) ديوان خ ٢٧ ، الواسطة ٦٨ ، راجع ٤٤٦ ؛ سر الفصاحة ١١٧ ، راجع أمراء الشعر ١٦٢ .

(٣) الموازنة ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، الواسطة ٤٤٦ ، مجلة الكلية آذار ١٩١٤ .

(٤) للعدة ١ : ٨٣ ، ثم ١٧١ - ١٧٢ .

واستحالتها في العقل كقوله مثلاً^١ :

باشرتُ أسبابَ الغنى بمدائحٍ ضربتُ بأبواب الملوك طبولاً .

ومرد هذه السيئة عند أبي تمام ، في رأي الجرجاني ، ان الشعراء كانوا يجرون في الاستعارة « على نهج منها قريب من الاقتصاد ، حتى استرسل فيه أبو تمام ومال إلى الرخصة فأخرجه إلى التعدي » .

ولكن يجب ألا نقرّ النقاد على كل شيء أخذوه على أبي تمام ، أو على غيره ، فقد لا يكون المعنى من سوء بحيث يظنون ولا الاستعارة من البعد بحيث يحسبون . روى الجرجاني^٢ بيت أبي تمام (ديوان خ ٧٥) :

شاب رأسي ، وما رأيتُ مَشيباً إلا رأس إلا ممن فضل شيب الفؤاد .

ثم قال : « وهذا مما استقبح من استعاراته » ، يقصد استعارة الشيب للفؤاد (للقلب) . ولعل الجرجاني قد أتى في ذلك من استغراب نقر من جلساء أحمد بن أبي درّاد لهذا البيت . هذا البيت من قصيدة قالها أبو تمام في مدح أحمد بن أبي دواد ، هي^٣ :

سعدتُ غربةُ النوى بسعادٍ فهي طوعُ الإتهام والإنجاد .

قيل لما وصل أبو تمام إلى البيت : « شاب رأسي » قال بعضهم : وكيف يشيب الفؤاد ، فرد عليهم أبو تمام قيل ، بيت ارتجله :

وكذاك القلوبُ في كل بوَسٍ ونعيمٍ طلائعُ الأجساد .

قد تكون الاستعارة بعيدة : « أي تشبيه القلب بانسان يشيب رأسه » ، ولكن المعنى صحيح . يقصد أبو تمام — مما رأينا من البيت الذي ارتجله رداً على من اعترضه في ذلك — أن الشيب في الرأس علامة على ضعف المنّة الجسدية . ان الشيب الطبيعي يأتي من التقدم في السن ، والتقدم في السن يجعل الجسم

(١) الوساطة ٣٩ .

(٢) الوساطة ٢٥٠ .

(٣) ديوان خ ٧٥ - ٧٨ .

ضعيفاً . فالشيب الذي يأتي أيضاً مع تقدم السن هو علامة ظاهرة على الضعف المستتر في الجسم . وصَرَفَ التبريزي البيتين بيسرٍ ، إذ قال في معنى البيت الأول : « أي ما شبت للكبير ، إنما للهجوم » . وقال في شرح البيت الثاني « أي كل ما يحدث بالجسم فاعلم انه بدأ بالقلب أولاً » ١ .

نحن نعلم أن شعر أبي تمام ليس من هذا النوع الذي يقرب فهمه ويعذب النطق به . ولكنه من ذلك النوع الذي تطرب له العقول المثقفة والأفكار النيرة وأهل الاطلاع الواسع ؛ وكل ذنب أبي تمام عند قوم آخرين انه بحث عن أوجه للشبه جديدة واستعارات بعيدة عن المؤلف أوحى بها إليه اطلاعه الواسع وفكره القوي وروحه الوثاب ، فاستبعدها الناس واستغربوها وحملوا عليه من أجلها . وينصف الجرجاني حينما يقول : ان إساءة الشاعر في بيت أو في قصيدة لا تسقطه من الشعراء ولا تقدح في شاعريته ٢ . إلا أن نفرأ من النقاد المحدثين كانوا يفضلون الجاهلي والإسلامي (الأموي) ثم يقرون للطبقة الأولى من المحدثين أمثال بشار وأبي نواس بشيء من الفضل ثم لا يرون فضلاً لتأخر قرب زمانه من زمانهم ٣ . وكان هؤلاء يتحاملون على الشاعر المحدث ولو كان محسناً . وربما سمع أحدهم الشعر غير منسوب فاستحسنه وطرب له ، ثم إذا نسب ذلك الشعر إلى قائله ، وكان قائله مُحدثاً ، ذمه وتبرأ من رأيه الأول ٤ . وعلى هذا كان بعض النقاد ينفضون يدهم من أبي تمام مرة واحدة ٥ .

كثرة اختراعه

قال ابن رشيق ٦ : « وأكثر المولدين معاني وتوليداً ، فيما ذكر العلماء ،

(١) ديوان ، شرح التبريزي ١ : ٣٦٠ .

(٢) راجع الوساطة ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٣) راجع الوساطة ٤٨ ، ٤٣٣ .

(٤) راجع الوساطة ٤٨ ، ٥٠ ، راجع ٧٨ ، ٤٣٣ .

(٥) الوساطة ٤٨ .

(٦) العمدة ص ١ : ١٨٩ .

أبو تمام « ؛ ولكنه شخصياً يميل إلى إعطاء هذا المركز لابن الرومي ، مع أنه كان قد شاركهما فيه قبل بضع عشرة صفحة^٢ حيث قال : « وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً ، فيما يقول الخذاق ، أبو تمام وابن الرومي .. »

والاختراع عند ابن رشيق خلق المعاني التي لم يسبق إليها ، والإتيان بما لم يكن منها قط . وأما ابن الأثير فأشد تحفظاً في أحكامه ؛ جاء في كتابه^٣ « قد قيل ان إبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين اختراعاً للمعاني ، وقد عددت معانيه المبتدعة^٤ فوجدت ما يزيد عن عشرين معنى . وأهل هذه الصناعة يكبرون ذلك ؛ وما هذا من أبي تمام بكبير^٥ » .

وإلى هذا أيضاً ذهب أبو الفرج الأصفهاني^٦ فقال عنه « شاعر مطبوع ، لطيف الفطنة ، دقيق المعاني ، غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره » . إلا أن النقاد لا يتفقون على أنه مطبوع .

اعتداده بشعره

نظر أبو تمام إلى نفسه فرأى قوة فكره ورأيه فقال^٧ :

فاسمع مقالة زائر ، لم تشبهه^٨ آراؤه عند اشتباه اليد .
— ليت شعري ماذا يربيك مني ، ولقد فقت فطنة الفيلسوف .
وأنت كيفما قلبت في ديوانه وجدت فكراً لا يكل على المدى بل يزداد دائماً قوة ونضجاً ، وكأنك من معانيه أمام سبل لا ينقطع . ويكفيه فخراً أنه جرح صحة تلك الفكرة القائلة : « ما ترك الأوائل شيئاً للأواخر » ثم

(١) ص ١ : ١٩٠ .

(٢) ص ١٧٧ .

(٣) المثل الثائر ١ : ١٩٣ .

(٤) لا شك في أنه يقصد المخترعة . انظر العمدة ١ : ١٧٠ .

(٥) راسع النماذج في الكلام على الفنون والاعراض : الحكمة والزهد .

(٦) الاغانى ١٥ : ٩٦ .

(٧) ديوان خ ص ٢٨٤ ، ٤٠٤ .

دلّ على أن قول عنزة « هل غادر الشعراء من متردم؟ لا يعني أن الأقدمين أتوا على جميع المعاني ؛ وعلى ان بيت زهير^١ :
 ما ترانا نقول إلا معاراً أو مُعاداً من قولنا مكرورا
 اما منحول أو انه حكم شخصي خاص . أما أبو تمام فيقول عن قصائده
 (ديوان خ ١٤٣) :

يقول من تفرعُ أسمعهُ : كم ترك الأولُ للآخرِ !
 وظفر ابن رشيق^٢ بهذا البيت فقال : « وعلى هذا القياس يُحمل بيت أبي تمام - وكان إماماً في هذه الصناعة غير مدافع - : « يقول من تفرع أسمعهُ .. »
 فنقض قولهم : ما ترك الأول للآخر شيئاً .

وقال أبو تمام في مكان آخر فزاد بياناً وكشفاً !
 فلو كان يفتى الشعرُ أفناه ما قرّت حياضكُ ، منه ، في العصور الذواهب
 ولكنه صوّبُ العقول ؛ إذا انجلت سحائبُ منه أعقبت بسحائب^٣ .
 ويؤكد لنا أبو تمام ذلك بقوله عن قصائده (ديوان خ ٨١) :
 مُنزّهة عن السرّاق المورّي ؛ مُكرّمة عن المعنى المُعاد^٤ .

(١) هذا البيت من قصيدة منسوبة لكعب بن زهير (ديوانه ، صنعه أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب . Bibl, D.M.G. fol. 125a, Cod. Soc. 83 وليس في ديوان زهير (المجموع نفسه) . وليس هذا البيت في ديوان زهير (القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م . وفي شرح ديوان كعب بن زهير^٥ من صنعة السكري (القاهرة ، دار الكتب ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م ، ص ١٥٤) :
 ما أَرانا نقول إلا رجيعاً الخ .

(٢) العدة ١: ٥٧ .

(٣) ديوان خ ٤٣ ، ديوان ، الاسود ١٢٤ . لو كان الشعر مقداراً محدوداً ينتهي لانتهى منذ زمن طويل لكثرة ما أعطيت الشعراء على منسك . ولكنه صوب العقول (انسكاب من العقول كانسكاب المطر من النمام) كلما تلاشت غمامة (بتحولها مطراً يسقط على الأرض) تهبتها غمامة اخرى (راجع ايضاً المختارات) .

(٤) الاغاني ١٥: ٩٧ .

ومعاني أبي تمام على كثرتها جيدة ؛ وحسبك أن يقول عمارة بن عقيل وقد سمع له أبياتاً من قصيدته : غدت تستجير الدمع خوف نوى غد : « لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه ، حتى لقد حبت إلي الاغتراب ! » ؛ يقصد بذلك قول شاعرنا (ديوان خ ١٠٠ - ١٠١) :

وطول مُقام المرء في الحي مُخلق لديباجتيه ؛ فاعترِبْ تتجددِ .
فاني رأيتُ الشمس زِيدَتْ محبةً ، إلى الناس ، أن ليست عليهم بسرمدِ .

مطالعه وتخلصه وخواتمه

في النقاد نفر يرون أن تكون مطالع القصائد بارعة جداً لأن المطالع أول ما يقرع الأذن من القصيدة ، ويسمونه ذلك براعة الاستهلال وحسن الابتداء . ويرى هؤلاء أن المطالع إذا كان حلو الألفاظ واضح المعنى متين التركيب ترك في نفس السامع أو القارئ أثراً باقياً قد لا يمحي ولو جاء في القصيدة عدد من الأبيات الرديئة . ومطالع أبي تمام بارعة في الأكثر ، وخصوصاً في الحوادث انكبار ، فمن مطالعه الجيدة :

السيف أصدق إنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب .
- من سجايا الطلول ألا تُجيباً فصوابٌ من مقلتي أن تصوباً .
- الحق أبلج ، والسيوف عوارٍ ؛ فحذارٍ من أسد العرين حذار !
- كذا فليجيل الخطب وليفدح الأمر ، فليس لعينٍ لم يفيض ماؤها عذراً .
ولكن له أيضاً مطالع لم تستحسن لما فيها من التعقيد أو لنفرتها في الذوق أو لغموض معناها . من هذه مثلاً (ديوان خ ٣٢١) :

خَشُنْتُ عليه ، أخت بني خُشين ؛ وأنجح فيك قول العاذلين ١ .

(١) الاصل في خشن كسر الشين ، ولكن الرواية في الديوان بضمها . وبنوخشين قبيلة من الهمن (راجع شرح التبريزي ٣ : ٢٩٧) . - يقول : قسوت عليه ، ايها الفتاة ، وقد صدقت فيه قول العذال (اللائمين ، الاعداء) .

ومن خصائص الشاعر المجيد « حسن التخلص » : أي الانتقال في القصيدة من غرض إلى غرض (من الوقوف على الأطلال إلى الغزل فالمدح فالحكيم مثلاً) انتقالاً طبيعياً معقولاً سريعاً ، لأن يتعثر الشاعر في انتقاله هذا فإذا به يقف في غرض وكأنه انتهى من مقصده ثم يبدأ فجأة بالغرض التالي . وإذا كان التخلص من غرض إلى غرض في بيت واحد كان ذلك احسن . ومما يُحمد لأبي تمام من التخلص قوله في بيتين يمدح بهما عبد الله بن طاهر ، وقد استغرب رفاقه بعد سفره :

يقول في قومه صحبي ، وقد أخذت منا السرى وخطى المهريّة القود^١ :

أَمَطَّلِعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَمْ تَوُومٌ بِنَا ؟ فقلت : كلا ، ولكن مَطَّلِعُ الْجُودِ !^٢

ويرى الجرجاني^٣ أن أبا تمام قد ذهب في التخلص كل مذهب واهتم به كل اهتمام . غير أن حسن التخلص في ديوان أبي تمام قليل جداً ، ذلك لأن أبا تمام شاعر مصنوع مقتدر ، لا شاعر مطبوع يجري على السجية . تأمل قوله مثلاً يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري (خ ١٠٨) :

تريدين المزيد ، وليس عندي وراء محلّ حبك من مزيد .

أما ، وأبي الرجاء ، لقد ركبنا مطايا الدهر من بيض وسود .

قلائصُ شوقهن يزيد شوقاً ويمنّعن الرقاد من الرقود .

إذا انبعثت على أملٍ بعيدٍ ، فقد أدنت من الأمل البعيد .

أبينّ فما يزرن سوى كريم ؛ وحسبك أن يزرن أبا سعيد !

فأبو تمام ينتهي من الغزل والنسيب فجأة ثم يبدأ ووصف الراحلة . غير أنه يختصر الانتقال من وصف الراحلة إلى المدح .

(١) خ ١٣٦ . - أخذت منا (نهكتنا ، اتمبتنا) . السرى (السفر ليلاً) وخطى (خطوات) ،

سير ، سفر) المهريّة (البياق من المهرة في جنوبي شبه جزيرة العرب) القود (جمع أفود وقوداء : الأبل الذلولة المعودة على السفر) .

(٢) أمطلع الشمس تبغي ؟ : لماذا هذا الامعان والايغال في السفر ...

(٣) الوساطة ٤٧ .

وأبو تمام يُحسِّن إختتام القصائد كما يحسن مطالعها . وخواتيم قصائد أبي تمام واضحة المعنى ينفق القصيد موجزة القول ترمخ في الذهن بأدنى تأمل . من ذلك قوله ١ :

كُتِبْتُ ، ولو قَدِرْتُ - هوى وشوقاً إليك - لكنتُ سطرّاً في الجوابِ !
وختم أبو تمام قصيدةً مدح بها أبا دُلْفِ العِجْلِيَّ بيتين هما ٢ :
أقولُ لأصحابي : هو القاسم الذي به شرح الجودِ التباس المذاهب .
وإنى لأرجو عاجلاً ان تردني مواهبه بحراً تُرجى مواهي .

مصادر معانيه

إذا تركنا المصدر الشخصي هذه المعاني ، وما تعلمه أبو تمام ورواه فاستقى منه ، ككثيرين من الشعراء ، رأيناهُ يأخذ المعاني أيضاً من أفواه الذين لا يقصدون ان يخرجوا ادباً لأنفسهم .

جاء في الاغاني ٣ : « مر أبو تمام بمخنث يقول لآخر : جئتك امس فاحتجبت عني ؛ فقال له : السماء اذا احتجبت بالغيم رُجتي خيرها ... » قال من روى عنه الاصفهاني « فتبينت في وجه ابي تمام انه قد أخذ المعنى ليضمته في شعره ، فما لبثنا اياماً حتى أنشيدت قوله :

ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً ؛ ان السماء تُرُجتي حين تُحتجبُ .
وبجانب هذا النوع نوع آخر اختلف الناس في تسميته ؛ فقال بعضهم إنه سرقة ، وقال آخرون انه ابتداء .

يعتقد الآمدي ٤ أن ابا تمام شُغف بالشعر ومطالعه « وانه ما من شيء كبير

(١) ديوان ٥٧ ؛ اعيان الشيعة ١٩ : ٢٣٢ .

(٢) ديوان ٤٣ ؛ اعيان الشيعة ١٩ : ٢٣٢ ؛ راجع المختارات

(٣) الاغاني ١٥ : ١٠٣ .

(٤) الموازنة ص ٢٣ .

من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث الا قرأه واطلع عليه . لذلك تمكن من سرقة معانٍ كثيرة خفياً أكثرها لقلة اطلاع الناس على ما اطلع عليه ابوتمام . ويبي هذا القول اثنان وثلاثون صفحة يرد الآمدي فيها ابياناً لا يبي تمام الى المصادر التي سرقت منها ، ويأخذها بها اخذاً شديداً ؛ مع ان الآمدي نفسه يقول حينما يعرض لسرقات البحري^١ : « انه غير مُنكر ان يكون (البحري) اخذ منه (من ابي تمام) لكثرة ما كان يرد على سمع البحري من شعر ابي تمام فيعتلق معناه قاصداً الأخذ او غير قاصد ... » و (ان هناك) ما يشترك فيه الناس ، وتجري طباع الشعراء عليه ؛ ... ثم اضاف الى ذلك قوله^٢ : « ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوي الشعراء وخاصة المتأخرين ، اذ كان هذا بابا ما تعرّى منه متقدم ولا متأخر^٣ ... »

ليس من المستغرب ان يكون ابوتمام قد أخذ عدداً من معانيه من غيره ، ولكن المستغرب أن يتبع النقاد المتحاملون عليه ألفاظه ثم يزعمون أن كل بيت شاكلت لفظه من ألفاظه لفظه في بيت شاعر آخر بيت مسروق^٤ .

اكن هذا كله لا يعني أن ابا تمام لم يُبلم بمعاني الشعراء . لقد ألمّ أبو تمام بمعنى النابغة الذبياني في تحليق الطيور فوق الجيش الذاهب الى الحرب : « إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير ... »^٥ فقال^٦ :

وقد ظَلَلتْ عِقبانُ أعلامِهِ ضُحىً
بعِقبانِ طيرٍ في الدماءِ نواهِلٍ^٧ .
أقامت مع الرايات حتى كأنها
من الجيش إلا أنها لم تُقاتل .

(١) الموازنة ص ٢٢ .

(٢) الموازنة ص ١٢٤ .

(٣) راجع في السرقات الشعرية الوساطة: الجرجاني ١٧٨-٢٠٩ .

(٤) راجع الوساطة ٢٠٢ وما بعدها ، وخصوصاً ٢٠٥ وما بعدها ، ٢١٦ ، ٢٧٠-٢٧١ ، ٢٩٧ .

(٥) ديوان النابغة (بيروت ١٣٤٧هـ-١٩٢٩م) ص ١٠ ؛ ديوان مسلم بن الوليد ٣٠٨-٣٠٩ .

(٦) ديوان خ ٢٤٨ ؛ راجع تفصيل ذلك في أخبار أبي تمام ١٦٣-١٦٦ .

(٧) العقاب (بالضم) ؛ طائر من الجوارح . والعقاب : الراية ، وجسمها عقبان (بالكسر) .

وكان أبو تمام شديد الإعجاب بصريح الغواني مسلم بن الوليد وبأبي نواس ،
وقد أقسم مرة ألا يصلي حتى يحفظ شعرهما^١ . ثم ان أبا تمام كان يتبع مذهب
مسلم بن الوليد في البديع^٢ فليس بعجيب أن يكون قد ألمّ بمعان كثيرة له^٣ .
وكذلك ألم أبو تمام بمعان لأوس بن حجر الجاهلي^٤ ولمسلم بن الوليد العباسي^٥
ولأستاذه ديك الجن^٦ وغيرهم أيضاً .

لا يتسع المقام هنا لذكر عناصر السرقة في الشعر كما فصلها ابن رشيق عن
المصادر التي استقى منها^٧ ، فالقول متشعب والحكم نسبي ذاتي . غير أن ما لا
يغتفر أن يأخذ الشاعر قول شاعر آخر بظله المخصوص ، ثم يسوقه في ألفاظ
متفقة أو مختلفة . أما إذا راقه معنى ورأى أن بعض نواحيه قد خفيت على
صاحبه فجلا تلك المعاني فهو كأنه قد اخترع ذلك المعنى أو أبدعه . وأحسن
مثال على ذلك ما رواه الأصفهاني^٨ فقال :

« حدثني هارون بن عبدالله المهلي قال : كنا في حلقة دعبيل ، فجرى
ذكر أبي تمام ؛ فقال : دعبيل كان (أبو تمام) يتبع معاني فيأخذها . فقال له
رجل في مجلسه : وأي شيء من ذلك ، أعزك الله ؟ قال : قولي :

وإن امرأ أسدى إليّ بشافع إليه ، ويرجو الشكر مني لأحمق .
شفيحك فاشكر في الحوائج ، إنه يصونك عن مكروها وهو يخلق .

(١) ديوان مسلم ٢٤٧ .

(٢) ديوان مسلم ٢٢٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ الخ .

(٣) ديوان مسلم ٢١-٢٢، ٢٦، ٢٢٢، ٤٥٠، ٤٥٠، ٦٠٤، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٨، ٢٩٩؛ راجع أخبار أبي تمام ٧٨

(٤) أخبار أبي تمام ٥٣ - ٥٤ .

(٥) ديوان مسلم ٢٨٧ عن كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للمرى الرفاء ؛ أخبار

أبي تمام ١٧٣ .

(٦) العمدة ١ : ٦٤ .

(٧) العمدة ٢ : ٢١٥ - ٢٢٦ .

(٨) الاغانى ١٥ : ٩٧ - ٩٧ . أخبار أبي تمام ٦٣ - ٦٥ .

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال ١ :

فلقيتُ بين يديك حلوَ عَطائِهِ ، ولقيتَ بين يديّ مر سؤالِهِ .

وإذا امرؤُ أسدى إليك صنيعاً من جاهِهِ ، فكأنها من مالِهِ !

... فقال : والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى به منك ؛ وإن

كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه ... »

وقد اتفق أيضاً أن اختار أبو تمام في حماسته بيتين في الأدب لأحد

الشعراء ٢ نراهما في إحدى مقطوعاته ، ومطلعها (ديوان خ ٤٨٥) :

إذا جاريتَ في خُلُقٍ دنيئاً فأنت ومن تجاربه سواء ،

قبل قالها معرضاً فيها ببعض بني حميد لأنه لم يستطع أن يهجوهُ لِمَا لآل

حميد من الحب في قلبه والوفاء من نفسه ؛ ولا ريب في أن هذا نوع من السرقة

صحيح ؛ ولو ظفر الأمدى بهذين البيتين لألف في مثالب أبي تمام كتاباً جديداً .

ولقد فطن التبريزي شارح ديوان الحماسة إلى شيء من ذلك فقال إن أبا تمام

اشتق معانيه لنفسه من الشعراء الذين اختار لهم في « الحماسة » ، فقد أخذ

معنى من الحارث بن همام الشيباني ٣

وحمل دعبل على أبي تمام متهماً إياه بسرقة أجمل مرثية « كذا فليجلّ » ،

من مرثية لأبي مكنيف المُرزني ، من ولد زهير بن أبي سلمى ، في ذفافة بن

عبد العزيز العبسي ٤ ، هي ٥ :

أبعدَ أبي العباس يُستعَبُّ الدهرُ ؛ وما بعده للدهر عُتبي ولا عذر ؟

ألا أيها الناعي ذُفافة ذا الندى ، تَعِسْتَ وُشِلتَ من أناملِك العشر !

(١) ديوان خ ٢٤٠ ٤ شرح التبريزي ٣ : ٦٠ .

(٢) ٢٠ : ٢ .

(٣) شرح ديوان الحماسة

(٤) الوساطة ١٨٧ - ١٨٨ .

ولا مَطَرَتِ أَرْضاً سِمْاءُ ، ولا جَرَّتْ
 كأن بَنِي القَعْقَاعِ ، بعد وفاتِهِ ،
 تُؤَفِّقَتِ الآمالُ بعد ذُفَافَةٍ
 يُعَزَّوْنَ عَن ثاوٍ تُعَزَّى بِهِ العَلِي ؛
 وما كانَ إلا مالَ من قَلَّ مالُهُ ،
 نجوم ، ولا كَذَّتْ لِشارِبِها الحَمَرُ .
 نجوم سِمْاءِ خَرَّ من بَينِها البَدَرُ .
 فأصْبَحَ في مُشْغَلٍ عَن السَّفَرِ السَّفَرُ .
 ويبيكِي عَليه البَأْسُ والمَجْدُ والشَعْرُ .
 وذُخْرًا لِمَن أَمسى وَليسَ لَهُ ذُخْرُ .

ثم نظم مرثيته في أبناء حميد الطوسي فقال :

كذا فلبَّجِلَ الخُطْبُ ، وليفدح الأمرُ ،

فليس لعين لم يفيض ماؤها عنذرُ .

بعد ذلك أثبت البيت الرابع بعد وضع كلمة : نبهان مكان القعقاع ؛ وغير
 ذفافة في البيت الخامس فجعلها محمداً ؛ ثم أثبت البيتين : السادس والسابع
 من غير تغيير .

على أن دَعْبِلَ بنَ عَلي الخُزَاعِي هو الذي لَفَّقَ هذه الرواية ، وَنَحَلَ أبا
 مَكْنَفَ هذا الأبيات التي زعم أبا تمام سرقها . ولا ريب في أن أدنى معرفة
 بالشعر والبلاغة تحيل الالتحام بين الأبيات الثلاثة الأولى وبين الأربعة الأخيرة .
 فالثلاثة الأبيات الأولى أشبه شيء بشعر عنتر المنحول في القصص ، بينما
 الأربعة التالية تنطق بشاعرية فياضة وعبقرية لا شك فيها .

ولم يغب شيء من هذا على النقاد المعاصرين لأبي تمام ولا على رواة الأدب ،
 فقد قال علي بن الجهم الشاعر أن دعبلًا كان يكذب على أبي تمام ويضع عليه
 الأخبار . وقد ذكر الصولي ذلك فقال : « وقد رأيت ، أعزك الله ، بعض
 هؤلاء الجهلة يصحّف على أبي تمام ثم يعيب ما لم يقله قط » . ويبدو أن لذفافة
 المزني هذا مرثية من بحر مرثية أبي تمام في محمد بن حميد وعلى رويتهما ، ولكن
 لا صلة لمرثية أبي تمام بها . ثم إن الأبيات التي زعم دعبل أن أبا تمام أخذها من

(١) أخبار أبي تمام ص ٦١ .

مرثية ابي مكنف تم حور فيها حتى توافق غرضه - وهذا مدار التهمة
- غير موجودة في شعر ابي مكنف أصلاً^١ .

والواقع أن نقرأ من الناثرين والشعراء كانوا يأخذون من معاني أبي تمام
إعجاباً بها . حتى أن إبراهيم الصولي^٢ الذي ما اتكل يوماً على غير ما يجيش في
صدره لم يملك إلا أن يقبس من أبي تمام معاني وردت في أبياته التالية^٣ :

إذا مارقٌ بالغدر حاول غيرة ، فذاك حريّ أن تميم حلالته^٤ .

فان باشر الأصحار فالبيض والقنا قيراه ، وأحواض المنايا مناهله^٥ .

وان يبئن حيطاناً عليه فانما أولئك عقالاته لامعاقله^٦ .

وإلا فأعلمته بأنك ساخط ودعه ، فان الخوف لا شك قاتله .

فقال مقتبساً : « وصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم ، وما كان يعقلهم

(١) أخبار أبي تمام ٢٠٠ - ٢٠١ ؛ هبة الايام ١٤٨ - ١٤٩ ؛ أعيان الشيعة ١٩ : ٤١٩ - ٤٢٣

(٢) ابن خلكان ١ : ٢٦ المظيمة الوطنية ١ : ١٥ - ١٦ ؛ والصولي هذا هو ابراهيم بن العباس

ابن محمد بن صول ، توفي ٢٤٣ هـ نصف شعبان (ابن خلكان ١ : ٢٨)

(٣) اخبار ابي تمام ١٠٢ - ١٠٣ . الاغانى ١٥ : ٩٧ ، ٩٨ ، الديوان ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٤) اذا مارق (خارج من الدين ، مرتد ، لأنه ثار على الخليفة) بالغدر حاول غيرة (نكث

بالعهد وخلع البيعة للخليفة من عنقه بالثورة) ، فذاك حري ان (خليق به ان ، يجب

ان) تميم حلالته (ان تفقده نساؤه ، ان يقتل فتصبح حلالته أيامي) .

(٥) باشر : ولي الامر بنفسه . الاصحار : الخروج من المكان المسقوف الى المكان المكشوف

ار من المدينة الى الغضاء المحيط بها . البيض والقنا : السيوف والرماح . قيراه : ضيافته ،

طعامه . المناهل جمع منهل : مكان الماء الذي يستقي منه الناس ويشربون . - اذا جسر

ان يخرج بنفسه (ليلقى المسلمين في معركة مكشوفة ، فانه سيلقي حثفه) سيموت :

سأكل من السيوف والرماح ويشرب أحواض الموت .

(٦) وان يبئن حيطاناً عليهم (اسواراً للامتناع وراها من هجوم الجيوش الاسلامية ، فانما

أولئك (تلك الحيطان) عقالاته (جدران ، سجن حوله) . والمقالات (بضم المين

وتشديد القاف) جمع عقال : داء في رجل الدابة اذا مشت ظلمت ساعة ثم انبسطت (

القاموس ٤ : ١٨ ؛ الديوان بشرح التبريزي ٣ : ٢٨) . والأليق ان يكون المعنى :

ان تلك الحيطان تمسكه وتمنع حركته ، المعائل جمع معقل : الحصن .

يعتقلهم فأنزلوه من معقل إلى عقال . أما الشعراء الذين أخذوا من معاني أبي تمام فكثيرون منهم البحرى والمتنبى وسواهما^١ .

وقد أعجِب أيضاً بهذه المعاني الشعراء حتى الأعداء منهم كدعبل^٢ . وأعجِبُ من هذا كله وأغرب أن أبا تمام ظل قوي الفكر طول حياته ؛ فانه « اختُرْم (مات) وما استمتع بخاطره ، ولا نُزح ركي (بر) فكره حتى انقطع رشأ عمره^٣ (حبل عمره) » .

العروبة والاسلام في شعر أبي تمام

ولد أبو تمام رومياً نصرانياً ، ثم دخل في الإسلام قبل أن يبلغ من العمر سنّاً تستحكم فيها العقيدة في النفوس فهماً أو تقليداً . والصابثون من عقيدة إلى عقيدة ، والنازعون عن مبدأ إلى مبدأ ، والمنقلبون من سياسة إلى سياسة ، تعظم عصبيتهم للحال الجديدة التي صاروا إليها وتزيد نفرتهم من الحال التي كانوا عليها . ثم هم يحرصون على أن يقنعوا جماعتهم الجديدة بأنهم قد اختاروا المذهب الجديد إيماناً واقتناعاً وروية . من أجل ذلك نرى لهم تلك الحمية الجاهلية ، وإن كانت حمية صادقة في كثير من الأحيان . انهم يريدون أن يُشهدوا قومهم بالجدد على أنهم قد قطعوا ما بينهم وبين ماضيهم مرة واحدة . وأبو تمام مثل بارع على هذه القاعدة .

ولقد سبق لنفر من الشعراء ، منذ صدر الدعوة الإسلامية ، أن نثروا في شعرهم أقوالاً تدل على تعاقبهم بالإسلام وشادوا بالعروبة أو العروبية من حيث اتصالها بالإسلام نفسه^٤ . ولكنني لا أعرف شاعراً قبل أبي تمام جعل ذلك وُكده في ديوانه ثم أخرج تلك المخارج المتعددة المنازع والصور . وأنا لن أشغل نفسي

(١) راجع الوساطة ٢٠١ وما بعدها .

(٢) الاغاني ١٥ : ١٠٣ س .

(٣) الاغاني ١٥ : ٩٨ .

(٤) Das Bild des Fruehislam ... 128-134. (٤)

هنا باستقصاء أبياته التي أشار فيها إلى آيات القرآن الكريم وإلى الأحاديث الشريفة إشارة أو اقتباساً أو تضميناً^١ ، فإن هذه كثيرة في ديوانه كثرة تعيا على الحصر . وكذلك لن أتبع في شعره تفاصيل العبادات ولا فنون علمه بالأديان ، فما ذلك كله من قصدي هنا . ولكنني سأبسط رأي أبي تمام من الناحية السياسية القومية .

من الصعب أن نفرق في ديوان أبي تمام ، وفي دواوين غيره من الشعراء إلى عهد قريب ، بين العرب والمسلمين ، أو بين مدرك العروبة ومدرك الإسلام . مدح أبو تمام حفص بن عمر الأزدي فقال (ديوان خ ١٣١) :

فأنت - وقد مجت خراسان داءها
وأوباشها خزر إلى العرب الأولى
وراموا دم الإسلام لا من جهالة
ضمت إلى قحطان عدنان كلتها ،
ولما أمات أنجم العرب الدجى
سرت وهي أتباع لكوكبك السعد^{١٤}

وقد تغلّت أطرافها تغلّ الجلد^٢ ؛
لكيما يكون الحر من تحوّل العبد^٣ ؛
ولا خطأ ، بل حاولوه على عمد -
ولم يجدوا إذ ذاك من ذاك من بدّ .

وليس من المستغرب أن نرى أبا تمام يجعل العجم في الإسلام مثل العرب ، فإن العصور الوسطى لم تعرف جامعاً سوى الدين . وهكذا قال أبو تمام يمدح

-
- (١) الاستشهاد بآية من القرآن الكريم استشهاداً تاماً أو استشهاداً جزئياً .
(٢) أنت مبتدأ خبره ضمت في البيت الرابع الذي يلي (راجع شرح التبريزي ٢ : ١٢١) . في ديوان خ ١٣١ : فأبت (رجعت) . مجت خراسان داءها : لفظته ، ظهر داؤها (عمت الفتنة فيها) . تغلّت أطرافها : فسدت (بالمصيبة أي بالقتال بين قيس واليمن) . نغل الجلد : قد وائن (بسوء الدبغ أو بإهمال الدباغ) .
(٣) الأوباش (جمع وبش بفتح ففتح) : الاخلاط من الناس والسفلة . خزر جمع أخزر : من ينظر من طرف العين (من المكر أو العداوة) . التحول (بلفظ واحد للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث) : العبيد والخدم .
(٤) أمات أنجم العرب الدجى : تغلب العرب على خصومهم في الفتنة .

إسحق بن إبراهيم المصعبي ويذكر شجاعته وهمته (ديوان ع ٣٠٣) :
أطعت ربك فيهم ، والخليفة قد أرضيته ، وشفيت العرب والعجم .

وكل صلة عند أبي تمام تنقطع سوى صلة المسلمين برسول الله ١ :

نرمي بأشباحنا إلى ملكٍ نأخذ من ماله ومن أدبه ٢ :

نجمُ بني صالحٍ ، وهم أنجم الـ عالم من عجمه ومن عربيه ؛

رهط النبي الذي تُقَطَّعُ أسـ باب البرايا سوى سيبه .

مهذبٌ قَدَّتِ النبوة والإسـ لام قدَّ الشراك من نسبه ٣ .

من أجل ذلك كله كانت القدوة العظمى برسول الله وحده ٣ وكان فضل المسلم ، خليفة أو أميراً أو قائداً أو فرداً من عامة الناس ، أن يكون في نصرة الإسلام ٣ ، والمحامي عن الإسلام ٤ ، وفارس الإسلام ٥ ، وأن يوطد أعلام الهدى ويقر عمود الدين ٦ . فاذا استغاث الإسلام وجب على المسلمين أن ينجدوه ٧ بما عرف عنهم من الشجاعة ٨ ، لأن الإسلام لا يعز إلا بمقارعة أعدائه إذا هم به أعداؤه ٩ . والأسلام سيشكر ما يوليه إياه أهله من تجدة وظفر ١٠ . ولا يفرق أبو تمام في ذلك الشكر لأهل تلك التجدة بين الإسلام والدولة والعرب ، قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ويصف شيئاً من بطولته في هزم بابك الخرمي ثم يحار في الإعراب عن الشكر له :

تالله أدري ، أالإسلام يشكرها ، من وقعة ، أم بنو العباس أم أدد ١١ ؟

(١) في الحديث المرفوع : « كل سب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » (شرح التبريزي ١ : ٢٧٦) .

(٢) قدت النبوة والاسلام قد الشراك من نسبه : النبوة والاسلام ونسبه من معدن (أصل) واحد . الشراك زيق من الجلد يؤخذ من قطعة كبيرة من الجلد فيها لذلك مثيلان في النوع .

(٣-١٠) ديوان خ ١٠٩٤٢٠ و ٣٠٢ ، ١٣٨ ، ٢٦١ ، ٢١٨ ، ٢٦١ ، ٢٦١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ على التوالي .

(١١) ديوان خ ٩٩ . - والله (لا) أدري ، من احق بشكرك على هذه المعركة : الاسلام ام بنو العباس (اي الدولة) ام ادد (قبيلتك) لأن ظفرك فيها كان فائدة للدين وللدولة ولقومك .

يوم به أخذ الإسلام زينتته بأسرها ، واكتسى فخراً به الأبد^١ .
 يوم يحيى ، إذا قام الحساب ، ولم يذُمَّمهُ بَدْرٌ ولم يُفَضَّحْ به أحدٌ^٢ .
 لم تبق مشركة إلا وقد علمت ، إن لم تتب ، أنه للسيف ما تلد^٣ .

وكان الإسلام لا يزال مهدداً من المشرق ومن المغرب : كان المشركون من الأعاجم يهددون الإسلام والمسلمين من الشرق ، وكان الروم اليوزانيون يهددون الإسلام والمسلمين من الغرب^٤ . ولم يستطع الإسلام أن يعيش ، في ذلك الحين ، في سلام مع أهل الشرك فاضطر اضطراراً إلى حربهم . قال أبو تمام في مديح أبي سعيد الثغري لمناسبة قتاله لبابك أيضاً^٥ :

لما أبوا حُجج القرآن واضحة كانت سيوفك في هاماتهم حججاً .

ولقد انتصر الإسلام على المشركين^٦ وعلى الروم (خ ١٥١) . ولم يستطع أبو تمام أن يرى الحرب بين العرب والأعاجم في المشرق إلا في لباسها الديني^٧ :

يا ربّ فتنة أمة قد بزّها جبارها في طاعة الجبار .

موتورة طلب الإله بثأرها ، وكفى بربّ النار مدرك نار^٨ .

وبما أن نفراً من الذين كانوا يحاربون العرب في المشرق كانوا مسلمين ، فإن أبا تمام سماهم منافقين^٩ . أما أبرز مواقف أبي تمام في ذلك فموقفه في قصيدته « فتح الفتوح » ، وهي موجودة في المختارات .

(١) يوم : معركة . الأبد : ما بقى من الدهر (سيبتي القفر بهذا الظفر في تلك المعركة الى الأبد) .

(٢) إذا قام الحساب : يوم القيامة . بدر : غزوة انتصر فيها الرسول على مشركي العرب

(٣) أحد : جيل قرب المدينة جرت عنده معركة (٥٣) انهزم فيها المسلمون .

— ان ظفرك في هذه المعركة قد زاد في وجاهة غزوة بدر ، ومحت هزيمة غزوة أحد .

(٤) ان لم تتب : ان لم تدخل في الاسلام . للسيف ما تلد : سيكون القتل في المعارك نصيب نسلها .

(٥) ديوان خ ٢٨٠ ، ١٨١ ، ٢٨٠ ، ٢٩٥ .

(٦) ديوان خ ٦٩ .

(٧ - ٦) ديوان خ ٢٦ - ٢٧ ، ٦٩ ، ١٤٨ ، ٢٠٢ ، ٢٥٩ ، ٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ثم ٣٢ ، ٣٣ ، ٢٩٧

(٨) ديوان خ ١٥٢ وما بعدها .

أول ما يطالعك في ديوان أبي تمام غرابة الألفاظ ، فأبو تمام مُعْزَمٌ أحياناً بالألفاظ الغربية التي يقلّ ورودها عند غيره . ثم انه كان يحب تلك الالفاظ التي كانت تدور في الأدب القديم وفي البيئة البدوية ، إذ كان من الذين يحبون الاقتداء بالقدماء^١ . وكذلك نجد عدداً من الكلمات يتردد في شعر أبي تمام : في البيت الواحد ، أو في أبيات من قصيدة واحدة ، أو في أبيات من قصائد مختلفة . لقد فعل أبو تمام ذلك كله ، بين الحين والحين ، « وأظهر التعجرف^٢ وتشبه بالبدو ونسي أنه حضري متأدب وقروي متكلف »^٣ فجاء من الألفاظ الغربية الحوشية بمثل قوله :

قد قلت ، لما اطلختم الأمر وانبعثت عشواءُ تاليةٌ غبساً دهاريساءُ :
- فعنيتها يعضيدها ، ووشيجها سعدانها ، وزميلها تنومها* .

- (١) الوساطة ١٨ ، راجع ١٩-٢١ .
 (٢) تعجرف الرجل : أظهر الجفوة في الكلام ، وتكبر .
 (٣) الوساطة ٧٠ .
 (٤) الديوان خ ١٧١ ، الوساطة ٧٠ . - اطلختم : أظلم . عشواء : (ناقة) ضعيفة البصر . تالية : تابعة ، تتبع . الغبس (جمع أغبس) : ذئب في لونها كدرة (كلون الرماد) . الدهاريس جمع دهرس (بفتح الدال والراء) : الذاهية ، الحبيث . - المعنى : غان الناقة بصرها فتبعتم ذئابا ضواري (في المصائب يشبه الأمر على الانسان فيأتي نفسه في الهلكة من غير أن يدري) .
 (٥) الديوان خ ٣١٢ ، الوساطة ٧٠ . العنيق : المعانق . اليعضيد : بقلة (تصيرة ، قريبة من الارض) . الوشيج : شجر تجمل من أغصانه الرياح . السعدان : تبت من أفضل مراعي الابل . الزميل : الرديف (اذا ركب شخصان على ناقة فالتأخر منها هو الرديف) . التنوم : شجر له ثمر يدخل في العلاج ، وهو يخرج الدود من البطن . - المعنى : يصف أبو تمام ناقة تقطع الصحراء في أحوال صعبة حتى أنها تكب التعب فأصبح عنيقها يعضيدها (رأسها من التعب أصبح يمس الارض كأنها تعانق النبات الثابت على وجه الارض) ، ووشيجها سعدانها . (أفضل طعام كانت تحصل عليه كان تلك الاغصان القاسية التي تصلح لتكون رماحاً) ، وزميلها =

غير أن ذلك لم يكن عادة لأبي تمام ألزمها نفسه ، فإن أبا تمام كان - كما يرى الجرجاني^١ - إذا أراد أن يجري على سجيته جاءت ألفاظ شعره فصيحة مألوفة ، فاذا قصد التكلف كثرت في شعره تلك الألفاظ الغريبة الحوشية النافرة . ومع هذا فإن أبا هلال العسكري قد تحامل على أبي تمام وجانب الحق لما قال^٢ : « كان أبو تمام يتبع وحشي الكلام ويُدخله في شعره » . ولكن مما لا ريب فيه أن أبا تمام قد جانب طريق الشعراء المطبوعين الذين يتقبلون ما يُملي عليهم طبعهم فيأتي شعرهم فصيح الألفاظ عذب التركيب . فاذا دلهم الطبع على لفظة جزلة أو كامة غريبة أنزلوها موضعها لتحدث في نفس القارئ أو السامع أثراً مقصوداً أو لتبرز معنى ملموحاً أو لتعين الشاعر على الإيجاز . أضف إلى ذلك كله أن للشعراء - في رأي ابن رشيق - ألفاظاً تدور في شعرهم ، قال ابن رشيق^٣ : « وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها » . ومع ذلك فقد جاء عند جميع الشعراء شيء من الألفاظ الغريبة الحوشية^٤ .

ومن التكرار القبيح للكلمة الواحدة في شعر أبي تمام قوله^٥ :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمِّل منك إلا بالرضا .
أو قوله^٦ :

= تنومها (وقد فسد بطنها فأصابها إسهال = كانت تأكل الوشيج الجاسي ، القاسي ، فيؤلم بطنها ؛ ثم تأكل التنوم فتمشو بطنها) .

(١) الوساطة ٧١ .

(٢) كتاب الصناعتين (مستشهد به في أمراء الشعر ١٦٣) .

(٣) العمدة ٢ : ٨٣ .

(٤) سر الفصاحة ٩١ .

(٥) ديوان خ ١٨٧ ، الوساطة ٧٠ .

(٦) سر الفصاحة ١٨٦ . - الكلمات الثلاث في الشطر الاول : « اسلم ، سلمت ، سلمت »

مكرورة . السلام (بكسر السين : جمع سلمة بفتح السين وكسر اللام) . الحجارة .

سلمى : جبل في بلاد طيء . السلم : شجر نضار (بضم النون) ، لا يسقط ورقه .

فاسلم ، سلمت من الآفات ، ما سلمت

سِلامٌ سلمى ومهما أورك السلم .

ان ترديد هذه الألفاظ في بيت واحد مكروه جداً ، وإن كان عدد منها يؤدي معاني مختلفة .

وكذلك لأبي تمام ألفاظ يجب أن يبني عليها جانباً من استعاراته ككلمة « أخذع » (عرق في جانب العنق) في مثل قوله ١ :

وضربت الشتاء في أخذعيه ضربة غادرته قوداً ركوبا .

— يا دهر، قوم من أخذعك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك .

وسوى ذلك . على أن ترداد لفظ بضع مرات في ديوان كبير ليس عيباً كبيراً ، وإن كنا نأخذ على أبي تمام أنه أجرى هذا اللفظ الواحد بضع مرات في استعارة واحدة .

أما التركيب عند أبي تمام فهو مميز لا شك في ذلك . ولكن تكليف أبي تمام للمعاني البعيدة وغرامته بالصناعة وتطلبته للكلام الغريب أدخلت على شعره شيئاً من التعقيد أدى إلى شيء من الغموض . ولعل تكلفه للمعاني البعيدة هو الذي اضطره إلى القبول بالتركيب المعقد إذا لم يستطع الإتيان بتركيب أكثر وضوحاً للتعبير عن المعنى الذي تراءى له تعبيراً يحيط بجميع جوانب ذلك المعنى . من ذلك كله قوله ٢ :

خان الصفاء أخ خان الزمان أخاً عنه فلم يتخون جسمه الكمد ٣ .

— يا يوم شرّد يوم لهوي لهوه بصباتي وأذل عز تجلّدي ٤ .

(١) ديوان خ ٢٧٠٤٢٧ . راجع أيضاً : « ولين اخادع الدهر الابي » (خ ٤٣٤٤ سر الفصاحة ١١٧) .

(٢) راجع الوساطة ١٨ ، راجع سر الفصاحة ١٥١ .

(٣) ديوان خ ٣٦٦ . — اذا زلت مصيبة برجل فلم ينحل جسم صديقه بالحزن له ، فلتزل تلك المصيبة بذلك الصديق .

(٤) ديوان خ ١١١ . — أيها اليوم الذي استخف بجسي وتلهى (بالتهكم علي) فأفد ملي تتمي باللهو مع من أحب ثم فضح تصبري وأظهرني بمظهر الضعيف المسلوب الصبر (راجع أيضاً شرح التبريزي ٢ : ٤٥ مع الحاشية ٣) .

الصناعة في شعر أبي تمام

جرى لسان العربي ، منذ عهد بداوته ، بألفاظ متشابهة لفظاً متقاربة في معنى أو متقاربة في المعنى دون اللفظ ينتظر السامع أن تأتي معاً ، وبألفاظ متضادة في المعنى . وقد كانت هذه الألفاظ تجري على لسان العربي بين الفينة والفينة لا يقصدُ إلى تأليفها أو رصفها . ثم جاء القرآن الكريم فكان فيه منها شيء غير يسير ، ولكنه غير مقصود .

ثم أخذ الناس يفتنون لعدوية هذه الألفاظ وطلاوتها إذا انتظمت في التركيب على نسق مخصوص . ثم قصد إليها الأدباء والشعراء منذ أواخر العصر الأموي واتسع القول فيها في صدر العصر العباسي . قال الخفاجي^١ : « وهذا إنما يحسن في بعض المواضع إذا كان قليلاً غير مُتَكَلِّفٍ ولا مقصودٍ في نفسه . وقد استعمله العرب المتقدمون في أشعارهم ، ثم جاء المحدثون فلهج به^٢ منهم مُسَلِّمُ بن الوليد الأنصاري وأكثر منه ومن استعمال المُطابق والمُخالف حتى قيل عنه إنه أول من أفسد الشعر (به) . وجاء أبو تمام حبيب بن أوس بعده فزاد على مسلم في استعماله والإكثار منه » .

وفي الأغاني^٣ عن أبي تمام « وله مذهب في المطابق هو كالسابق فيه جميع الشعراء . وإن كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فإن له فضل الإكثار فيه ، والسلوك في جميع طرقه » . وأنكر الآمدي على أبي تمام هذا الفضل البتة لأن الناس سبقوه إليه ؛ ثم عد « استكثاره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنوبه ، وأكبر عيوبه »^٤ . أما ابن رشيق فيظهر لنا بجلاء أنه أميل إلى الأصفهاني في تأكيد فضل أبي تمام ، فقد قال عن أبي تمام : « انه كان يُجيد باب التصنيع »^٥ . وأما الجرجاني فذكر أن أبا تمام كان يجمع أحياناً المعنى البديع إلى الصناعة

(١) سر الفصاحة ١٨٧٣-١٨٤ .

(٢) لهج به : أغرى به ، أغرم به ، ثابر عليه .

(٣) ٩٦ : ١٥ .

(٥) العمدة ٢ : ٣٢ .

(٤) الموازنة ٨ .

اللطيفة^١ . وجعله مرة ثانية هو وأبا نواس « سيدي المطبوعين وإمامي أهل
الصنعة »^٢ .

الجناس والطباق

كان أبو تمام يتكلف التجنيس والمطابقة (الجناس والطباق) ويسوق
فيهما المعاني البعيدة فتغلق على أفهام العامة وغير العامة أو تكاد ، ثم تنفر أحياناً
في الذوق . وكان العرب قد استحسنا الجناس في الجملة بعد الجملة ، وفي
البيت بعد البيت ، كما استحسنا أيضاً أن يكون التجنيس بين كلمتين فقط .
إلا أن أبا تمام الذي تكلف كل شيء في شعره : تكلف أن يأتي بالتجنيس في كل
بيت من أبيات قصائده وأن يجانس بين الكلمتين والثلاث والأربع ، وربما ملأ
البيت بالكلمات التي يجانس بينها تجنيساً تاماً أو ناقصاً . وحرص أبو تمام على
أن يأتي في شعره بجميع فنون التجنيس ، ومثل ذلك كله فعل في الطباق أيضاً .
وبما أنه ينذر أن يأتي الجناس مستقلاً عن الطباق فأنني أخبرت أن أعابهما
هنا معاً .

لأبي تمام براعة في الجناس والطباق وقف أمامها أنصاره وخصومه مبهورين .
بعد أن حمل الأمدى على أبي تمام ، في شأن الجناس ، ما شاء أن يحمل عليه ،
قال مُقِرّاً له بالتقدم والبراعة^٣ :

لو اقتصر الطائي على ما اتفق له في هذا الفن من حلو الألفاظ وصحيح
المعنى كقوله :

(١) الوساطة ٣١ .

(٢) الوساطة ٧٩ . قال الجرجاني : « وإنما خصصت أبا نواس وأبا تمام لأجمع لك بين سيدي
المطبوعين وإمامي أهل الصنعة » . ومن الأصوب عندي أن يقال : « بين سيد المطبوعين
وبين امام أهل الصنعة » (راجع الوساطة ٤٨) .

(٣) الموازنة ١١٧ ، واتممت البيتين الأولين من الديوان (خ ٣١٢ ، ٣٥٦) . وقد ذكر الأمدى
صدرها فقط .

نثرت فريداً مدامسع لم تُنظم ؛ والدمع يحمل بعض شجواً المغرم^١ .
- جنوف الردى ! أسرعت في الغصن الرطب ؛

ونخطب الردى والموت ! أبرحت من خطب^٢ ؛
- قد يُنعم الله بالبلوى ، وإن عظمت ؛ ويبتلي الله بعض القوم بالنعم^٣ ؛
لسقط أكثر ما عيب عليه . ثم ان هذه الأبيات وأمثالها هي التي سماها كتاب
أمراء الشعر^٤ « التأنق البديعي » . وإليك الآن بضعة أبيات فيها رونق وماء ،
وهي في ابن الزيات^٥ :

تُطلّ الطلول الدمع في كل موقف ، وتمثّل بالصبر الديار الموائل .
دوارس لم يحفّ الربيع ربوعها ، ولا مرّ في أغفالتها وهو غافل .
فقد سحبت فيها السحاب ذيلها ، وقد أخلمت بالنور منها الحمائل .
مها الوحش ، إلا ان هانا اوانس ؛ قنا الخط ، إلا أن تلك ذوابل .
هوى كان خلساً ؛ ان من احسن الهوى

هوى جلت في أفيائه وهو خامل !

واستحسن الجرجاني (الوساطة ٤٢) « التجنيس المستوفى » في قول أبي تمام :

(١) ديوان ٣١٢ . - الفريد : اللؤلؤ . الشجو : الحزن . - سال من عينيها دمع يشبه اللؤلؤ ،
ولكن لا يجمع في سلك أو خيط حتى يصبح عقداً (يقصد : بكت) . والدمع يحمل (يدل على
أو يخفف) شيئاً من حزن المحب .

(٢) ديوان ٣٥٦ . - يا أيها اليبس ، لقد أدركت الغصن قبل الاوان ؛ ويا مصيبة الملاك والموت ،
ما أعظمك من مصيبة (يقصد : أيها الموت ، أتيت على هذه المرأة باكراً في شبابها فكانت
المصيبة بها عظيمة) .

(٣) ديوان ٣١٦ ، الموازنة ١١٧ .

(٤) ص ١٨١ وما بعدها .

(٥) ديوان ٢٥٥ - ٢٥٦ . - وقد مدح الجرجاني (الوساطة ٤١ ، ٤٤) البيتين الاول والرابع ،
وقال عن البيت الرابع : « ومن أغرب ألفاظه وألطف ما وجد منه (من الطباق) قول أبي
تمام : مها الوحش فطابق بهانا وتلك ، وأحدهما للحاضر والآخر للغائب ، فكانا نقيضين
في المعنى وبمنزلة الصدين » .

ما مات من كرم الزمان فانه يحيا لدي يحيى بن عبدالله !
« فجانس بيحيا ويحيى » ؛ وحروف كل واحد منهما مستوفى في الآخر .
ولانما عدت في هذا الباب لاختلاف المعنيين ؛ لأن أحدهما فعل والآخر اسم .
واستحسن الجرجاني لأبي تمام « الجناس الناقص » في قوله (الوساطة ٤٣) :
يمدّون من أيدي عواصم عواصم .
تصول بأسياف قواض قواضب ؛
إذ أن « عواصم » تنقص عن « عواصم » ، و« قواض » تنقص عن « قواضب » .
على أن لأبي تمام شيئاً غير قليل من الجناس السبيء تكلف الجمع فيه بين
الكلمات وخالف وجه البلاغة ، ثم ساق تلك الأبيات التي ورد فيها الجناس
سياقة غامضة معقدة . فمن تجنيسه السبيء (ديوان خ ٣٠٢) :
قرت بقرآن عين الدين وانتشرت بالأشترين عيون الشرك فاصطُلما .
— ذهب بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون : أمذهب أم مذهب .^٣

- (١) ديوان ٣٤١ ؛ الوساطة ٤٢ . - ان يحيى بن عبد الله يحيى (يعين ذكرى) الكرم الذي كان في الزمن القديم ثم مات (نسي) .
(٢) قران بتشديد النون (لم يضبط الحياض القاف ، ص ٣٠٢ ؛ وضبطها التبريزي بالضم ، ٣ : ١٦٩ ؛ قران (بضم القاف وتشديد الراء) قرية باليهامة (القاموس ٤ : ٢٥٩ ؛ راجع ياقوت ، طبعة مصر ٤ : ٤٦) ، وليست المقصودة هنا . وقران (في ياقوت أيضاً) : قصبة البدين (بتشديد الدال) في أذربيجان حيث استوطن بابك .
انتشرت العين : انقلب جفنها الاذن . اصطلمت الاذن : قطعت من أصلها . وقعة صيلمة (بفتح الصاد وسكون الياء وفتح اللام) : متأسلة ، مبيدة . - قرنت عين الدين (بردت ، اطمانت ، رضيت ؛ انتصر الدين (الاسلام) . انتشرت عيون الشرك : انقلبت ؛ هزم الشرك . الاشتران : مالك بن الحارث النخعي وابنه ابراهيم من أصحاب علي بن أبي طالب (وليس المقصودين) . واشتر قرية من بلاد الجبل عند همدان (تاج ٣ : ٢٩٠) في ناحية بين نهاوند وهمدان (ياقوت ، مصر ١ : ٢٥٤ ، راجع ٢٥٥) .
(٣) خ ٣٩ ؛ شرح التبريزي ١ : ١٣٦-١٣٧ . - السماحة : الكرم . مذهب (بفتح الميم) : طريقة ، سبيل ؛ منصرف ، مخالفة . مذهب (بضم الميم) : ثوب محلي بالذهب (رياه ، تظاهر) . - ذهب بمذهبه السماحة (غلبت عليه ، اتبعت طريقته لأنه عظيم الكرم جداً فأصبح الكرم تبعاً له) . فالتوت فيه الظنون (اختلفت في عمله الآراء وحارت) : أهذا مذهب له حقاً (طريقة وخلقاً وسجية) أم مذهب (بضم الميم) : رياه وتظاهر بالكرم ؟

وكنّا رأينا أن أهل الصناعة لا يقرّون التجنيس بين أكثر من لفظتين ، ولكنّ أبا تمام تعدّى ذلك مرات كثاراً ، فقد قال مثلاً :

فاسلم ، سلمت من الآفات ، ما سلمت

سلام سلمى ومهما أورك السلم^١ .

شعره وأسلوبه

ليس أبو تمام من الشعراء المطبوعين الذين يجري الشعر على لسانهم عفوّاً وسليقةً ، بلا تكلفٍ ولا محاولةٍ صنّعةٍ ، وإن كان صاحب الأغاني قد قال (١٥ : ٩٦) عن أبي تمام « إنه شاعر مطبوع لطيف الفطنة » . وقد جار الأنباري على أبي تمام لما قال فيه^٢ : « وكان يحب الشعر ، فلم يزل يُعانيه حتى قال الشعر وأجاده » . أما الأمدى فأبدى رأياً منصفاً لما قال^٣ : « وان كنت تميل إلى الصنعة والمعاني التي تُستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوي على غير ذلك ، فأبو تمام عندك أشعر (من البحري) » .

وكذلك اتفق أكثر النقاد - في نقل بعضهم عن بعض - على أن شعر أبي تمام « متفوّت » . ثم قال بعضهم إن شعر أبي تمام « لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا (هو) على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة »^٤ .

ومع كل هذه العيوب فقد عدّ أبو تمام أشعر أهل زمانه ؛ وعده الوزير الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات أشعر الناس طراً ؛ وكذلك فضّله صديقه الشاعر علي بن الجهم على سائر الشعراء^٥ ؛ وفضّله البحري على نفسه^٦ .

(٢) نزهة الالباء ٢١٤ .

(١) راجع ص ٧٩

(٣) الموازنة ٣ .

(٤) الموازنة ٢ .

(٥) راجع أخبار أبي تمام ٦٢ .

(٦) راجع الاغاني ١٥ : ٩٦ ، ٩٧ ، ١٨٠ : ١٦٨ ، أخبار البحري ١٤٧ ، ١٤٨ - ١٤٨ .

وقد مر بنا شيء كثير من خصائصه التي تجتمع لتؤلف أسلوبه .

مذهب أبي تمام في الشعر

يقول بروكلمن : « إن أبا تمام يمثل بشعره شعراء المقاطعات تمثيلاً صحيحاً ، وهو المثال المحتذى في ذلك » . وعلى هذا جعل بروكلمن شعراء العصر العباسي قسمين : شعراء بغداد خاصة وشعراء المقاطعات كالشام وخراسان^١ . وتأثر به جرجي زيدان^٢ واتبعه في ذلك أحمد حسن الزيات^٣ .

ومصدر هذا الحكم جملة وردت في الأغاني^٤ عند الكلام على ديك الجن الحمصي من أنه « يذهب مذهب أبي تمام والشاميين » ؛ فكأنه جعل للشاميين خاصة مذهباً مخالفاً لمذهب أهل بغداد في الشعر ، ثم جعل أبا تمام المتبَع ، مع أن ديك الجن أقدم من أبي تمام وعنه أخذ أبو تمام بعض شعره^٥ .

أما مذهب الشاميين فالتصنيع في الشعر بتكلف البديع ، ثم هو — فيما يبدو — تطلب التشابه والاستعارات البعيدة والمغلاة في التجنيس والطباق . وكان أول من تكلف البديع من المولدين مسلم بن الوليد^٦ وأفسد به الشعر^٧ . ثم كثُر التصنيع في شعر أبي تمام .

عمود الشعر والمذهب الشامي

لما قارن النقاد شعر أبي تمام وشعر البحري بأشعار القدماء من الجاهليين

Geschichte der arabischen Litteratur, Leipzig (C. F. Amelangs (١) Verlag), 1901, SS, 79, 86 ff., (2. Ausg, 1909, ibidem); GAL I 71, 82, 83 ; Suppl. I 108, 133, 134.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ، (القاهرة ١٩٣٠) ٢ : ٥٦ وما بعدها .

(٣) تاريخ الادب العربي (مصر ١٣٤٧ - ١٩٢٨) ، ص ١٩٣ و ٢١٧ وما بعدها .

(٤) ١٣٦ : ١٥ .

(٥) راجع فوق ، ص ٢٥ .

(٦) العمدة ١ : ١١٠ .

(٧) سر الفصاحة ١٨٤ .

والإسلاميين وجدوا بين شعر الطائيين وبين شعر المتقدمين فرقاً ظاهراً . قال الآمدي عن أبي تمام إن « شعره لا يشبه أشعار الأوائل ولا (هو) على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة »^١ . أما البحرى فقال عنه الآمدي نفسه وعلى الصفحة الثانية من موازنته أيضاً : « البحرى أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل ، ما فارق عمود الشعر قط . وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام » . على أن الطائيين كليهما شغلا أنفسهما بتصيّد الصناعة في شعرهما ، من جناس وطباق وتوريات ، ومن استعارات وتشابيه فيها من الإغراب فوق ما عرفه القدماء . ولكن البحرى كان أقل تكلفاً في إبراد أوجه البلاغة في شعره من أبي تمام .

وشغل الدكتور شوقي ضيف نفسه بدراسة التصنيع في كتابه « الفن ومذاهبه في الشعر العربي »^٢ ، وتتبع في نطاق البحث الذي أخذ به نفسه « معاناة الشعر » منذ الجاهلية فكان يُلحّ على جانب « الصنعة » في دواوين الشعراء الذين جانبوا السجية والسليقة في نظمهم كثيراً أو قليلاً .

ووقف نجيب محمد البهيتي جانباً كبيراً من كتابه « أبو تمام الطائي »^٣ على « صنّاع الشعر » وعلى العوامل التي أثرت فيهم ثم تكلم على « أصحاب المعنى » و « أصحاب اللفظ » ، وخلص من ذلك إلى الكلام على عمود الشعر ، مما كان المرزوقي قد وضّحه في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام .

وفي عام ١٩٥١ أصدر الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل كتابه « عبقرية أبي تمام »^٤ ، وعنى فيه بتوضيح المذهب الشامي وبالوقوف عند الصور البلاغية في الأبيات المفردة .

(١) الموازنة ٢ .

(٢) الطبعة الأولى ١٩٤٣ ، الطبعة الثانية ١٩٤٥ ، الطبعة الثالثة ١٩٥٦ .

(٣) القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ .

(٤) دار العلم للملايين بيروت ١٩٥١ .

تاريخ المذهب الشامي

الأصل في الشعر أنه مطبوع ومصنوع : مطبوع يجري فيه الشاعر على السجية أو مصنوع يتكلف فيه الشاعر شيئاً كثيراً أو قليلاً من التهذيب والتنقيح ومن التفتن في إيراد المعاني والألفاظ ومن القصد إلى استجماع التشابه والاستعارات^١.

والأصل في الشعر العربي خاصة أنه جاهليّ ، أي أن خصائصه المعنوية واللفظية خصائص عربية بدوية غير متصلة بحضارة أجنبية . ثم إن النقاد قسموا الشعراء الجاهليين أنفسهم قسمين : شعراء البدو وشعراء القرى (المدن) . وقلما حفل النقاد بشعراء القرى ، وقلما قدموا أحداً منهم .

وبما أن الخصائص اللفظية أبرز للعين من الخصائص المعنوية فقد اهتمّ النقاد كثيراً بألفاظ الشعراء وتراكيبهم وبما دخل فيها كلها من اللهجات ومن الكلمات المهجورة والأجنبية . وكذلك اهتمّ النقاد بشكل القصيدة . وبما أن المعلقة كانت أشهر الشعر القديم فقد جعل النقاد « المعلقة » ميدان الشعر كله وقدموا الشعراء الذين يقربون بقصائدهم من شكل المعلقة ومن خصائصها المعنوية واللفظية معاً .

وجاء الإسلام وانتشر العرب بالفتوح في الأرض ودخل في الإسلام شعوب ما عرفت الجاهلية ولا كانت العربية لسانها ولا التاريخ الجاهلي جانباً من حضارتها ، وكان في الموالي (المسلمين من غير العرب) والمولدين (المولودين من زواج عربي وغير عربي) ، وفي الذين احتكوا بهم أيضاً ، شعراء جعلوا يجرّون في نظم الشعر على السجية من فطرتهم وبيئتهم ، فجاء شعرهم مخالفاً للقصيدة الجاهلية أو للمعلقة على الأصح .

وخصائص المعلقة هي التي تلي :

إنها قصيدة طويلة تتألف من أغراض متعددة ، غرض واحد منها مقصود

(١) راجع العمدة ١: ١٠٨ وما بعدها .

لذاته - وقد يكون فيها غرضان مقصودان - وعدد من « الأغراض الممهّدة » تأتي قبل الغرض المقصود وبعده . وتبدأ القصيدة القديمة عادة ، أو المعلّقة على الأصح ، بالوقوف على الأطلال ، ثم يتخلّص الشاعر إلى وصف راحلته والطريق التي سلكها ، ثم يطرق غرضاً آخر من الغزل أو الفخر أو الحمر قبل أن ينتقل إلى الغرض الأساسي المقصود الذي نظمت القصيدة من أجله . ويكون الغرض المقصود في بعض القصائد مديحاً (كما عند النابغة مثلاً) ، أو غزلاً (كما نرى عند امرئ القيس) ، أو فخراً وحماسة (كما عند عمرو بن كلثوم وعنترة) . والواقع أن كل غرض من أغراض الشعر يصلح أن يكون غرضاً مقصوداً لذاته ، إذا قصدّه الشاعر من نظم قصيدته ثم عني به وبسط فيه القول .

ولقد حرص الشاعر القديم على أن يجعل كل بيت من أبيات قصائده تامّ المعنى في نفسه ، كما كان من المستحسن أن ينطوي البيت الواحد على معنيين أو أكثر . وكذلك حرص الشعراء القدامى على أن تكون معانيهم شريفة ، أي من المعاني الجميلة التي يُفتخر بها في العادة (كالكلام على الكرم والنسب والحمر والوفاء) لا من تلك المعاني المبتذلة التي تدور في أحاديث العامة أو في الحياة اليومية . أما الألفاظ فكان المختار فيها أن تكون جزلة (فخمة دالة على معان مقصودة بها وحدها) ، مع الفصاحة ومثانة التركيب . وكانوا يحبون في الوصف أن يكون مطابقاً للموصوف ، مع التمييز بين الموصوفات حتى لا يقصّر وصف عن موصوفه ولا ينطبق على غير ما قصد به . وأما إذا وقع التشبيه فيجب أن يكون واضحاً بيّن الصلة بين المشبه والمشبه به دالاً بنفسه على وجه الشبه . وأما الاستعارة فيجب أن تكون بارعة قريبة بدركها العقل بأدنى تأمل مع الطرافة في الإشارة إلى المقصود . وكذلك كان الشاعر القديم يتخير الوزن المناسب ويتوخى النظم السهل في التركيب العذب الذي يجري ليّناً على اللسان سهلاً في الأذن لطيفاً في القلب ثم يترك السبيل للقافية الشرود أن تنزل في بيته حتى ليخيّل إلى القارئ أو السامع أن هذا البيت لم يكن ليتمّ إلا بتلك القافية وحدها .

ذلك كان « عمود الشعر » الذي أشار إليه النقاد ، وتلك كانت « طريقة » العرب (أي القدماء) . وبهذا « العمود » كان النقاد ، في صدر العصر العباسي وأواسطه ، يقيسون أشعار الشعراء ويقدمون بعض الشعراء على بعض .

وقد كان الشعراء الذين سلكوا هذا المسلك يحككون شعرهم ، أي يرددون فيه النظر بالتنقيح والإصلاح وبالحذف . حتى رَوَوْا أن زهير بن أبي سلمى كان يقضي في عمل القصيدة حولاً (عاماً) كاملاً : ينظمها في أربعة أشهر ، ويردد نظره فيها أربعة أشهر ، ثم يعرضها على أهل الرأي من أصحابه أربعة أشهر . ولذلك سميت قصائده « الحوليَّات » ، وسمي هو « محبِّراً » لحسن شعره ، ولكنه عدَّ بذلك أيضاً من عبید الشعر الذين يتكلفون إصلاحه ويشغَلون به حواسنهم وخواطِرهم .

ويبدو أن نفرأ آخرين من شعراء الجاهلية لم يكونوا يذهبون هذا المذهب ، بل كانوا ينظمون مقاطع قصاراً أو طوالاً ثم يقصرون تلك المقاطع على غرض واحد من الفخر أو الرثاء أو الهجاء أو الغزل أو الوصف أو الحكمة . وإذا كان

(١) قال المرزوقي في مقدمة شرح الحماسة (١ : ٨-١١) : « ... فالواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ليتبين تليد الصنعة من العريف ، وقديم نظام القريض من الحديث . . . ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع من المطبوع » . والشعراء الذين ساروا على عمود الشعر « كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف . ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الامثال وشوارد الابيات ؛ (ثم) المقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكله اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما (اقتضاء اللفظ والمعنى) للقافية حتى لا تكون منافرة بينهما . فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل بيت منه معيار (مقياس) . فمعيار المعنى العقل (أي بجمل المعنى) مستأنساً بقرائنه (من المعاني المتصلة به) وانياً (بها) . ومعيار اللفظ الطبع ، فما سلم مما يهجنه فهو المختار المستقيم . ومعيار الاصابة في الوصف حسن التمييز (أي انطباق الوصف على المرصوف حتى لا ينطبق الا عليه) . ومعيار المقاربة في التشبيه حسن التقدير حتى يتبين وجه التشبيه بلا كلفة . ومعيار النحام اجزاء النظم الطبع واللسان فلا يضطرب تركيبه ولا يتعثر فيه اللسان . فهذه الخمسة هي عمود الشعر عند العرب ، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها فهو عند المفلح المعظم والمحسن المقدم . » .

نفر من الأدباء قد حفلوا بهؤلاء الشعراء واختاروا من أشعارهم مجاميع .
كديوان الحماسة لأبي تمام . فان النقاد لم يحفلوا بهم كثيراً ، فتاريخ الشعر العربي
في الجاهلية هو على الحقيقة تاريخ المعلقات وتاريخ شعراء المعلقات .

ولما جاء العصر الأموي وأخذ الشعراء الموالي والمولدون يزدادون جعل
« السائرون على عمود الشعر » يتجاهلونهم ويسخرون منهم . ولما بدأ عمر بن أبي
ربيعة يفرض شعره على تاريخ الأدب قيل فيه : « ما زال هذا الفتى يهندي حتى
قال الشعر^١ . وهكذا فارق عمر بن أبي ربيعة عمود الشعر فقصر شعره كله على فن
واحد . ثم قصر كل مقطوعة من شعره على حادثة واحدة ، فكان بذلك زعيم ما
سمي فيما بعد بالمذهب البغدادي - قبل أن تبنى بغداد بسبعين سنة - .

وسقطت دولة بني أمية في المشرق سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) وقامت الدولة
العباسية على أكتاف الفرس ، وكان الشعراء المولدون قد زادوا في العدد على
الشعراء العرب ، فأخذت الحصاص القديمة تختفي من القصائد شيئاً فشيئاً :
أخذت القصائد تقصر والأغراض فيها تقل ، وجعل نفر من الشعراء يفارقون
الجد في الشعر إلى المزح ، والرصانة إلى البطالة ؛ ثم أخذ الأسلوب يضعف
أو يترك لاهتمام الشعراء « المحدثين » باقتناص المعاني الجديدة وبالتعبير عما كان
يختلج في صدورهم من الرغبات المتنافرة فقلّ لذلك اهتمامهم بالتركيب .
 واحتاج هؤلاء المحدثون أو المولدون في التعبير عن الأغراض الجديدة التي
زخرت بها بيئتهم إلى ألفاظ جديدة أو إلى صيغ جديدة على الأقل ، فتناولوا
تلك الألفاظ من غير اللغة العربية الفصحى واشتقوا من الصيغ ما تمكنوا به من
التعبير عن ظلال المعاني الجديدة التي كانت تزخر بها صدورهم^٢ . هذه الطريقة
الأدبية التي قامت على تفضيل المعنى على اللفظ عرفت في تاريخ الأدب باسم
« المذهب البغدادي » .

ولما استطال النفوذ الفارسي في المجتمع العربي والسياسة العربية وفي الأدب

(١) راجع عمرا بن أبي ربيعة للمؤلف (الطبعة الثانية) ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) راجع الوساطة ٢٣ ، ٢٤ ؛ العدد ١ : ١٥٠ .

العربي أيضاً ، خشي هرون الرشيد أن يزيل الفرس الدولة العربية فنكب وزراه
البرامكة سنة ١٨٧ هـ (٨٠٣ م) وأتى إلى الوزارة بالفضل بن الربيع لينهج في
الدولة سياسة عربية . ولما كان الناس على دين ملوكهم فإن الناس مالوا بعد
نكبة البرامكة عن كل ما هو فارسي في السياسة وفي مظاهر المجتمع ، وفي
الأدب أيضاً .

وهكذا عاد الشعراء العباسيون إلى عمود الشعر القديم ثم بالغوا في ذلك . وقد
عرف هذا « المذهب المستأنف في العصر العباسي » باسم « المذهب الشامي » .
فالشعراء الشاميون إذن هم المحافظون على عمود الشعر القديم ، وهم المحافظون
ذوو العصبية العربية البدوية والسالكون في الشعر مسلك الشعراء الجاهليين من
أصحاب المعلقات خاصة . على أن الشعراء الشاميين قد زادوا على الجاهليين في
تكلف المعاني البعيدة وملأوا أشعارهم بالبديع ، بالجناس وبالطباق ، وأوغلوا في
التشايه والاستعارات . أما البغداديون فهم المجددون المتساهلون في أمر العصبية
لأن معظمهم من الفرس . ثم إنهم ميالون إلى الحضر وما فيه من ترف كارهون
للبادية . ثم إنهم مالوا في قصائدهم إلى المقاطع ووحدت المعنى فيها والتساهل في
الألفاظ والتراكيب وتركوا التكلف وجروا على السجية . وقد كرهوا البديع
إلا ما جاء في شعرهم عفواً .

والمذهب البغدادي والمذهب الشامي في الأصل تسميتان جغرافيتان ، إذ
المفروض أن يكون الشعراء البغداديون من أهل بغداد والشعراء الشاميون من أهل
الشام (سورية) . فبشارٌ وأبو نواس وابن الرومي هم من شعراء المذهب
البغدادي المقدمين ومن أهل بغداد . وكذلك ديك الجن الحمصي وأبو تمام
والبحرّي والمنتبي وأبو فراس والمعري كانوا من أتباع المذهب الشامي ومن أهل
الشام . غير أن مسلم بن الوليد والشريف الرضي كانا بغداديين على المذهب
الشامي . ومثلهما كان المنتبي عراقي الأصل من الكوفة ولكنه شامي المذهب .
ثم إن أبا تمام والبحرّي كانا من أهل الشام ومن أتباع المذهب الشامي مع أنهما
قضايا الجانب الأوفر من حياتهما الأدبية في العراق .

موجز خصائص المذهب الشامي

في ما يلي موجز للآراء المبسوطة في الصفحات السابقة منسوقة نسقاً ظاهراً:

١ - شكل القصيدة : إطالة القصيدة وتعدد الأغراض فيها، والقصيدة الشامية تبدأ عادة بالنسيب .

٢ - تثقيف الشعر : العناية بالأبيات بتنقيحها .

٣ - التأنق والتصنيع : العناية باللفظ والتركيب والإكثار من البديع ، مع الحرص على ألا تخلو قصيدة ولا بيت من أبيات قصيدة من هذا التصنيع ما أمكن^١ .

٤ - الإيغال في التشبيه والاستعارات الى ما يشبه الرمز حتى ليكادُ يغمض المعنى وتخفى الصورة البلاغية .

٥ - جمع المعاني الكثيرة في الابيات القليلة ، والوقوف على المعنى الواحد بالتقليب له على وجوهه وبإقامة الأدلة على صحته ، وبضرب الأمثلة .

٦ - لزوم الحد او التظاهر به على الاقل . فقلما يميل الشاعر الشامي الى اصطناع المرح واللهو وقلما يحسنهما في شعره .

٧ - إدخال فنون العلم في الشعر ، فالشاعر الشامي شاعر مثقف تظهر ثقافته في شعره وهو يطوي شعره على اشارات الى اغراض من اللغة والنحو والأدب والفقه والمنطق والفلسفة والفلك وما إليها .

٨ - يلتزم الشاعر الشامي في حياته وشعره مسلكاً معيناً يحاول ان يفرضه في صلاته بالناس ويصبر على المشاق ويتشدد في المصائب . وكان معظم الشعراء الشاميين يتشيعون لآل البيت .

٩ - الشاعر الشامي شاعر مقتدر ينظم الشعر في جميع الاغراض التي يريد بها . اما الطبع عنده فقليل البروز .

(١) استشهد المرجاني (الواسطة ٣١) بقطعة في النزل لابي تمام هـ لم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة طابق (فيه) وجانس واستعار فأحسن هـ .

١٠ - يؤلف المديح الجزء الأوفر من ديوان الشاعر الشامي . ثم ان خصائص المديح تغلب عنده على سائر فنونه . وهو يجيد الفخر ، وربما اجاد الرثاء ووصف المعارك إجادة كبيرة . ثم إنه لا يجيد الهجاء : وقلما برع في الغزل . وكذلك تكثر الحكمة عند الشاعر الشامي كثرة ظاهرة . اما المجون فلا يكاد يظهر عنده .

١١ - الاكثار من الاعلام الجغرافية ، إما بالوقوف على الاطلال تقليداً لشعراء الجاهلية ، أو تملحاً بذكرها ، أو اعتماداً عليها لتبيان التنقل وتقييد الحوادث .

١٢ - الاكثار من ذكر الاشارات التاريخية : رجال التاريخ والحوادث والمعارك والانساب وما اليها .

ولا ريب أبدأ في أن الشعراء الشاميين يتفاوتون في هذه الخصائص اقتصاداً وإسرافاً . وقد يشترك الشاعر الشامي والشاعر البغدادي في بعض هذه الخصائص .

نظم ابي تمام

كان في ابي تمام ابطاء^١ (في نظم الشعر) ، وكان يُكره نفسه على قول الشعر اكرهاً ؛ فلا غرو ان ظهر ذلك على شعره^٢ ؛ كان يفعل ذلك ليقترس المعنى البعيد او الاستعارة التي يتخيلها ، او التجنيس الذي يطلبه . وربما نصب القافية التي تروقه وجهه في سوق البيت اليها . مع ان ذلك مخالف لمذهب الشعراء المطبوعين . ان البيت يجب ان يأتي بقافيته ؛ على ان الشعراء الذين يجمعون القوافي اولاً ثم ينون عليها الابيات ليسوا قليلين .

وابو تمام من الذين يُعنون^٣ بتهذيب شعرهم ؛ فمن شواهد ديوانه على ذلك :
- اليك أرحنا عازب الشعر ، بعدما تمهل في روض المعاني العجائب^٣ .

(١) الاغانى ١٢ : ٦٧ .

(٢) المدة ١ : ١٣٩ .

(٣) خ ٤٣ ؛ راجع المختارات .

– نشرٌ يسيرٌ به شعرٌ يُهدبُه فِكْرٌ يجولُ مجالَ الروحِ في الجسدِ ١ .
– أوَى المديحِ بأنْ يكونَ مهذباً ما كانَ منه في أغرِّ مهذبٍ ٢ .
وهو يريد بذلك ان يُبلغَ شعره الغاية :

– سأجهد حتى أبلغَ الشعرَ شأوه . وان كان لي طوعاً ولستُ بجاهدٍ ٣ .
– سبَّرتُ فيك مدائحاً فتركتُها غرراً تروحُ بها الرواةُ وتغتدي ٤ .

نحن نعلم ان ابا تمام نصح للبحرّي في اتباع خُطّة في النظم تُخرج شعره مسبوکاً ، ولا ندري اذا كان قد اتبعها هو فكانت له مذهباً ؛ او انها موعظة محض . وعلى كل فان فيها أن ينهض الشاعر في السحر بعد ان يكون قد أخذ لنفسه قسطاً من الراحة ؛ ويكون خلياً من همّ أو غم . ثم ليجعل النسيب رقيق اللفظ رشيق المعنى . وليكن مدحه مُظهراً مناقب المدلوح مشرفاً مقامه ؛ وليجتنب في كل ذلك المعاني المجهولة والالفاظ الرزية ٥ . ثم ليقتصد الى ما استحسنته الماضون وليترك ما اجتنبوه . بعد ثذ خصه بهذه النصيحة الثمينة : « واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى نظمه ٦ » .

هذه الوصية تصدق على ما نرى في قصائد شاعرنا ولكنها تخالف الرواية التي يتمسك بها ادباء كثيرون ٧ من انه روي عن بعض الشعراء ان ابا تمام انشده قصيدة احسن في جميعها الا في بيت واحد . فقال له : « يا ابا تمام ، لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب » ؛ فقال له : « انا والله أعلم منه مثل ما تعلم ؛ ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل اولاده : فيهم الجميل والقبيح ،

(١) خ ٤٩٢ .

(٢) خ ١٤ .

(٣) خ ١٩ لست بجاهد : مجهد نفسي (متعبها) في قول الشعر .

(٤) ١٣٧ .

(٥) راجع المديح ، في ما يلي .

(٦) ملخصة ، راجع العدة ١ : ١٣٩ .

(٧) الاغاني ١٥ : ٩٦ .

والرشيد والساقط ؛ وكلهم حلوا في نفسه . فهو وان احب الفاضل لم يبغض
الناقص ، وان هوي بقاء المتقدم لم يهو موت المتأخر .

التصريح والتوشيح

لم يكن بنا حاجة الى ذكر التصريح هنا لولا انه سيقودنا الى البحث في التوشيح .
لقد جرى الشعراء على تصريح قصائدهم : التزامهم القافية في العروض والضرب
من المطالع كقولهم :

— قفا نبك من ذكري حبيب ومنز (ل)

يسقط اللوى بين الدخول فحوم (ل) .

— الا هبّي بصحنك واصبّح (ينا) ولا تبقي خمور الاندر (ينا) .

— دع عنك لومي ، فان اللوم لاغر (اء) ، وداوني بالتي كانت هي الد (اء)

وعلى هذا سار ابو تمام في جميع قصائده المهمة الا قصيدة واحدة جعل
مطلعها :

سلام الله عدة رمل (خبت) على ابن الهيثم الملك (اللباب) ١ .

ومع ان « المصراع ادخل في الشعر واغوى من غيره » ٢ فقد تساهلوا في
المقطعات احيانا لاعتقادهم ان القصائد فقط يجب ان تُصَرَّع . وعلى هذا ايضاً
سار ابو تمام . ولكنه كان يصرّع احيانا مطلع البيتين والثلاثة ٣ .

التوشيح

استحدث المتأخرون من شعراء الاندلس فناً « سموه بالموشح ينظمونه
اسماتاً اسماطاً واغصاناً اغصانا ، يكثر من اعاريضها المختلفة ... ويلتزمون

(١) ديوان ، الاسود : ١ : ١٤٦ ، خ ٥٥ .

(٢) العمدة : ١ : ٩٩ ، راجع ايضاً اختلاف العلماء على ما هي القافية الى ص ١٠١ ثم ص ١١٤ .

(٣) راجع الديوان خ ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، الخ .

قوافي عند تلك الاغصان ١ ... »

وقد ورد لأبي تمام أبيات فيها تقسيم أو تسهيم يشبه ماورد في الشعر الذي يعدطليعة للتوشيح ، قسم فيها أبو تمام الأشطر أقساماً متساوية أو شبه متساوية والتزم القافية في آخر كل جزء من أقسام الاشطر . وفي ما يلي أبيات لأبي تمام تجري هذا المجرى ٣ :

— يقول فيسمع ، ويمضي فيسرع ، ويضرب في ذات الاله فيوجع .
— جبال طواليع ، جبال فسوارع ، غيوث هواميع ، سيول دوافع .
— انا الحسام ، انا الموت الزوام ، انا الحرب الضرام ، انا الضرغام العتد .
ايام سيفك مشهور ، وبحرك مسجور ، وقرنك مقصور ، له الطول .
ألا سبيل ندى ، الا سبيل بلى ؟ لو كان حياً لأضحى للندى سبل .
يعطي فيجزل ، او يدعي فينزل ، أو يؤتى لمحمل اعباء فيحتمل .
— ومن فاحم جعد ، ومن قمر سعد ، ومن كفل نهد ، ومن نائل تمد .
وألصق شيء بهذا الموضوع وزن جديد ليس من الابحر الستة عشرة في أبيات هي ٤

(١) مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٣) ٥٨٣ .

(٢) للمؤلف دراسة حديثة في الموشح وتطوره أثبت موجزاً لها في كتابه « المهاج في الادب العربي وتاريخه » (الجزء ١ ، ص ٢٦٣ - ٢٧٢) ، ولكن لا سبيل الى المجيء بشيء منها هنا ، ولا الاشارة الا بهذه الكلمة العارضة .

(٣) الابيات التالية ترد في الديوان خ ، ص ١٩١ ، ٤٧٩ ، ٤٩٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ مرتين ، ١٢٧ حل التوالي .

(٤) الديوان ٤٤٣ . - وقد ردت هذه الأبيات في ديوان أبي نواس (مخطوطة برلين ١٢٠١) مع شيء من الاختلاف في الرواية . وكذلك ورد لأبي نواس نفسه ما يشبهها (مخطوطة برلين ٢٠٣ ، راجع ديوان أبي نواس ، مصر ١٨٩٨ ص ٣٤٦) :

سلاف دن كشمس دجن كدمع جفن كخمر عدن .
طبيخ شمس كلون ورس ربيب فرس حليف سجن .

وللشاعر معروف الرصافي (ت ١٩٤٥ م) قطعة هي (ديوان ، مصر الطبعة الرابعة ١٣٧٢)

— ١٩٥٣ م (ص ٤٢٨)

سمعت شمراً للعندليب تلاء فوق النصف للوطيب ،

فلاحظ أنها من البحر نفسه ولكنها ليست موشحة من حيث القوافي .

ثقيل ردف دقيق خصر ، شقيق شمس نتيح بدر .
 بديع حسن رشيق قد ، مليح خلد نقي ثغر .
 قضيب بان عليه بدر ، مثال حسن عروس خدر .
 يا خصر ، قد كنتُ ذا اضطبار في الحب حتى هتكت سري .
 نمت دموعي على عزائي . اذ غاب عني جميل صبري .
 واحسبني لم اجد له غير بيت واحد فيه كلمة عامية ^١ :

الا بكرت معنورة حين تعذل تعرفني (ملعيش) ما لست اجهل .
 وتستطيع ان ترى شيئاً من اللحن الذي اخذه عليه الآمدي في الموازنة ^٢ .
 ولعله ، اعجاباً منه بطائيته ، استعمل « ذو » الطائية بمعنى الذي مرتين :
 اذا انت وجهت الركاب لقصده تبيّنتَ طعم الماء « ذو » أنت شاربه ^٣ .
 — أنا « ذو » عرفت ، فان عرتك جهالة فأنا المقيم مقامة العُدال ^٤ .

(١) ديوان ٢٤٥ . — ملعيش أصلها « من العيش » نحت يلجأ اليه العامة تخفيفاً للفظ مثل « أيش »
 (أي شيء) و « لايش » (لأي شيء) . وقد يدخل الادباء عدداً من هذه الالفاظ في شعرهم
 ونثرهم تملحاً ، كما قال أبو نواس (ديوان ٣٠١) :

كيف أصبحت ؟ لا عدمت صباحاً صالماً ، يا محمد بن قرش .
 أنس نفسي ، كيف استجزت اطراحي ؟ فيم ذا ، سيدي ، وذلك لأيش ؟
 ويرى بعضهم أنها فصيحة ولكنها لنية ، مثل بلعبر وبلحارث وبلهجم مكان بني
 العنبر وبني الحارث وبني الهجم .

(٢) الموازنة ١٢ وما بعدها ، أعيان الشيعة ١٩ : ٩٥ - ٩٧ .

(٣) الديوان ٤٥ . — ذو الطائية معناها « الذي » ، وهي من بقايا اللهجة الحميرية (العربية الجنوبية ،
 لغة اليمن) ، راجع المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة تأليف اغناطيوس غويدي ،
 ص ٦ . و « ذو » هذه تلزمها الواو في الرفع والنصب والخفض (شرح التبريزي ١ : ٢٢٣) .

(٤) الديوان ٢٤٦ .

المتعصبون له والمتعصبون عليه

لم يعرف الأدب العربي شاعراً أثار جدالاً صحيحاً في حياته كأبي تمام . اذ اندفع الادباء الى ديوان الشاعر بنشرون حسناته او سيئاته . ويجادلون فيها حقاً وباطلاً .

عرفنا رواة الأدب يفضلون امرأ القيس على سائر شعراء الجاهلية ، او يرفعون زهيراً فوق النابغة ، او يحكمون لأبي نواس على مسلم بن الوليد او لمسلم على ابي نواس في جمل عارضة واحكام عامة قد تستهويك فتصدقها او لا ترضيك فتمر بها غير آبه ولا حافل ؛ وكذلك كان شأن الناس في الانتصار لحرير والفرزدق والاخلطل . اما الصراع حول مقام ابي تمام فلا يمكنك ان تشهده مكتوف اليدين ولا تستطيع ان تقول إن الناس كانوا يتجادلون في لا شيء .

قد يسبق الى الذهن ان الناس انقسم رأيهم في المتنبي ، أو انه كان للمتنبي خصوم ، وأنه شغل الناس ؛ لكننا اذا درسنا الأحوال التي نشأت فيها خصومة الناس للمتنبي وجدناها تختلف عن تلك التي اثارت الجدل في شعر ابي تمام : وجدنا الذين يناهضون ابا تمام يناهضونه بشاعر معين هو البحري ؛ ثم يجعلون الشعراء مدار البحث ، ومثار الجدل .

المتحاملون على أبي تمام

اذا احببت ان تهتدي الى السر في شدة الحملة على ابي تمام بسين الشعراء من

معاصريه خاصة فخذ رواية ابي الفرج الاصفهاني^١ « ما كان احد من الشعراء يقدر ان يأخذ درهماً بالشعر في حياة ابي تمام . فلما مات اقتسم الناس ما كان يأخذه ... » ولم يكن هؤلاء الشعراء نقرأ لا عدددهم او لا نبوغ فيهم : فقد قال ابن رشيق^٢ : « وليس في المولدين اشهرُ اسماً من الحسن ابي نواس . ثم حبيب والبحري . ويقال لهما اخملا في زمانهما خمسمائة شاعر كلهم مجيد ... » واما البحري : وهو اشهر المولدين بعد ابي تمام فقد اعترف بتقديم صاحبه فقال : « ان ابا تمام للرتيس والامتاذ . والله ، ما اكلت الخبز إلا به » - « وكان اصل نباهة البحري ان صار الى ابي تمام في حمص فعرض عليه شعره فاستحسنه ابو تمام ، وكتب الى اهل معرة النعمان وشفع له اليهم ... »^٣ - ثم لم تُعرف للبحري نباهة وشهرة حتى مات ابو تمام .. اما الآمدي فينكر ان يكون البحري اتصل بأبي تمام اتصالاً من يستفيد او يتوصل الى وجاهة ونباهة^٤ .

ثم ان العلماء ذلتوا أشعار الأوائل ولم يحفلوا بالمحدثين فجهلوا الاجابة عن أشعارهم فعمدوا الى الطعن عليهم ، وخصوصاً ابا تمام لأنه اقربهم عهداً وأصعبهم شعراً^٥ .

ومن أشهر الذين ناصبوا ابا تمام العداء في حياته دعبيل بن علي الخنزاعي (ت ٢٤٦ هـ) كان يثلبه ويكذب عليه ويضع عليه الاخبار وينسبه الى سرقة معاني للشعراء^٦ . وقد ادعى دعبيل ايضاً أن ابا تمام كان يرق منه^٧ . وبلغ من تعصبه على ابي تمام انه أنشد يوماً شعراً ثم سئل رأيه فيه فقال : « هو ، والله ، أحسن من عافية بعد ياس » . فلما قيل له : « إنه لأبي تمام » . قال : « لعله سرقه ! »^٨

(١) الاغاني ١٥ : ٩٨ .

(٢) العدة ١ : ٦٣-٦٤ .

(٣) الاغاني ١٨ : ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٤) الموازنة ٣-٤ .

(٥) راجع اخبار ابي تمام ١٤-١٥ .

(٦) اخبار ابي تمام ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٤٤ ، راجع ٢٠٢ .

(٧) اخبار ابي تمام ٦٣-٦٤ غ ١٠١ : ١٠٢ . (٨) غ ١٥ : ١٠٢ .

ولكن لما توفي أبو تمام عاد دعبل فمدحه ^١ .

وكان من أعداء أبي تمام أيضاً إبراهيم بن المدبر (ت ٢٧٠ هـ) ، كان يتعصب على أبي تمام ويحطه عن رتبته ، ويستجيد شعره ولكن لا يوفيه حقه ^٢ . وكان ابن المدبر أديباً شاعراً ومن ذوي الجاه والمتصرفين في كبار الاعمال في الدولة العباسية . وقد كان صديقاً للبحري معجباً به وبشعره ، وكان البحري يمتدحه ^٣ . وكذلك كان ابن الاعرابي ، أحد أئمة اللغة ، شديد العصبية على ابي تمام ، قال مرة عن شعر أبي تمام : « إن كان هذا شعراً ، فكلام العرب باطل » ^٤ ، بقصد لِيما فيه من التكلف .

أنصار أبي تمام وخصومه المتأخرون

بعدئذ مضى الأدباء يولّفون في فضائل أبي تمام وفي مثالبه . فمن الكتب التي ألفت في فضائل أبي تمام ^٥ كتاب أخبار أبي تمام للصولي ، وأخبار أبي تمام والمختار من شعره للسميسطاني ، وكتاب للمرزباني ، وأخبار أبي تمام ومحاسن شعره للخالديين وكتاب سرقات البحري من أبي تمام لأبي ضياء النصيبي ^٦ . ومن الذين ألفوا في مثالب أبي تمام أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، وأبو العباس أحمد بن عبيدالله القطريلي ^٧ ورجل اسمه عبدالكريم .

وغير زمن لم يكن فيه بين يدي الادباء والدارسين سوى كتاب الموازنة للآمدي . ولقد فطن بعض المؤلفين لتحامل الآمدي على ابي تمام ومحاباته للبحري فقال

(١) أخبار أبي تمام ٢٠٢ .

(٢) أخبار أبي تمام ٩٧ ، ١٧٥ .

(٣) أخبار البحري ١١٣، ٧٦-١١٤، ١١٨، ١٢٤-١٢٦، ١٣٤، ١٥٧ .

(٤) أخبار أبي تمام ١٧٥-١٧٦ ، راجع ١٧٧ ، ثم ٢٤٤ وأخبار البحري ١٤٧ .

(٥) الفهرست (القاهرة) ١٩٠-١٩٢، ١٣٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٤٠، ٢٤١ .

(٦) الفهرست ٢١٣ .

ابن النديم : « ان في الآمدي تحاملاً على ابي تمام » ، ونسبه الشريف المرتضى الى الغلو في انتقاد ابي تمام ^١ . ويخبرنا ياقوت ^٢ ذلك بتفصيل واف فيقول : ولأبي القاسم (الامدي) تصانيف كثيرة جيدة مرغوب فيها ، منها كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحري ... وهو كتاب حسن وان كان قد عيب عليه في مواضع منه ، ونسب الى الميل مع البحري فيما أورده والتعصب على ابي تمام فيما ذكره ... فانه جد واجتهد في طمس محاسن ابي تمام وتزيين مزدول البحري ... « وياقوت لا ينكر فضائل البحري بل يقول : « لو انصف (الآمدي) وقال في كل واحد بقدر فضائله لكان في محاسن البحري كفاية عن التعصب بالوضع من ابي تمام » . وفي العام ١٩٣٧ صدر كتاب أخبار أبي تمام لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ^٣ فأصبح بين يدي الدارسين لحياة أبي تمام وشعره - لحسن حظ أبي تمام وحسن حظ الأدب - مصدر يمثل وجهة نظر المنصفين لأبي تمام في وجه موازنة الآمدي .

دفاع أبي الفرج

لأبي الفرج الاصفهاني دفاع عن ابي تمام يتكافأ فيه الأدب الرفيع والخلق النبيل . قال ابو الفرج ^٤ :

« وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف ؛ وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ،

(١) الشهاب في الشيب والشباب (تسطنطينية ١٣٠٢هـ) ص ٤ وما بعدها .

(٢) معجم الادباء ٣ : ٥٩ .

(٣) نشره وحققه وعلق عليه خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزام ونظير الاسلام الهندي (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦-١٩٣٧م) . حينما كنت في ألمانيا عثرت على هذه المخطوطة في المكتبة العامة في برلين (رقم مخطوطات شرقية ١٩٣٢ - ٢٣) فاستخرجت لها صورة وعكفت على دراستها . ففي يوم من الأيام رأيت في القسم الشرقي من مكتبة برلين السيد نظير الاسلام يعمل على المخطوطة نفسها وأخبرني أنه يعمل على المخطوطة لجعلها أطروحة له ثم قص علي قصة أديبين مصريين عرفا بالمخطوطة وكادا بسبقانه في نشرها . بعدئذ سألاه أن يضم جهوده الى جهودهما .

(٤) الاغانى ١٥ : ٩٦ ، ١٢ : ٦٧ (بولاق ١٢ : ٧٠) .

ويستعملون القححة والمكابرة في ذلك ليقول الجاهل بهم أنهم لم يبلغوا علم هذا وتميزه إلا بأدب فاضل وعلم ثاقب . وهذا مما يتكسب به كثير من اهل هذا الدهر ويجعلونه . وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معائبهم . سبباً للترفع وطلباً للرئاسة . وليست اساءة من اساء في القليل واحسن في الكثير مستنظة احسانه . ولو كثرت اساءته ايضاً ثم احسن لم يُقل له عند الاحسان اسأت . ولا عند الصواب اخطأت ! والتوسط في كل شيء اجمل . والحق احق ان يتبع ...

« ... وقد فضل ابا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره ولا يدركون ، - وان جدوا - آثاره ؛ وما رأي الناس بعده الى حيث انتهوا له في جده نظيراً ولا شكلاً ... وكان في ابن مهرويه تحامل على ابي تمام لا يضر ابا تمام هذا منه ، وما اقل ما يقدر مثل هذا في مثل ابي تمام . »

مهاجاة الشعراء

هجأ ابا تمام شعراء كثيرون . فرد أبو تمام على بعضهم ولم يلتفت الى بعض . من هؤلاء جميعاً^٢ دعبل بن علي ومخلد بن بكتر الموصلي وعبد الصمد بن المعذل الشاعر البصري وشاعر اسمه الوليد . ومنهم خالد الكاتب وعبدالله الكاتب ومحمد بن يزيد ، ويوسف السراج الشاعر المصري وعتبة بن أبي عاصم ، ومحمد بن وهب الحيميري الشاعر ومحمد بن الحسن الشاعر .

(١) راجع أخبار ابي تمام ٢٤٥ ، ورنّا ابن مهرويه ابا تمام (ص ٢٧٩) .

(٢) راجع في ما يلي كنه : الاغاني ٣٤:٢١ ؛ وفيات ١٥٠:١ ؛ السدة ٧٠:١ ؛ ديوان

خ ٤٨٥ - ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ الخ ؛ أخبار ابي تمام ٢٣٥:٣٤ - ٢٤٣ ،

٤٢١ - ٤٢٢ .

آشَارُهُ وَأَشْرُهُ

لا إخالني اعرف شاعراً مؤلفاً قبل العصر العباسي ؛ أما في العصر العباسي فقد كان من الشعراء المُقْلِين كتاباً (في الدواوين) . من هؤلاء الشعراء : عبد الله بن المُقَفَّع (الكاتب المنشيء) ، محمد بن عبد الملك الزيات ، سليمان بن وهب . عمرو بن مسعدة ، احمد بن المُدَبَّر ، احمد بن يحيى البلاذري المورخ ، والخالديان محمد وسعيد ؛ وغيرهم ممن هم اقل شهرة^١ ؛ ومن هؤلاء ايضاً ييشر بن المُعْتَمِر^٢ لأنه « نقل من الكتب من معانٍ شتى الى الشعر » .
أما بعد ابي تمام فهنالكَ البحري ، وابن المعتز ، والسري الرفاء . و ابو العلاء المعري ؛ فهم مؤلفون بالمعنى الذي نفهمه اليوم .

وأشهر الشعراء المؤلفين ، حاشا أبا العلاء المعري الشاعر المكثّر وعبدالله بن المقفّع الشاعر المقلّ ، أبو تمام الطائي . ذكر ابن النديم^٣ لأبي تمام أربعة مؤلفات هي : كتاب الحماسة ، كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، كتاب الاختيارات من شعر القبائل ثم كتاب الفحول . وقد عني السيد محسن الامين^٤ بتعداد

(١) الفهرست ٢٣٦-٢٣٩، ٢٤٠، وما بعدها

(٢) الفهرست ٢٣٠-٢٣١ .

(٣) الفهرست ١٦٥ ؛ في أعيان الشيعة (١٩ : ٤٨٩) خمسة مؤلفات ، وذلك وهم (راجع تحت ، الكلام على الحماسة الصنرى) .

(٤) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٦-٤٩٨ ؛ راجع ايضاً حركة التأليف عند العرب ١ : ٩٥-١٠٤ ، في ما يتعلق بكتاب الحماسة وحده .

هذه المؤلفات وبأقوال مؤرخي الأدب فيها وفي أمثالها عناية فائقة . وفي ما يلي وصف موجز هذه المؤلفات :

١ - ديوان الحماسة ، أو كتاب الحماسة ، أو الحماسة الكبرى ١ :

زار أبو تمام عبد الله بن طاهر والي خراسان ، وكان يقيم في نيسابور ، ومدحه ثم عاد وشيكاً . وفي أثناء رجوعه اعترضه الثلج عند مدينة همذان - وكان الشتاء في ذلك العام شديداً ٢ - فمال الى صديق له هنالك اسمه أبو الوفاء بن سلمة ريثما يذوب الثلج فيستطيع أن يتابع سيره الى العراق .

وكان عند أبي الوفاء بن سلمة خزانة كتب قيّمة فانصرف اليها أبو تمام وجمع من دواوين الشعر التي كانت فيها كتاب الحماسة وغيره فيما قيل . وقد أختار أبو تمام في « ديوان الحماسة » نحو سبعمائة وثمانين قطعة لنحو أربعمائة وخمسة وستين شاعراً من الشعراء المقلين ولا سيما المغمورين منهم ، سوى المجاهيل ٣ .

في « ديوان الحماسة » نحو عشر أبيات مفردة ٤ ، ثم هنالك يضع مختارات تتألف كل واحدة منها من ثلاثة أشطر من الرجز ٥ . ولكن معظم المختارات تتألف من مقطعات يترأوح عدد هابين بيتين وبين عشرة أبيات . وفي الحماسة أيضاً مقاطع قليلة تزيد أبياتها على عشرة وتقل عن عشرين . أما المقاطع التي يزيد عدد

(١) راجع فوق ، ص ٢٢ ؛ هبة الأيام ٩ ، ١٣٨ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٦-٤٩٠ ، حركة

التأليف عند العرب ١ : ٩٥-١٠٢ . GAL. Suppl. I 136 ff.

(٢) أوائل ٥٢٢٢ = أوائل ٨٢٧ .

(٣) بعض مقاطع الحماسة منسوبة هكذا : قال بعض بني بولان من طيء - قال أعرابي قتل أخوه ابناً له - قال رجل من بني تميم - وقال آخر - قال بعض بني أسد - قالت امرأة من طيء - قالت غيرها - قال أعرابي - قال بعض المدنيين الخ . ويبلغ هؤلاء المجاهيل نحو مائة وخمسين شاعراً يمكننا أن ننسب نحو ثلاثين منهم على وجه الايقان أو الظن .

(٤) ديوان الحماسة ٢ : ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٥) ديوان الحماسة ٢ : ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ .

أبياتها على عشرين فهي ست : قصيدة السموأل بن عاديا : « اذا المرء لم يدنس
 من اللوم عرضه »^١ وقصيدة المنخل بن الحارث اليشكري : « ان كنت عاذلتني
 فسيري »^٢ . وكل واحدة منهما اثنان وعشرون بيتاً . ثم هنالك قصيدة العديل
 ابن الفرخ العجلي : « ألا يا اسلمي . ذات الدماليج والعقد »^٣ ، وقصيدة يزيد
 ابن الحكم الثقفي يعظ ابنه بدرأ : « يا بدر ، والامثال يضربها لذي اللب الحكيم »^٤ ،
 وكل واحدة منهما ثلاثة وعشرون بيتاً . وتأتي بعدئذ قصيدة تأبط شرا : « ان
 بالشعب الذي دون سلع ... »^٥ . وهي ستة وعشرون بيتاً . أما أطول مقاطع
 الحماسة اطلاقاً فهي قصيدة زياد بن حمائل بن سعد^٦ :

لا حبذا أنت ، يا صنعاء . من بلد ولا شعوب - هوى مني - ولا نقم^٧ ،
 فانها أربعة وأربعون بيتاً .

واختار أبو تمام في الحماسة مقاطع لجميع الشعراء المقلين والمكثرين ،
 والمشهورين والمغمورين ، والقدماء والمحدثين ، وان كان جل اهتمامه بالمقلين
 المغمورين القدماء . أما المشاهير فضمت الحماسة منهم المهلهل وطرفة وعمرو بن
 كلثوم وعنترة والنابغة في الجاهليين . وحمان والحنساء والفرزدق والاختل
 وجميل بن معمر في الاسلاميين ، وأبا العتاهية والعباس بن الاحنف ومسلم بن
 الوليد ثم بكر بن النطاح المعاصر لأبي تمام من المحدثين .

والمفروض أن يكون أبو تمام قد اختار في الحماسة مقطوعة واحدة لكل شاعر

(١) ديوان الحماسة ١ : ٣٦-٤٠ .

(٢) ديوان الحماسة ١ : ٢٠٨-٢١١ .

(٣) ديوان الحماسة ١ : ٣٠٨-٣١٣ .

(٤) ديوان الحماسة ٢ : ٤٠-٤٥ .

(٥) ديوان الحماسة ١ : ٣٤٨-٣٥٣ .

(٦) ديوان الحماسة ٢ : ١٤٤-١٥٤ .

(٧) صنعاء : عاصمة اليمن ، وشعوب بفتح الشين (القاموس ١ : ٧٨) مكان في اليمن ، قصر
 عال أو متنزه ذو بساتين ورياض في ظاهر صنعاء . نقم (بضم النون) : قرية في اليمن
 (القاموس ٤ : ١٨٣) ، بلدة في اليمن ، أو جبل عال فيها - ليس فيك ، يا يمن ،
 شيء أحبه ، لا صنعاء ولا شعوب ولا نقم .

استجاد شعره . ولكن الذين اختار لهم قطعتين أو ثلاثاً لسيوا قليلين . أما الذين اختار لهم اربع مقطوعات أو خمساً أو ستاً فانهم قليلون جداً . فمن الذين اختار لهم ست مقطوعات حاتم الطائي وعروة بن الورد وهما جاهليان ، ثم موسى بن جابر الحنفي وهو شاعر اسلامي .

وتنقسم الحماسة عشرة أبواب . هي عشرة فنون من الشعر : الحماسة - المراثي - الأدب (الحكمة) - النسيب - الهجاء - الاضياف والمديح - الصفات (الوصف الحسي) - السير والنعاس - المُلح (النكت والفكاهة والاحماض والمجون) - مذمة النساء . وقد سمي أبو تمام هذا المجموع كله باسم الباب الأول منه « الحماسة »^١ ، وهو أطول الأبواب وأهمها في هذا المجموع القيم . واشتهر كتاب الحماسة لأبي تمام شهرة غطت على شهرة كل مجموع آخر شبيه به . فإذا قلنا اليوم « ديوان الحماسة » فإننا نعني ديوان الحماسة لأبي تمام . وقد دل ديوان الحماسة هذا على سعة اطلاع أبي تمام وغزارة علمه بالشعر وحسن ذوقه في الاختيار حتى قيل إن ابا تمام كان في اختياره لديوان الحماسة أشعر منه في شعره^٢ . ومن أوجه الأهمية لديوان الحماسة أننا نجد فيه أشعاراً لا نعرفها في مكان آخر .

ولقد عد السيد محسن الأمين شروح ديوان الحماسة فوجدها أربعة وثلاثين شرحاً^٣ بعضها شروح عامة كشرح الامام المرزوقي المتوفي سنة ٤٢١ للهجرة ، وشرح الخطيب التبريزي المتوفي سنة ٥٠٢ للهجرة . ومنها أيضاً شروح خاصة

(١) الحماسة ، في الاصل ، الشدة في الدين والقتال ، ثم هي الشجاعة (راجع القاموس ٢ : ٢٠٨) . والحماسة أيضاً هي الشعر الذي يقال في القتال وفي التجلد في المصائب والقسوة وقلة المبالاة وصلابة النفس في أي فن من فنون الشعر جاءت هذه الخصائص (راجع شرح الحماسة لتبريزي) .

(٢) خمسة شعراء جاهليون ، للمؤلف ص ٢٥ ، ٢٧ .

(٣) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٠-٤٩٤ ، راجع حركة التأليف عند العرب ٩٨-٩٩ . اما أحمد

أمين وعبد السلام هارون فقد احصيا نحو ثلاثين شرحاً (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١ : ١١

- ١٥ من التقديم) . ولعلها كُتبت اسم الصولي مرتين (رقم ١٣١١ وجملاً وفاته مرة سنة ٥٣٣٥

ومرة سنة ٥٤٧٦) .

تناول أوجهاً معينة من هذا الديوان القيم ، فهناك المبهج في شرح أسماء رجال
الحماسة لابن جني ، ومنها رسالة في ضبط أعلام الأماكن في ديوان الحماسة لأبي
هلال العسكري .

٢ - الحماسة الصغرى وتعرف أيضاً باسم الوحشيات ^١ :

جمع أبو تمام هذا الكتاب من شعر الشعراء العرب (أي القدماء) ورتبه على
عشرة أبواب هي أبواب الحماسة الكبرى نفسها . ويبدو أن الحماسة الصغرى
قصائد طوال . وهم السيد محسن الأمين مرة ^٢ فجعل الوحشيات كتاباً مستقلاً
غير الحماسة الصغرى .

٣ - كتاب الفحول ، أو كتاب فحول الشعراء ، أو كتاب اختيار شعراء
الفحول ^٣ :

هذا المجموع مقاطع من شعر الشعراء الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين
على الانواع ^٤ وينتهي بابن هرمة .

٤ - كتاب الاختيار من شعر القبائل ، ويسميه السيد محسن الأمين «الاختيار
القبائلي الأكبر ويذكر أنه رآه * ، ولعله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء .
٥ - الاختيار القبائلي الأصغر ، اختار فيه أبو تمام مقاطع من محاسن أشعار
القبائل . ومعظمه لغير المشهورين ^٥ .

٦ - اختيار المقطعات ، وهو محبوب على ترتيب الحماسة وفيه أشعار للمشهورين
ولغير المشهورين من القدماء والمتأخرين . وهو يبدأ بأشعار الغزل ^٦ .

(١) وفيات الأعيان ، مقدمة الحماسة (فرايتاغ) ،

الآغاني ١ : ٣٤٦ ، الحاشية ١ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٥ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٩ .

(٣) الفهرست ١٦٥ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٥-٤٩٦ ؛ وفيات (مطبعة الوطن) ١ : ٢١٤ .

(٤) الفهرست .

(٥) الفهرست ١٦٥ ؛ أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

(٦) الفهرست ١٦٥ ؛ وفيات ١ : ٢١٤ .

(٧) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

(٨) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

مقلدو أبي تمام

- وقلد أبا تمام نفرًا من الشعراء والأدباء والنقاد في جمع مجاميع من الشعر يُعرف كل واحد منها باسم « الحماسة » ايضاً : وقد وصل الينا من هذه المجاميع ٢ :
- ١ - حماسة البحري - البحري (ت ٨٢٨٤=٨٩٧م) تلميذ أبي تمام وكان يتشبه به وينحو نحوه ٣ ، فألف « كتاب الحماسة » على مثال حماسة أبي تمام ٤ .
 - على ان البحري عني بالاعراض - بالمعاني المفصلة : حمل النفس على المكروه ، مجاملة الاعداء ... الائمة ... ركوب الموت خشية العار ... مؤاخاة الكرام الخ ٥ ، لا بالفنون (الحماسة ، المرثي ، الهجاء ...) كما فعل أبو تمام .
 - ٢ - حماسة الخالدين - الخالديان هما أبو بكر محمد وابو سعيد عثمان أبنا هاشم ، وكانا من احياء القرن الهجري الرابع ومن الذين كانوا في بلاط سيف الدولة ٦ ، « لهما من الكتب حماسة شعر المحدثين » .
 - ٣ الحماسة العسكرية لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ - ١٠٠٥ م) .
 - ٤ - حماسة أحمد بن فارس (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ) الأديب اللغوي المشهور ٧ .
 - ٥ - الحماسة لأبي السعادات هبة الله بن علي الشجري العلوي (ت ٥٤٢ هـ - ١١٤٧ م) ، وتعرف بمختارات الشجري . هذا المجموع يضم أبواباً يتناول بعضها فنوناً من الشعر كالمديح والمرثي ... ويتناول بعضها الآخر أغراضاً ومعاني

(١) أعيان الشيعة ١٩: ٤٩٦ .

(٢) راجع اعيان الشيعة ١٩: ٤٩٤-٤٩٥ ، حركة التأليف ١: ٩٩-١٠٤ .

(٣) معجم الادباء لياقوت ٧: ٢٢٧ .

(٤) الفهرست ١٦٥ ؛ (مطبعة الوطن) ١: ٢١٤ .

(٥) حركة التأليف ١: ١٠٠-١٠١ .

(٦) راجع الفهرست ١٦٩ ؛ حركة التأليف ١: ٩٨ ؛ « لها الاشياء والنظائر من اشعار المتقدمين

والجاهليين والمخضرمين في الكتبخانة الخديوية المصرية (فهرست الكتبخانة ٤: ٢٠٢) .

وقد طبع هذه الكتاب في القاهرة ، عام ١٩٥٨ (حقيقه وعلق عليه محمد يوسف) .

(٧) حركة التأليف عند العرب ١: ٩٨ .

جزئية : فهو لذلك وسط بين حماسة أبي تمام وحماسة البحري^١ .

٦ - الحماسة^٢ للأعلم الشتمري الاندلسي (ت ٤٧٦ هـ) .

٧ - الحماسة لعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلي (ت ٦٠١ هـ) ، وهي تتألف من أربعة عشر باباً .

٨ - الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن أبي الفرج البصري (قتل ٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م) .

٩ - الحماسة المغربية لأبي الحجاج بن محمد الاندلسي البياسي (ت ٦٥٣ هـ - ١٢٥٥ م) ، وهي حماسة كبيرة تقع في مجلدين . وقد كان تأليفها في تونس سنة ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) .

ديوان أبي تمام والشروح عليه

يبدو أن النسخة التي وصلت إلينا من ديوان أبي تمام هي النسخة التي صنعها علي بن حمزة الاصفهاني^٣ ، وهي النسخة المتداولة في الطبع . هذه النسخة مرتبة على الفنون^٤ ، وكل فن فيها مرتب على الحروف .

وقد كانت العناية بشعر أبي تمام كثيرة ، فقد شرحه نفر من المشاهير^٥ . ان أقدم الشروح التي وصلت إلينا وافية كاملة شرح أبي بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) . كان الصولي من المعجبين بشعر أبي تمام ومن المتعصبين له جمع نخبة صالحة من أخباره وشعره ثم شرح ديوانه . وشرح الصولي موجز مقتصر على معاني الابيات . ثم هو قليل التعرض لمسائل اللغة والنحو ، الا أنه يورد أحياناً

(١) مثله ١: ١٠٢-١٠٣ . وقد طبعت حماسة الشجري في حيدر اباد (الدكن) بالهند ١٣٤٥ هـ .

(٢) يظن ابن خلكان أنه كان يملك شرحاً للحماسة بقلم الاعلم الشتمري في خمسة مجلدات (وفوات ، مطبعة الوطن ٣ : ٤٢٧) .

(٣) يذكر محمد عبده عزام (ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١ : ٤٤ من المقدمة) أن نسخة الاسكوريال تبلغ ١٣٦ ورقة مسطرتها ١٩ سطراً ، وهذا يجعل أبيات الديوان نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت . (٤) راجع مطلع الفصل التالي .

(٥) راجع مقدمة محمد عبده عزام لديوان أبي تمام بشرح التبريزي ١ : ٢٠-٣١ .

أشياء من الأخبار تعين القارئ على فهم الآيات التي تتعلق تلك الأخبار بها من قرب أو بعد . وشرح الصولي يتناول النصف الأول من الديوان .

وبعد الصولي في الزمن يأتي الامام الحارزنجي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ . وهو من شراح ديوان أبي تمام المتقدمين ، غير أن أكثر شرحه قاصر على التفسير اللغوي .

ثم يأتي في هذه السلسلة أبو القاسم الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) ، وهو الذي نصب الحرب لأبي تمام وشعره في كتابه « الموازنة » . وقد كان الآمدي من أنصار البحري . وفي شرح الآمدي كثير من النقد والجدل يحاول الآمدي أن يبرر بهذا تعامله على أبي تمام : وربما عمد الى تبديل رواية أو الى اختلاق رواية رأساً للحط من شعر أبي تمام .

ثم يأتي أبو علي المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) ، وهو من المعجبين بأبي تمام المتعصبين له . والمرزوقي كثير العناية ، في شرحه ، بأسلوب أبي تمام يعتمد الذوق في استخراج المعاني ويحاول ان يصحح الروايات التي لا يرضاها بالمألوف من مذهب أبي تمام أو من مذاهب الشعراء . وقلما لجأ الى ما روي في نسخ الديوان . وللمرزوقي كتاب الانتصار من ظامة أبي تمام .

وكان أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) في عصر المرزوقي . وهو من أشد المعجبين بأبي تمام وبشعره ، شرح ديوان أبي تمام وسمّاه « ذكرى حبيب » ، اعجاباً بالتورية بين « حبيب » بمعنى المحبوب المعشوق وبين « حبيب » بن أوس (اسم أبي تمام) .

وشرح المعري لغوي في الدرجة الأولى ، وفيه استطراد كثير في اللغة وفي تفسير المعاني . والمعري يريد أن يكون كل قول لأبي تمام جميلاً ، فهو يذافع عن معاني أبي تمام بكل سبيل .

ثم يأتي الخطيب التبريزي (ت ٥١٢ هـ) تلميذ المعري . وشرح التبريزي

(1) Hss. (Berlin), Ahlw. 7539 (GAL I 85) .

لشعر أبي تمام يقوم في الأكثر على الجمع بين شروح المتقدمين والاتيان بشرح ديوان أبي تمام كاملاً .

ومن هذه السلسلة في اعتاب الدولة العباسية أبو البركات المبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفى الأربلي المتوفى في الموصل في ١٦ رمضان من سنة ٦٣٨ (١٢٤١ م) له كتاب النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام في عشر مجلدات ^١ . وابن المستوفى يجمع شروح الشراح على شعر أبي تمام منذ أيام الصولي ، وهو عالم محقق أمين ينسب كل قول من أقوال الشارحين الى صاحبه ، وقد يعقب على هذه الأقوال ^٢ .

(١) وفيات الاعيان (مصر ، مطبعة الوطن ١٢٩٩ هـ) ٢ : ٢٠٦-٢١٠ .
(٢) محمد عبدة عزام (ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١ : ٣٩-٤٣) .

فنون أبي تمام وأغراضه

ليس ديوان أبي تمام كبير الحجم بالاضافة الى دواوين أمثاله من الشعراء كأبي نواس والبحتري وابن الرومي وغيرهم ممن لمعوا في سماء الأدب العربي وحازوا إمارته على الدهر ، واتصاوا برجالات العرب والاسلام في السياسة والاجتماع . و ابو تمام ككل الشعراء العرب - اذا استثنينا نقرأ كالعباس بن الاحنف وعمر بن الفارض وأمثالهما - خاض في فنون الشعر جميعها ، ولكنه اكتسب شهرته بفنين منها : المديح والرثاء . ومع ان شعره في الرثاء اقل حجماً من شعره في المديح فانه لا يقل عنه قيمة ، بل ربما فاقه .

يحرص أصحاب الآثار على أن يجمعوا آثارهم في حياتهم . ومن الواضح أن آثارهم لا تم عادة الا بتمام حياتهم . ومن هذا القبيل يجب أن نفهم الرواية عن عثمان بن المشنى القرطبي المتوفي سنة ٢٧٣ للهجرة (٨٨٦ - ٨٨٧ م) أنه « رحل الى المشرق وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه ^١ » ولما بدأ ابن النديم ^٢ تأليف كتابه « الفهرست » كان شعر أبي تمام لا يزال مفرقاً ، غير مجموع جمعاً منسقاً على طريقة ما ، فقدّره بنحو مائتي ورقة ، أي أربعة

(١) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس لمحمد بن يوسف الازدي المعروف بابن الفرضي ، جزماني ، القاهرة ١٣٧٣ - ١٩٥٤ م ، ١ : ٣٤٦ .

(٢) انتهى ابن النديم من تأليف كتابه « الفهرست » سنة ٣٧٧ (٩٨٧ - ٩٨٨ م) ، وتوفي يوم الاربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ (أيلول ٩٩٥) .

آلاف بيت^١ . ثم جاء أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٠ للهجرة^٢ فعمله مرتباً على الحروف في نحو ثلاثمائة صفحة^٣ . أي ستة آلاف بيت . وكذلك صنعه علي بن حمزة الاصفهاني^٤ على الانواع .

وبمراجعة الديوان يتضح لنا أن تقدير ابن النديم كان قريباً من الصواب . فاذا نحن اعتبرنا الديوان^٥ وجدنا أنه يضم نحو ٦٧٣١ بيتاً موزعة كما يلي ، على وجه التقريب : باب المديح ٤٣٤٧ بيتاً ، باب الرثاء ٦٦٧ بيتاً ، باب العتاب ٢٥٦ بيتاً ، باب الوصف ١٧٧ بيتاً ، باب الغزل ٥٥٧ بيتاً ، باب الفخر ١٥٥ بيتاً ، باب الوعظ ٤٦ بيتاً ، باب المهجاء ٥٢٦ بيتاً .

وأغراض أبي تمام المفرقة في الأبواب السابقة - ولا سيما في بابي المديح والرثاء - كثيرة جداً . فمما يدل على كثرتها والاجادة فيها ما ورد لأبي تمام من المقاطع المختلفة المنثورة في « كتاب الزهرة » لأبي بكر محمد بن داوود الاصفهاني . وموضع الشاهد في ذلك أن كتاب الزهرة مؤلف في الحب والغزل وأحوالهما ، وأبو تمام ليس من فرسان هذين الميدانين . فاذا كان شاعرنا قد تناول هذه الاغراض التي ليست من جوانب عبقريته بمثل هذا اليسر والسعة والاجادة ، فما بالك بالاغراض التي تقوم عليها عبقريته !

اختار أبو بكر الاصفهاني في كتابه « الزهرة » مقاطع قصاراً تبلغ عشرة آلاف بيت نصفها في أحوال الحب وما يتصل بها لشعراء قدماء ومحدثين

(١) الفهرست ١٦٥ . يذكر ابن النديم (الفهرست ١٥٩) أن الورقة تضم عشرين بيتاً من الشعر .

(٢) الفهرست ١٥١ .

(٣) الفهرست ١٦٥ .

(٤) الفهرست ١٦٥ .

(٥) فر ألفاظه المنثوية . وقف على طبعه محيي الدين الخياط . طبع بمناظرة والتزام محمد جمال

(بيروت ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م) - راجع تاريخ طبع الديوان بحساب الجمل على الصفحة

« يو » ، للشيخ عبد الرحمن سلام والشيخ حسين الحبال . وقد أغفل محيي الدين الخياط إيراد

جانب من هجاء أبي تمام الذي يمس بالأدب (الديوان ٤٨٥) . ويبدو أيضاً أن الأبواب

الآخرى تنقص عدداً آخر من الابيات .

ثم فرقها في مائة باب . ولكن لم يطبع الى اليوم من كتاب الزهرة الا نصفه فقط ^١ . وكان الاصفهاني قد شرط على نفسه أن يورد المختارات مجردة من التعليق الا اذا كان فيها ما يزيد على غيره في الحسن والجلودة وزيادة ظاهرة ^٢ . ثم انه تشدد فلم يبد استحسانه الا عند ايراد ثمان وأربعين مقطوعة كان لأبي تمام وحده تسع منها ^٣ . أما مجموع الأبيات التي اختارها الاصفهاني من شعر أبي تمام ، في النصف الأول من كتاب الزهرة ، فتبلغ مائة واثنين وسبعين بيتاً تولف سبعا وخمسين مقطوعة تتفرق في تسعة وعشرين باباً من أبواب الكتاب ^٤ .

١ - المديح

لا يستطيع دارس ان يعتمد في نقد « المديح » على مدائح الشاعر ابدأ ؛ فهي لا تدل غالباً على المادح ولا على الممدوح دلالة صادقة ، لأن حماسة الشاعر تزيد أو تنقص حسب زيادة امله او نقصه في نوال الممدوح . وكثيراً ما رأينا شاعراً يمدح شخصاً ثم يعاتبه ثم يهجوّه ؛ ومن هؤلاء ابو تمام .

عرف ابو تمام كيف يصرف مدحه ، فلم ينتفع في ايامه شاعر بدرهم ^٥ ؛ واذا علمنا ان الممدوح لرضاء الممدوح فحسب غفرنا كثيراً من ذنوب ابي تمام وأهملنا أكثر ما يأخذه به بالنقاد .

كان الناس في غمرة من الثقافة الفارسية يؤثون اوجههم شطرها في أكثر امور دنياهم ، فلم يكن نصيب الأدب أقل من نصيب غيره حتى أصبحت بغداد على الحقيقة قطعة من بلاد الفرس . ثم كانت نكبة البرامكة ، وفورة الزندقة .

(١) النصف الاول من كتاب الزهرة ، تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان داود الاصفهاني ،

اعتنى بنشره الدكتور لويس فيكل البوهيمي بمساعدة الشاعر الاديب ابراهيم عبد الفتاح طوقان (طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢٢ م - ١٣٥١ هـ) .

(٢) كتاب الزهرة ٧ ، أشار الاصفهاني الى عدد من المعاني القبيحة في بابها ، ص ٢٦ .

(٣) كتاب الزهرة ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٩٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ .

(٤) راجع فهرس كتاب الزهرة ، ص ٣٧٥ .

(٥) الأغاني ١٥ : ٩٨ .

وصلّف الشعوبية ، وفتنة بابل ، ومجيء الأتراك فمال الناس - في الظاهر على الأقل - عن الفرس ميّلةً واحدة واستيقظت فيهم الروح العربية وحنّوا إلى البادية وألوانها من جديد ؛ مع أن الشعراء لم يكونوا قد انصرفوا عنها قط ، خصوصاً في أماديحهم .

مصراعين .

يمتاز مديح أبي تمام بأربعة مظاهر احتاز بها حقوق الشعراء جميعاً .

(أ) الأشادة بالقومية العربية والدين الإسلامي : فهو يستمد منهما تاريخاً وعظمة وشهامة ينثرها في مدائحه ، وقد استطاع من أجل ذلك أن يفرض باعجاب بني العباس مع احتفاظه بحب آل البيت . ولا ننس أن الميل إلى بني علي كان جريمة يومذاك .

من ذلك قوله في مدح المأمون :

لما رأيتَ الدينَ يخفقُ قلبه ، والكفر فيه تغطرس وعُرام^١ .
أوريتَ زندَ عزائمٍ تحت الدُجى ، أسرجنَ فكرك ، والبلادُ ظلام^٢ .
فنهضتَ تسحب ذيلَ جيش ساقه ، حسن اليقين ، وقاده الإقدام ،
حتى نقضت الروم منه بوقعةٍ ، شعاءً ليس لنقضها إبرام^٣ ؛
في معرك ، أما الحِمام فمفطر ، في هبوتيه والكُماة صيام^٤ .
ما كان للإشراك فورة مشهد ، والله فيه ، وانت ، والاسلام !
لم يُقرَ هذا السيفُ هذا الصبرَ في هيجاء ، إلا عزّ هذا الدين^٥ .

ومدح الواثق فقال :

يا ابن الحلائف : ان بردك ملوّه كرم ، يذوب المُنزَنُ منه ، ولين :

(١) تغطرس : تكبر وتطاول وظلم . حرام : شدة وشراسة .

(٢) الحام : الموت . الحام مفطر : يأكل من المحاربين بنهم . والكماة : (الاهطال ،

المحاربون) صيام قائمون على حذر ومسكون عن كل شيء (عن الطعام وعن كل

شيء غير القتال) . الهبوة : الفبار الذي يشبه الدخان ويكون في المارك عادة .

(٣) ما صبر الناس ، والسيوف بأيديهم ، مثل هذا الصبر في حرب ما الا انتصر الاسلام .

نور من الماضي عليك ؛ كأنهم
يسموبك السفاح ، والمنصور ، وال
فرسان مملكة ، أسود خلافة
قوم غدا الميراث مضروراً لهم
قد اصبح الاسلام في سلطانها ؛

وليس أحسن في هذا المقام من الاكتفاء بالإشارة إلى قصيدة « فتح الفتوح »^٢
وقريب من هذا قوله في مدح أبي سعيد الثغري بعد وقعة بابل :

تأله أدري أألاسلام يشكرها
يوم به أخذ الإسلام زينتته
يوم يجيء ، إذا قام الحساب ، ولم
لم تبق مشرقة إلا وقد علمت -
فاعذر حودك فيما قد خصصت به ؛
من وقعة ، أم بنو العباس ، أم أدد^٣
بأسرها ، واكتسى فخراً به الأبد ؛
يدممه بدر ولم يفضح به أحد ؛
إن لم تتب - أنه للسيف ما تلد ؛
إن العلى حسن في مثلها الحسد !

(ب) استخدام الحوادث القديمة والحديثة : إذا كان لها علاقة بالممدوح أو
بآله أو بقبيلته أو بقومه ، ليرفع بها من شأنه ويشهر مناقبه ويظهر مناسبه ويبين
معامله وشرف مقامه . إن أبا تمام لا يفضل عن حادثة كبيرة يذكرها أو صغيرة
يجلو أوجهها . وهذا يمكننا أحياناً من تعيين تاريخ قصائده .

مدح أبو تمام أبا دلف العجلي فقال مشيراً إلى قومه .

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها ،
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم
وزادت على ما وطدت من مناقب ،
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب .

(١) القرآن (بتسهيل الهزة) لغة في القرآن .

(٢) راجع في المختارات : السيف اصدق انباء من الكتب !

(٣) المقدم المنفي تقديره (والله اني لا ادري ...) ، ادد : قبيلة المملوح .

(٤) يوم الحساب : يوم القيامة ؛ بدر واحد غزوتان من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) راجع المختارات .

محاسنُ من مجدٍ متى تقرّروا بها محاسنَ أقوامٍ تكن كالمعائب .
 ومدح ابو تمام محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي فقال فيه ١ :
 فرمي بأشباحنا الى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه .
 نجمُ بني صالح ؛ وهم أنجم الـ هالم من عجمه ومن عربيه .
 رهط النبي ، الذي تقطّعُ انه باب البرايا سوى سبيه !

وانظر الآن كيف يحاول ابو تمام ان يجلو نسب خالد بن يزيد الشيباني في اجمل
 إهاب ، ويكسوه من المجد أغلى ثياب (خ ٩٨) .

مطر ابوك ، ابو أهلة وائل ؛ ملاً البسيطة عُدّة وعديداً .
 اكفاؤه تلد الرجال ؛ وإنما ولد الختوف اسوداً ٢ وأسودا .
 ورثوا الأبوة والحظوظ ؛ فأصبحوا جمعوا جدوداً في العلى وجدوداً ٣ .
 ومشوا أمام أبي يزيد وحوله مشياً ، يهدّ الراسيات ، وثيدا ؛
 واذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ، ومبديء غارة ومُعيدا
 أيقنت ان من السّماح شجاعة تدمي ؛ وأن من السماحة جوداً ٤ .

(ح) فخامة الألفاظ والتراكيب : يحبّ ابو تمام من الألفاظ ما ملأ الاسماع
 ومن التراكيب ما شغل الفكر . ثم يحيك حولها أقوالاً وآراءً يستعيرها من
 قوى الطبيعة المختلفة كالمنظر والبحر والنار والحياة والموت والحرب ... وبعدها
 يحبكها بحكمة عرّفها أو اخترعها .

لما تغلب الجيش الاسلامي على بابك مدح الشاعر احد قواده : ابا سعيد

(١) خ ٥٢ .
 (٢) الاسود جمع اسود وهو الافران ذكر الالفى (الحية) .
 (٣) الجدود الاولى : الاسلاف ، والثانية : الحظوظ .
 (٤) الراسيات : الجبال . وثيد : الذي فيه صوت عال ، أو فيه رزاة وتأن .
 (٥) السّماح والسّماحة : البذل ، وقصد الشاعر بالكلمة الاولى بذل النفس في الحرب ، وبالثانية
 بذل المال .

محمد بن يوسف النخعي فقال :

وفي ارشق الهيجاء . والحيل ترمي
عظمت ، على رغم العدى ، انف بابك
فإلا يكن ولى بشيلو مقصد
راك سيد الرأي والرمح في الوعى
وليس يجلي الكرب رمح مسدد

بأبطاها في جاحم متوقدا
بعزمك عط الاتحمي المعصدا
هناك . فقد ولى بعزم مقصد
تأزر بالإقدام (فيها) وترتدي .
إذا هو لم يؤنس برأي مسدد !

وأفخم من هذا قوله في عبدالله بن طاهر . . :

اليك جزعنا مغرب الملك كلما
الى ملك لم يلق كلكل بأسه
الى سالب الجبار بيضة ملكه ،
فوالله لو لم يلبس الدهر فعله

وسطنا ملاصت عليك سبابه
على ملك الا وللذل جانبه
وآمله غاد عليه فسالبه
لأفسدت الماء القراح معائبه

(٥) راجع المختارات ايضاً .

(١) ارشق حصن للمسلمين خرج اليه بابك ليسطو على مال ارسله المعتصم للافشين ؛ جاحم متوقد ؛ جمر شديد الاشتعال .

(٢) شققت عزمه كما يشق الثوب المخطط طولاً (لسهولة ذلك) .

(٣) ان لم تتركه مقطع الاعضاء (قتيلاً) فقد تركته خائر العزم (مفلولة جيوشه)

(٥٥) راجع المختارات ايضاً .

(٤) قطعنا التسم الغربي من الامبرطورية العربية ، فكنا كلما نزلنا في ارض رأينا فيها من آثارك ما يستوجب الثناء عليك .

(٥) لم تحارب ملكاً الا ذل .

(٦) هو يسلب ملك الملك الجبار ؛ ومعتبه ؛ طالب رفته (عطائه) يسلبه ماله .

(٧) لو لم تذر افعاله في الدهر كله لكانت معائب الدهر قد افسدت كل شيء حتى الماء الصافي .

محمد بن يوسف النخعي فقال :

وفي ارشق الهيجاء . والحيل ترمي
عظمت ، على رغم العدى ، انف بابك
فإلا يكن ولى بشيلو مقصد
راك سيد الرأي والرمح في الوعى
وليس يجلي الكرب رمح مسدد

بأبطاها في جاحم متوقدا
بعزمك عط الاتحامي المعصدا
هناك . فقد ولى بعزم مقصد
تأزر بالإقدام (فيها) وترتدي .
إذا هو لم يؤنس برأي مسدد !

وأفخم من هذا قوله في عبدالله بن طاهر . . :

اليك جزعنا مغرب الملك كلما
الى ملك لم يلق كلكل بأسه
الى سالب الجبار بيضة ملكه ،
فوالله لو لم يلبس الدهر فعله

وسطنا ملاصت عليك سبابه
على ملك الا وللذل جانبه
وآمله غاد عليه فسالبه
لأفسدت الماء القراح معائبه

(٥) راجع المختارات ايضاً .

(١) ارشق حصن للمسلمين خرج اليه بابك ليسطو على مال ارسله المعتصم للافشين ؛ جاحم متوقد ؛ جمر شديد الاشتعال .

(٢) شققت عزمه كما يشق الثوب المخطط طولاً (لسهولة ذلك) .

(٣) ان لم تتركه مقطع الاعضاء (قتيلاً) فقد تركته خائر العزم (مفلولة جيوشه)

(٥٥) راجع المختارات ايضاً .

(٤) قطعنا التسم الغربي من الامبر طورية العربية ، فكنا كلما نزلنا في ارض رأينا فيها من آثارك ما يستوجب الثناء عليك .

(٥) لم تحارب ملكاً الا ذل .

(٦) هو يسلب ملك الملك الجبار ؛ ومعتبه ؛ طالب رفته (عطائه) يسلبه ماله .

(٧) لو لم تذشر أفعاله في الدهر كله لكانت معائب الدهر قد افسدت كل شيء حتى الماء الصافي .

يمدح ابو تمام أبا المغيث موسى بن ابراهيم الرافقي^١ بخمسة قصائد قوافي ثلاث منها
 ثاء وسين . وضاد ويحشر فيها : نبيث ، دثوث ، ميث ، شوث ، لويث .
 قدموس ، شوس ، كردوس . اريض . نحيض ، قبيض دحيض . انيض ...
 فالممدوح امير في الشام بدوي . ولا اظنك تعجب اذا رأيت هذه الكلمات الغريبة
 في مدحه لآل طوق من امراء عرب الشام^٢ :

شجعاء جبرتها الذميل تلوكة أصلاً اذا راح المطي غيرا^٣ ؛
 اجد اذا ونيت المهاري ارقلت رقلا كتحريق الغضا حثحاثاً^٤ ؛

(١) كان ابو المنيث في أيام أبي نواس فتي يكتب الحديث ، وقد شبه به ابونواس (ديوان ابي
 نواس ، مخطوطة برلين ٢٤٣ أ : يا سمي المدعو من جانب الطور ... (راجع ديوان ،
 طبعة آصاف ، مصر ١٨٩٨ ، ص ٤١٠ في موسى :
 يا سمي الذي كلم الـ ... ، وأدنى مكانه تقریباً .

(٢) ديوان خ ٦٥٤٦٤ .

(٣) شجعاء : طويلة ، مبسوطه الجسم وذلك من الصفات الحميدة في الحيوان ، ثم هي نشيطة .
 الجرة (بكسر الجيم وتشديد الراء) : ما تخرجه الدابة من بطنها وتجره (تعيد مضغه) .
 الذميل : السير السريع . تلوكة : تمضغه ، تمض عليه وتديره في فمها . أصل (بضم
 الهمزة والصاد) جمع أصيل : العثية ، الزمن الذي يسبق غروب الشمس بنحو ساعتين .
 راح : رجع في المساء ، بلغ المساء . المطي جمع مطية : الدابة المعدة (بتشديد الدال)
 للركوب والاسفار . غراث (جمع غرثان وغرثي) : جياح . - هذه النانة التي أركبها
 أنا في سفري مبسوطه الجسم نشيطة ، تسرع في السير . والاسراع في السير هين عليها
 لأنه طبيعة فيها (كالاتجار الذي هو طبيعة فيها أيضاً) ثم هي قادرة على السير الطويل
 تستمر في سيرها السريع طول النهار . فاذا جاء المساء ظلت هي تسير بنشاط ، بينما سائر
 المطي تكون قد تعبت (قد نفذت قوتها بنفاذ ما في بطنها من الطعام الذي تجره) . والبيت
 التالي توضيح وتفسير لهذا البيت .

(٤) أجد : سلبية ، متينة البناء . ونى بني : تعب . المهاري : الخيل الفتية ، الصغيرة السن .
 أرقل : أسرع وهو يصعد في الجبل . الغضا : نوع من الشجر يصنع منه فحم
 جيد . حثعات : سريع . - اذا تعبت المهار الفتية (من السير في السهل) فان تفاقى
 هذه تظل نشيطة قادرة على الاسراع في صعود الجبال . ويكون ارقالها هذا شديداً متوالياً
 كالاصوات التي يحدتها شجر الغضا وهو يحترق .

طلبت في جيشم بن بكر مالكاً :

فصرغاً منها وعير بمرهاً فندخلناها .

لولا اعتمادك كنت في مندوحة عن برقييد وفرض باعيتنا .

نما إذا قلبت النديوان فوصلت في مدائح نؤزير الشاعر محمد بن عبد الله
أثریات قسری أمثال . ووصف القلم ٦ او ٧ ديمة سمحة التقياد مكوب ١ . ولا
أحب ان اسير بك في النديوان بين مدائح الخلفاء والأمراء والقواد والتمهات قلموس
خصائصها معاً قسری ان ابا تمام كان يصرفه المديح حسب حاجته . ثم لا توقن
ان ما قلته لك قاعدة محكمة . لا ، انها ككل القواعد لها شواهدا ؛ وانما التثبوت
برهان على القاعدة .

مدوحو أبي تمام

يبلغ عدد مدوحو أبي تمام ستين - أكثرهم من العرب ٢ ينثرون
في الهيئة الاجتماعية بين الخلفاء : كالمأمون والمعتمد ، وبين الكتاب : كرجل
اسمه ابو زيد كان كاتباً لعبدالله بن طاهر . وترى هنا قائمة مفصلة بأسماء
المدوحين مع مقامهم الاجتماعي وعدد القصائد التي مدحوا بها ، مثبتاً بعد

(١) طلبت : تصدت . الفتى : السيد البطل في قومه . جيشم بن بكر قبيلة المدوح . مالك
هو مالك بن طوق الذي يمدحه الشاعر . الضرغام : الاسد الفحل الشديد . الهزبر : الاسد
الضخم الشديد الصلب . الدهاث : الاسد السريع .

(٢) لولا اعتمادك : لولا الاعتماد عليك والامل في عطايك . كنت في مندوحة : كان لي غنى ،
لم أحمل (بتشديد الميم المكسورة) نفسي مشقة هذا السفر الى برقييد وباعيتنا (هذان
موضعان في جزيرة ابن عمر ، في شمالي الشام والعراق) ، كنت في غنى عن كثرة
التلواف في الارض .

(٣) انظر ايضاً امراء الشعر ص ٢٢٩ .

اسمائهم ١ .

(أ) آل البيت المالك وأسلافهم - علي بن ابي سالب وآله ١ المأمون (٢) .
المعتصم (٩) . الواثق ٣ . احمد بن المعتصم ٢ . محمد بن عبد الملك بن صالح ١ ،
الفضل بن صالح ١ .

(ب) وزراء الدولة - يحيى بن ثابت ١ ، الحسن بن سهل ٢ ، وهما من
وزراء المأمون . محمد بن عبد الملك الزيات ٦ .

(ج) القواد - خالد بن يزيد بن مزيد ٧ ، ابنه محمد ١ ، ابو سعيد محمد
ابن يوسف الثغري ٢٩ . آل حميد الطوسي ١ ، الافشين حيدر بن كاوس ١ .
جعفر الخياط ١ ، وابو دلف العجلي (٥) .

(د) الأمراء ، ورجال الدولة والقبائل - عبدالله بن طاهر امير خراسان ٤ ،
آل طوق امراء عرب الشام : مالك بن طوق ٨ ، عمر بن طوق ٨ ؛ ابو المغيث
الرافقي ٥ ، اسحق بن ابراهيم المصعبي ٤ ، القاضي احمد بن ابي دواد ١٣ ،
القاضي حبيش بن المعافى التنوخي ١ .

(هـ) رجال الاسر الكبرى - آل وهب (ولوا الوزارة ، ولكن بعد ابي
تمام) : سليمان (٣) والحسن (١٢) ؛ علي بن مرة وابنه الحسن ٢ ، احمد بن
عبدالكريم الطائي ٢ ، داوود بن داوود الطائي ٢ ، عمر بن عبدالعزيز الطائي ١
محمد بن شقيق الطائي ١ ، عياش بن لهيعة الحضرمي ٣ .

(و) الشاعر ابو العباس نصر بن منصور بن بسام ٢ ، الشاعر علي بن الجهم ١ ،
محمد بن حسان الضبي ٤ ، غالب بن عبد الحميد الصغدني ٤ ، محمد بن الهيثم بن
شبانة ٧ ، ...

(١) العدد المحصور بتوسين فيه شك ينشأ من نسبة القصيدة اليه او إلى غيره . قارن هذه بما ذكره
الدكتور الاسود (٣١ : ١) وبقائمة الاستاذ المقدسي (امراء الشعر ١٧٥-١٧٧) ويزاد
عليها ما سيرويه الدكتور الاسود في الجزء الثاني وليس في طبعة الخياط .

أما سائر الممدوحين فهم متفاوتو المنزلة وقد خصهم الشاعر بقصيدة قصيدة :
ومنهم من كان نصيبه اثنتين ، أو ثلاثاً في النادر .

٢ - الفخر

الفخر ان يمدح الشاعر نفسه أو آله أو قومه ثم يشيد بذكرهم . وبضاعة أبي تمام في الفخر الخالص قليلة جداً وأكثرها فخر بطيء . ولعله قال أكثره في مصر قبل ان تقبل عليه الدنيا . ولا اعتقد ان في فخره شيئاً لا ينطوي على شكوى مرة ؛ وهذا الباب يفيدنا تاريخاً أكثر مما يفيدنا فناً .

أقبلت الدنيا على أبي تمام وزادت ثقته بنفسه فانتقل بالفخر الى قصائد المديح ينثره عند المناسبات ، وخصوصاً اذا كان الممدوحون طائفتين : كآل عبدالكريم وآل حميد الطوسي ؛ أو من عرب الجنوب الذين منهم بنو طيء كالقاضي أحمد ابن أبي دؤاد الأيادي . وعياش بن الحبيبة الحضرمي . وحسبك ما علمت من ذلك عند الكلام على خصائصه . ومن فخره ايضاً ١ .

وهل خاب من جذماه في اصل طيء : عدي العديين القلمس ، أو عمرو ٢ .
لنا جوهر لو خالط الأرض أصبحت . وبطنانها منه وظهرانها تبر ٣
مقاماتنا وقف على الحليم والحيجي : فأمردنا كهمل ، واشيينا حبر ٤ .

(١) ديوان خ ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(٢) جذماه من أصل طيء : أبوه وأمه كلاهما من قبيلة طيء . عدي : عدي بن نصر بن بيعة والد الملوك المناذرة ملوك الحيرة . عدي العديين : أصل العديين المنسوبون الى عدي هذا . عمرو مر عمرو بن عدي أول ملوك الحيرة من المناذرة وأمه رقاش (بفتح الراء) بنت جذيمة (يفتح الجيم) . القلمس : في القاموس (٢ : ٢٤٢) أن القلمس رجل كنداني من نساء اليهود (من الذين كانوا يعينون الأشهر ويحرمون بعضها ، أي يحرمون الحرب فيها) .

(٣) الجوهر : أصل العناصر . - يقول أبو تمام : لو مزجتنا نحن ، بني طيء ، بالناس كلهم لأصبح الناس كلهم أشرفاً عظماً (لو كان بنو طيء عنصراً طبيعياً ثم مزج هذا العنصر بمادة الأرض كلها لأصبحت الأرض كلها تبرا - ذهباً) .

(٤) الحليم : سعة الصدر وراخمة . الحيجي : العقل . الحبر العالم ، الفقيه .

إذا زينة الدنيا من المال اعرضت
فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى ؛
وفخر أبو تمام بتومته ونفسه فأنشد^١ :

أنا ابن الذين استرضع الجود فيهم^٢
مضوا ؛ وكان المكرمات لديهم^٣ -
هم استودعوا المعروف محفوظاً مالنا
إذا ما اغاروا فاحتوا مالاً معشر
فكم شاعري قد رامني فقد عتته
كشفت قناع الشعر عن حر وجهه
بغرّ يراها من يراها بسمعه^٤ .

فأزين منها عندنا الحمد والشكر .
فليس لحي غيرنا ذلك الفخر .
وسمي فيهم وهو كهل^٥ ويافع^٦ .
لكثرة ما أوصوا بهن - شراع .
فضاع ؛ وما ضاعت لدينا الودائع^٧ .
اغارت عليهم - فاحتوته - الصنائع^٨ .
بشعري ؛ فأسمى وهو خزبان^٩ ضارع^{١٠} :
فطيرته عن فكره وهو واقع^{١١} .
ويدنو اليها ذو الحجى وهو شاسع^{١٢} .

(١) ديوان خ ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٢) استرضع الجود فيهم : بنو طيء أرضعوا الجود ور بوه (فأخذ صفاته منهم) .

(٣) أورتنا أسلافنا مالا كثيراً وأوصونا بالمعروف (الكرم) فبالننا نحن في الكرم حتى أنفقنا جميع المال ، ولكن الكرم بقي فينا بعد ذهاب المال .

(٤) عل أن بني طيء أهل حفاظ وشجاعة إذا اضطروا إلى غزو قبيلة قاتم يستولون على جميع أموالها ، فإذا عرف أصحاب الحاجات بذلك وفدوا على بني طيء فمنحهم بنو طيء كل ما كانوا قد غنموه في غزوتهم .

(٥) قدعته بشعري : ضربته به (هجوته) . خزبان : مقهور . ضارع : ذليل .

(٦) كشفت قناع الشعر عن حر وجهه : أظهرته على حقيقته (برهنت على أنه ليس شاعراً وأنه هو بتكلف قول الشعر) . طيرته عن فكره : شنت فكره ، أذهلته . واقع : باق في أرضه لا يستطيع مبارحتها لشدة ذهوله .

(٧) النمر : البيض (يتصدغ : يتصائد غر ، أي بارعة جيدة) . يراها من يراها بسمعه : الذي ينههما (إذا سمعها) يدرك معانيها الجياد . ويدنو اليها ذو الحجى وهو شاسع : تصل إليه وهو في المكان البعيد : تنتشر في كل مكان .

يودّ وداداً أن أعضاء جسمه إذا أنشدت - شوقاً اليها - المسامع^١ .

٣ - الرثاء

يجب أن أقدم البحث في رثاء أبي تمام بالرواية الآتية^٢ : بعد أن فرغ أبو تمام من انشاد قصيدته في أبي دلف العجلي « على مثلها من أربع وملاعب » ، قال (له أبو دلف) : أنشدني قولك في محمد بن حميد (كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر) ... فأنشده (القصيدة) فقال : والله وددت أنها فيّ ؛ فقال (أبو تمام) : بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي ، واكون المقدم . فقال : بل انه لم يمت من رثي بهذا الشعر .

• • •

رثاء أبي تمام أقل تكافؤاً من مدحه وأرق عاطفة . وفي رثائه يظهر لنا أن ذلك الجبار على الخطوب ، القاسي في الشدائد رقيق الحس ، وثيق الوداد . ثم هو لا يفقد رشده عند المصيبة ، ولا يشتهه رأيه فيمضي في التفجع ويصف ما يدل على التأوه في مبالغات لا جدوى تحتها . انه يببالغ ، ولكن في استعارات وكنيات وتشابيه كما يفعل في مدحه ؛ ثم يبقى على هدوئه فيستطيع طرق الأغراض على نحو ما ترى في بعض أماديجه . ألا تعجب حينما تسمعه يرثي ابنه بقوله^٣ :

كنت عزيزاً به كثيراً ؛ وكنت صبياً به ضنياً .
دافعت - إلا المنون - عنه والمرء لا يدفع المنونا .
يُدِير في رَجْعِهِ لَدَا يَمْنَعُهُ المَوْتَ أن يُبِينَا^٤ .

(١) يترقب ذر العقل بهذ الفصائد حتى يتسنى لو أن كل عضو في جسمه اذن حتى يسمع هذ الفصائد بجميع أعضائه . الوداد تكون بفتح الواو وكسرهما وضمها .

(٢) الاغاني ١٥ : ٩٩ - ١٠٠ ؛ ديوان خ ٤٠ - ٤٣ .

(٣) ديوان خ ٣٩١ .

(٤) الرجوع : مرض الموت (راجع القاموس ٣ : ٢٨ س) . أن يبينا : أن يفصح ، أن يقول كلاماً مفهوماً .

وكثيراً مما ورد في ديوانه في الرثاء موسوم بهذا الطابع : فمن ذلك قوله يرني
أبا نصر محمد بن حميد الطائي^١ :

أصمّ بك الناعي . وان كان أسمعا : واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا^٢ .
فتى . كلما ارتاد الشجاع من الردى

مقرّاً - غداة المأزق - ارتاد مصرعا^٣ .

إذا ساء يوماً في الكربة منظر^٤ تصلاه ، علماً ان سيحسن مسمعا^٥ .

فان ترم عن عمر تدانى به المدى - فخانك ، حتى لم تجد فيه منزعا^٦ -

فما كنت الا السيف لاقى ضريبة^٧ فقطعها : ثم انشي فقطععا^٨ .

• • •

رثاء آل حميد الطوسي

اجاد ابو تمام في رثاء بني حميد الطوسي خاصة حتى كان من أمر ذلك
الرواية التي بدأنا بها هذا البحث . ونحن نرى ان رثاءه لآل حميد يختلف من سائر

(١) ديوان خ ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٢) ان الذي نادى بنميك (بنجر موتك) جعل الذبن سمعوا صمماً (لكون ما سمعوا منه) .

مغنى الجود : مسكن الجود . بلقع : خراب . - اقضرت الارض من الجود .

(٣) اذا حاول الشجاع ان يفر من المعركة الشديدة مضى هو الى تلك المعركة بقدم ثابتة وهو

مدرك أنه سيموت فيها .

(٤) هو يعلم أنه كلما كانت المعركة أشد كان ذكر الذي يخوضها في الناس أحسن . تصل : تعرض

للتار بجسمه . أن : مخففة من « ان » (انه) . يحسن : فعل مضارع مرفوع لتجرده عن

الناصب والجازم .

(٥) ان ترم ، ان تقتل ، اذا قتلت . عمر تدانى به المدى : عمر قصير . المنزع : المكان في

وتر القوس يوضع عليه السهم ثم يجذب قبل اطلاق السهم . - كانت المعركة أشد مما يستطيع

المحارب ، مهما كان شجاعاً ومقترباً في الحرب ، أن ينجو من الموت .

(٦) لقد كنت كالسيف الذي ضرب به جسم قاس جداً ، فقطع ذلك الجسم ولكنه ارتد من شدة

الضربة على نفسه ثم انكسر .

رثائه . أليس عجيباً ألا يكون لأبي تمام في بني حميد سوى قصيدة واحدة في
المدح ثم يكون له في رثائهم ثمان قصائد أكثرها على قصر بعضها عن عيون
قصائده في الرثاء ؟ ٢

يظهر ان علاقة ابي تمام بآل حميد كانت صداقة أكثر منها منفعة ؛ وكانت
إعجاباً بأعمالهم وإكباراً لحفاظهم . وقد كانوا لذلك اهلاً . وما قصيدة « كذا
فليجل » سوى صورة لنفس محمد بن حميد ؛ نعرف ذلك من كتب التواريخ .
روى ابن الأثير في أخبار عام ٢١٤ هـ ما يلي ٣ :

« ... كمن رجال بابك بين الصخور ؛ فلما صار رجال محمد (بن حميد
الطوسي) يصعدون في الجبل . وصاروا على مقدار ثلاثة فراسخ ، انحدر بابك
اليهم فيمن معه فانهزم الناس . فأمرهم أبو سعيد (الثغري) ومحمد بن حميد
بالصبر فلم يفعلوا ، ومروا على وجوههم ، والقتل يأخذهم . وصبر محمد بن
حميد مكانه وفر من كان معه غير رجل واحد . وسارا يطلبان الخلاص ، فرأى
(محمد) جماعة وقتالاً ، فقصدهم فرأى الحرمية يقاتلون طائفة من أصحابه .
فلما رآه الحرمية قصدوه لئما رأوا عليه من حسن هيئته ، فقاتلهم وضربوا سيفه ؛
ثم اكبتوا عليه فقتلوه . »

هذه هي الحادثة التي استحققت الخلود في قصيدة من قصائد ابي تمام فاذا هي ٤ :
كذا فليجل الخطب ، وثيقدهح الأمر ؛ فليس لعين لم يفض ماؤها عذر .
ومن أجمل مقطوعات ابي تمام في الرثاء ثلاثة أبيات قالها في القائد الطائي
جعفر الخياط ، هي (خ ٣٨٧) :
رَحِيمَ الله جعفرأ ؛ فلقد كا (م) ن أبيتاً ، وكان شهماً رحيماً .

(١) جمل امراء الشعر القصائد في مديح آل حميد ستاً (ص ١٧٦) ؛ ولم يذكر الدكتور
الاسود شيئاً من ذلك (ص ٣١) عند الكلام على ممنوحى ابي تمام .
(٢) ديوان خ ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ ، مرتين .
(٣) ابن الأثير ٦ : ١٦٨ - ١٦٩ في أيام المأمون .
(٤) راجع المختارات .

مثل الموت ، بين عينيه . والد (م) ل : فكلاً رأه خطباً عظيماً .
ثم ثارت به الحمية قديماً فأمات العدى ، ومات كريماً !
وكثيراً ما يذهب شاعرنا الى ضرب الأمثال واستجماع الحكمة في الرثاء ،
كقوله في محمد بن الفضل الحميري (خ ٣٥٣) :
جفّ دَرّ الدنيا : فقد أصبحت تك (م) تال ارواحنا بغير حساب .
لو بدت ساقراً أهيت ؛ ولكن شغف الناس حسنها في النقب
ان ريب الزمان يُحسن ان يُه (م) لدي الرزايا الى ذوي الاحساب !
او قوله في رثاء ابنين لعبدالله بن طاهر ماتا في يوم واحد (خ ٣٨٠) :
ان الفجعة بالرياض ، فواضراً ، لأجل منها بالرياض ، ذوابلاً .
لهتفي على تلك الشواهد منهما لو أمهلت حتى تكون شماتلاً^٢ .
واذا رأيت من الهلال نموه ايقنت أن سيصيرُ بدرأ كاملاً !

• • •

لم يرث ابو تمام من الذين مدحهم الا خالد بن يزيد بن مزيد ، واسحق بن
ابي ربيعي ، وعبد الحميد بن غالب ، والآن بني حميد^٣ . وقد عزى ابا سعيد
الثغري بولد له^٤ . اما الذين رثاهم من غير هؤلاء الذين لم يمدحهم فبضعة عشر
شخصاً منهم أقارب بعض الممدوحين . ولم يرث ابو تمام المعتصم بقصيدة مستقلة ،
بل ادخل رثاءه في تهنته ابنه الواثق بالخلافة .
نمر في ديوان ابي تمام بطائفة من الأبيات رثى الشاعر بها بعض آله واخوانه ،
فإذا قرأتها لم تشك قط في أن الشاعر تسيل نفسه لوعة وأسى ، وان الاسى كان
من نفسه في قرارتها . اما رثاؤه لغيرهم فكان قسم منه يشبه ما تقدم ويشف عن

(١) الرزايا جمع رزية : المصيبة . ذوو الاحساب : اصحاب الاعمال المجيدة .

(٢) الشواهد : العلامات ، الدلائل . الشائل : الحصال ، العادات .

(٣) ديوان خ ٣٤٧ ، ٣٦٣ ، ٣٥٤ ؛ وراجع ايضاً رثاء بني حميد .

(٥) خ ٣٥١ ، ٣٧٩ ، ٣٧٧ .

عاطفة متأصلة ، وقسم منه يشف عن عاطفة مكتسبة تكاد تعرفها من قوله في رثاء
خالد بن يزيد بن يزيد :

وكنا جميعاً شريكَي عِينان ، رضيعَي لبانٍ ، خليلي صفاء .

وكنت اراه بعين الحلال وكان يراني بعين الإخاء^١ .

وكثير من شعره في الرثاء على هذا النمط ؛ وقد أجاد في سائر مرثيه اظهار
الأسى ، وان لم يكن يحسه احساسه في رثاء ولده الوحيد . اما انه « كان يتخذ موت
الميت سبباً ليعرب عن أحزان نفسه لأنه من اولئك الذين صحب الحزن نفوسهم^٢ » ،
فحكهم يصيب هوى من نفوس الذين تعمقوا في دراسة ابي تمام ، ولكن يعترضهم
في سبيل اعتقاد ذلك قلة الرثاء في ديوان الشاعر . ثم اذا نحن كابدنا وجاهدنا
واستشهدنا لاثبات هذا الرأي لم نخرج بغير ما ألفناه عند جميع الشعراء المداحين
الرثائين من أنهم يتصنعون الأسى احياناً ، وكان بعضهم يعد قصائد المديح والرثاء
قبل امد ، فاذا فوجئوا بإنعام على رجل او بموته لم يحتج احدهم الا الى بضعة
أبيات فيها اسم المدوح او المرثي وفيها ذكر المناسبة ... ثم لنختم هذا البحث
بقول ابن رشيق : وابو تمام من المعدودين في اجادة الرثاء^٣ .

٤ - العتاب

يختلف عتاب ابي تمام من عتاب ابي نواس^٤ ، فان ابا تمام لم يعاتب الا على
تأخر رفق؛ لذلك كان من المنتظر ان تكون معاتبته كلها ، على قلتها^٥ ، في الذين
مدحهم . ولكن قد شذ له عن ذلك نحو ثلاث قطع : واحدة عاتب رجلاً
فيها في نبذ - وهو رفق ايضاً - واخرى عاتب فيها الحسن بن وهب لأنه يميل

(١) خ ٣٥٠، ٣٤٧ .

(٢) مردم ، شعراء الشام ص ٥٣ .

(٣) العمدة ٢: ١١٩ .

(٤) ابونواس ٦٤ .

(٥) ديوان خ ٤١٢-٣٩٤ .

الى غلامه ، وثالثة في صديق قطعه ...

يتبع ابو تمام في عتابه طريقته في مدحه فهو فيه خشن الملمس ، والعتاب يحتاج الى نعومة ؛ وهو فظّ في سَوْقه ، والعتاب يحتاج الى مناسبة ؛ فشاعرنا يقول مثلاً :

ابا دُلْفِ ١ ، لم يبق طالب حاجة من الناس غيري ، والمحل جديبُ .
يسرك اني اُبتُ عنك مخيَّباً ، ولم يُرَ خَلَقٌ من جدّك يخيبُ ٢ !

ولا اظنك تجهل مقام ابي دلف من ابي تمام وقصيدته فيه « على مثلها من اربُعِ ملاعب » . وعاتب أبو تمام القاضي أحمد بن ابي دواد بقوله ٣ :

اعلم ، وانت المرء غير معلّم ؛ وافهم - جعلت فداك - غير مفهّم .
ان اصطناع المرء ما لم تُولِه مستكملاً كالبرُد ليس بمُعَلّم ! ٤

فعتابه ، على ما ابصرت ، منفرّ يزيد في الصد ولا يبقي على الود ، الا ما كان من مثل عتابه لأبي سعيد الثغري ، وهو فادر ، نحو قوله :

انما البِشْر روضةٌ ؛ فإذا كا (م) ن يبذل فروضةً وغديرٌ ٥ .
فاقسّم اللحظَ بيّننا ، ان في الله (م) ظ لعنوان ما يُجِنّ الضمير ٦ .

٥ - الوعيد والهجاء

يعاتب الشاعر الممدح تذكرة بصلته واستدراراً ليديه ، فاذا قنط من نواله انقلب اليه يهجوّه . الا ان نفرأمن الشعراء يميلون في أول الأمر الى الوعيد والانذار قبل ان يخطوا الى الهجاء : يفعلون ذلك في اثناء مدح او عتاب . من هذا القبيل ما

(١) راجع ديوان خ ٣٩٥ .

(٢) آب : رجع

(٣) ديوان خ ٤٠٨ .

(٤) البرد : ثوب من حرير . معام : فيه علامات او نقوش . ليس بمعلم : قليل القيمة .

(٥) البشر : البشاشة وطلاقة الوجه ، السرور بالذين نلقاهم .

(٦) جن : ستر .

اسمى به ابو تمام قصيدتين له في مدح ابي المغيث الرافقي ١ :

وكن كريماً تجدُ كريماً في مدحه ، يا ابا المغيث .
- وغداتيينُ كيف غيب مدائحي ان ملن بي هيممي الى بغداد .
ومن العجائب شاعرٌ ضاعت به هيماته ، او ضاع عند جواد !
اما تعريضه في اثناء العتاب فممه : (خ ٣٩٤ : ٤٠٨)

وانك لا تسر بيوم حمد تسر به ، ومالك لا يساء .
فان المدح في الأقوام ما لم يشيع بالجزاء هو الهجاء .
- سأقطع ارسان العتاب بمنطق قصيرُ عِناء الفكر فيه طويلُ
وان امرأ ضنّت يداه على امرىء - بنيل يد من غيره لبخيل .
أفتشك بعد ذلك في ان هذا تحفُّزٌ للهجاء ؟

تناول الشاعر بهجائه نحو عشرين شخصاً فيهم ستة أشخاص كان قد مدحهم ؛
منهم عياش بن لهيعة ، وقد اختصه باثنتي عشرة قطعة قال واحدة منها بعد موته ؛
ومنهم ابو المغيث الرافقي هجاء بخمس مقطعات ؛ وله قطعة قطعة في مالك بن
طوق ، وصالح بن عبدالله الهاشمي واسحق بن ابراهيم المصعبي . وقيل عرض بهجاء
احد بني حميد ولم يهجه لمكان اسرته .

اصطدم ابو تمام بشعراء كثيرين في مصر وفي العراق بعضهم مشهور كدعبل
ومحمد بن ابي يزيد ، وبعضهم اقل شهرة . وهنالك بضع قطع أخرى في اشخاص
مختلفين .

• • •

لا أعتقد ان ابا تمام نال بهجائه منالاً قريباً أو بعيداً ، فبعض شعره في هذه
الناحية عادي ، وسائره أدنى مرتبة . انه لم يتبع طريقاً معروفاً يصل به الى
غايته فهو لم يعمد الى ما يترك هجاءه اعلق بالقلب وألصق بالنفس وأسرع الى الحفظ ؛

(١) ديوان خ ٦٧ ، ١٣٥ .

ولا بلغ به من الحقيقة والمرارة ما يوجع حقاً ، وان كان قد افحش وأقذع في بعضه . لذلك ترى كثيراً من هجائه اشبه بالمديح . حتى انه لو كان مديحاً لما انحط عن شعره الراقي ، تأمل ذلك في هجائه عتبة بن ابي عاصم ^١ :

دِمَنْ تَجَمَعَتِ النوى في رَبْعِهَا وتفرقت فيها السحاب الفُرْق ^٢ .
فترقرت عيني دماً فيها الى ان خيلت مهجتي التي تترقرق .
هِمَمُ الفنى في الأرض اغصان المني غُرست ، وليست كل حين تورق .
فهذه من أعلى طبقات المعاني ، ولكنها لا تصلح في معرض هجاء . ومثل ذلك قوله ^٣ :

يكفيك حزناً أن عقلك ذاهب يبكي عليك . وان جهلك يضحك !
ويندر في ديوانه مثل قوله في عياش بن لميعة ، هجاء يطويه على تهكم صحيح ومعان قريبة وصور بارعة ^٤ :

صدق مقالته ان قال ، مجتهداً : « لا والرغيف ! فذاك البرُّ من قسمه ^٥ .
وان هممت به فافتيك بخبزته ؛ فانها قطعة من لحمه ودمه .
قد كان يعجبني ، لو ان غيرته على جراده كانت على حرمة ^٦ !
هذه احدى نواحي هجاء ابي تمام لأن له في الاقذاع بضاعة غير قليلة ^٧ ؛
ولكن هذه البضاعة ليست في الدواوين التي بين ايدينا فقد أغفل الخياط ما يمس

(١) ديوان خ ٤٩٩ .

(٢) « اماكن كثر فراق اهلها مرة بعد مرة منذ زمن طويل .. »

(٣) ديوان خ ٥٠١ .

(٤) ديوان خ ٥٠٦ .

(٥) البر (بالضم) : القمح . يقول : عياش بن لميعة يقدر البر (القمح ، الطعام) قدراً عظيماً ويقدمه حتى أنه يقسم به .

(٦) البردقة : الرغيف . الحرم بضم ففتح جمع حرمة بالضم : الاهل ، الزوجة ، المرأة ...

(٧) لقد غفل الخياط فأنبت في نسخته ابياتاً تلمح فيها الاقذاع لمحا لاشك فيه . راجع ص ٤٨٦ س ٧ ،

٤٨٨ ؛ ٤٩٥ هجاء عبدالله الكاتب ؛ ٤٩٣ س ١٥ - ١٨ ،

الآداب ١ ، وكذلك لا نطمع ان نراها في شرح ديوان ابي تمام ٢ .

٦ - الوصف

يجب ان نقسم هذا البحث قسمين : الوصف الحاصل اي الذي قيل في الوصف خاصة ؛ والوصف الذي جاء في اثناء المديح . ثم يجب ان نعلم ان باب المديح وان اسلوب ابي تمام فيه يغلبان على كل باب من ابواب الديوان .

تجيش نفس ابي تمام بصورة من صور الطبيعة او بمشهد من مشاهد الاجتماع فلا يكاد وصف ذلك يخرج من فيه الا مقيداً بالصناعة اللفظية ، ممزوجاً بعناصر من الشكوى والفخر وما اليهما ؛ فوصفه هنا حقيقة ولكن بلا ألوان جذابة ولا صدق في النقل عن الطبيعة . فمن ذلك قوله في غمامة ممطرة ٣ :

كالشيمة ألتفت على النقيب ،	آخذة بطاعة الجنوب ٤ .
لما بدت للأرض من قريب	تشوقت لوبلها السكوب ٥
تشوق ١ المريض للطبيب ،	وطرب المحب للحبيب ؛
لذيذة الريق مع الصيب ،	كأنما تهمني على القلوب ٦ !

(١) ديوان ٤٨٥ .

(٢) للدكتور ، الاسود ، راجع ص ٣١ ؛ ولم يصل طبع ديوان ابي تمام بعد الى باب الهجاء .

(٣) ديوان خ ٤١٤ .

(٤) الشيعة : أتباع مذهب اسلامي يقال له المذهب الامامي أو المذهب الاثنا عشري . يرى الشيعة أن الامام علياً ، كرم الله وجهه ، كان يجب أن يكون الخليفة الاول بعد الرسول مباشرة وأن تستمر الخلافة بعده في عقبه . وهم يجعلون هذا الرأي أصلاً من أصول المذهب . النقيب : نقيب الاشراف العلويين : منصب أحدث في العصر العباسي ، وصاحبه هو الرئيس الديني للشيعة (يريد أن يقول : ان هذه النعمة متراكمة كثيفة مجتمعة كما يجتمع الشيعة حول نقيبهم) . آخذة بطاعة الجنوب : مطيعة للريح الهابة من الجنوب ومنتجهة من الجنوب الى الشمال (مملوءة بالمطر) .

(٥) تشوق : اشتاق ، مال برغبة شديدة . وربما كانت الكلمة « تشوف » : تطلع وتطاول لينظر . الويل : المطر الغزير . السكوب : المنصب باستمرار .

(٦) لذيدة الريق : طيبة (تشرها الارض بسرعة مع الصيب : مع كثرة انصبابها وهطولها =

أما النوع الثاني فصور بلا حقيقة ابداع فيها الشاعر لِمَا رَقَشَهَا بِهِ مِنَ الْجَنَاسِ
 أَوِ الطَّبَاقِ وَبَعِيدِ التَّشْبِيهِ أَوْ قَرِيبِ الِاسْتِعَارَةِ تَبَعاً لِلْقَصِيدَةِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ فِيهَا، كَوَصْفِ
 لَحْمٍ أَوْ وَصْفِ الْقَلَمِ خَاصَةً فَإِنَّ فِيهِ شَيْئاً مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ بَعِيدِ الْخِيَالِ
 وَلَطِيفِ التَّجْنِيسِ .

وأما الأوصاف التي يجيدها شاعرنا فأوصاف المعارك والحروب . هناك شعر
 حقيقة أن شعور أبي تمام يغمرك ويستولي عليك فتتصل نفسك بنفسه . ولا يبدع
 أن وصف أبو تمام معركة عمورية وأجاد، فلقد شاهدها بنفسه . وإذا قرأت له
 وصفه الخيل في الحرب ١ :

وإذا كان عارضُ الموت سحاً خضلاً بالردى أجش هزيماً ٢ ،
 في ضرام من الوغى واشتعال تحسب الجو منهما محموماً ،
 واكتست ضمير الجياد المذاكي من لباس الهيجا دمأ وحميماً ٣
 في مكر تلوكها الحرب فيه : وهي مقورة تلوك الشكيماً ٤

١ (لأن الأرض عطشى محتاجة إلى المطر) . كأنما تهمني (تسقط) على القلوب : تدخل
 الاطمئنان على القلوب لثقة القلوب بأن تلك الغيمة ستقضي على الفحط وتأتي بالخصب .

(١) ديوان خ ٢٩٣ .

(٢) العارض : السحاب المقبل . عارض الموت : هول المعركة . سحاً : غزيراً متصلاً (شديداً) .

خضلاً : مبتلا (المعركة تحمل معها موتاً أكيداً للذين فيها) أجش : خشن الصوت (ذو
 رعد قوى = يدخل الرعب على القلوب) . الهزيم : صوت الرعد الشديد الذي ينبجس معه
 المطر من الغيم (يقصد : هذه المعركة تحمل إلى المحاربين الخوف الشديد مع الموت الأكيد) .

(٣) الجياد جمع جواد : الحصان . الضمر جمع ضامر : التحيل الحصر ، وفي القاموس (٢ :

٧٦) الضامر : الفرس الدقيق الحاجبين . المذاكي من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها (بعد
 جراحها التي أصيبت بها في المعارك) سنة أو سنتان (كناية عن اختبارها في الحرب) . الحميم :
 الماء الحار (العرق المتصيب من الخيل) .

(٤) مكر : مجال الهجوم في المعركة . تلوكها الحرب فيه : تملكها (الخيل تحارب في مكان ضيق

والسلاح يعمل فيها تقطيعاً فكان الحرب تمك المتحاربين بأضرارها) . مقورة : منثنية على
 نفسها (لضيق المكان) . تلوك الشكيم : تملك (تمض على) الشكيم (الحديدية التي في
 طرف اللجام والتي تكرر في فم الحصان) كناية عن الغضب والشدة في القتال .

ايقتت انك ترى تلك الجياد تخوض الغمار امام عينيك وقد ضاقت حومة
الوغي بالفرسان وصبر الفريقان ، والموت يتناول الأبطال غير آبه للنتيجة ! ..

وصف القلم

من قصيدة يمدح ابو تمام فيها محمد بن عبد الملك الزيات^١ :
لك القلمُ الأعلى . الذي بشباته

نُصاب ، من الأمر ، الكلى والمفاصل^٢ .

لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعابُهُ ،

وأرْيُ الجنى أشتارتهُ ايدٍ عواسل^٣ .

له ريقةٌ ظلٌّ ، ولكنَّ وقعها ،

بآثاره في الشرق والغرب ، وابل^٤ .

فصيحٌ اذا استنطقته وهو راكب^٥ ؛

واعجمٌ ان خاطبته وهو راجل .

اذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ ، وأفرغت

عليه شعابُ الفكر وهي حوافل^٦ ،

اطاعته اطرافُ القنا ؛ وتسقوِضت

لنجواه ، تفويضَ الخيام ، الجحافل^٧ .

(١) راجع صرخ ٢٥٧-٢٥٨ (٢) الشبابة ؛ الحد ؛ اصاب الكل والمفاصل ؛ احكم الاصابة .

(٣) اللعاب ؛ الريق ؛ الارى ؛ العسل ؛ الجنى ؛ القطف او ما يقطف ؛ اشتار ؛ استخرج

العسل خاصة ؛ العواسل ؛ المستخرجة للعسل - ان قلحك ينفث مرة سماً ، ومرة يأتي بالشهد والعسل .

(٤) ريقه ظل ؛ قليل الرطوبة (بالحبر) ولكن اثره وابل (مطر شديد) .

(٥) اذا ركب الاصابع (تناولته الاصابع) كان فصيحاً (كتب الانسان ؛ ونظم الشعر الخ)

(٦) صورة لتناول القلم بالاصابع وتزاحم الافكار في رأس الاديب وهو يكتب .

(٧) الاوامر التي تصدر مكتوبة الى الافاق تطيعها الرياح (تبدأ الحرب او تنتهي) ، وبها نتقوِض

(تنهزم) الجحافل (الجيوش) .

إذا استعززَ الذهنَ الذكيَّ واقبلت
وقد رَفَدته الحُنْصِرَان ، وسددت
رأيتَ جليلاً شأنه ، وهو مُرْهَفُ
أعاليه ، في القرطاس ، وهي أسافل^١ :
ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل^٢ .
ضَيَّيْ ؛ وسمينا خطبُه وهو ناحل^٣ .

٧ - الغزل والنسيب^٤ :

لا ريب في أن هذا الباب في ديوان أبي تمام أدنى فتونه مرتبة عن مستوى مديحه . « ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن التغزل ، وإنما يقع له التافه اليسير في خلال القصائد »^٥ . لما علمت من خصائصه وأسلوبه . وإذا كانت الصنعة قد اكتسبت مديحه فخامة وإصابة مرمى فإنها قد أفسدت وصفه وغزله ونسيبه . وسواء عليك رأيت غزله البحت أو غزله في ثنايا المديح . فإنما الذي يروعك منه تلك التشابيه والاستعارات التي قنص بها معانيه الغريبة ، أما العاطفة فلا . وأحسن الغزل ما أثار العاطفة لا ما أجهد العقل .

• • •

لأبي تمام غزلان : مؤنث يكاد يقصره على مطالع قصائده في المديح ؛ ومذكر لا تكاد ترى سواه في باب الغزل عنده . فهو اذن ، ان تكلف الغزل أتى به مؤنثاً لقبح الغزل المذكور في المدائح ؛ وان جرى على هواه أكثر من الغزل المذكور حتى تنكر ان يكون سبيله غير ذلك . وكيفما قلبت في غزله الخالص فلا ترى فيه سوى شهوة تحرقه يتودُّ أن لو يطفئها عند كل حبيب . وكل عزة نفس في حياته العامة وفي مديحه يضيعها في حياته الخاصة وفي غزله .
لم يُعرف أبو تمام بحبيبة لها اسم معين ولا عُرِفَتْ له من لها اسم معين . وكذلك

(١) إذا استعان التلم بالذهن ثم انحنى على الورق .

(٢) رَفَد : سَد

(٣) رأيت أمره عظيماً مع انه هو قصبة دقيقة (رقيقة من السقم) .

(٤) راجع الفرق بين الغزل والنسيب في « أبو نواس » للمؤلف (منشورات الشرق الجديد ،

اعلام الفكر العربي ، رقم ٤) ص ١٣٦ .

(٥) العمدة ٢ : ٩٥ .

نجد في غزله المذكور بضعة أسماء له نحو أصحابها عاطفة عارضة لا تلبث ان تستقر حتى تنتقل ثائرة تبحث عن هو جديد .

اما نسيبه ، او غزله ايضاً ، في اثناء ابيات المديح فيجب ألا نشك ساعة في انه صناعة اكثر منه عاطفة ؛ وان كان يستهويك كقوله ١ :

السالبات امرأ عزيمته بالسحر ، والنافثات في عقده ٢ .

ليسن ظليين : ظل امن من الدهر ، وظلا من لهوه ودده ٣ .

أو قوله ٤ :

— كأن الدمع ينثر من نظام على تلك المحاجر والحدود ٥ .

تريدين المزيد ؛ وليس عندي —

وراء محل حبك — من مزيد !

ومع انه لم يحسن النسيب فقد أحسن التخلص منه الى المديح احياناً .

واذا كانت اخلاق ابي تمام على ما ذكرنا فمن البديهي ان يكون له مسجون ،

سوى ان ناشري ديوانه قد اهملوا ذلك البتة ٦ .

نموذج من غزله

لا آكلُ التفاح ، عمري ، ولو جنيته لي من جنانِ الخلود ٧ .

(١) ديوان خ ٩١ .

(٢) النافثات في العقد : الساحرات . كانت الساحرة تمسك خيطاً بيدها وتثنى ما تشاء ان يصيب

المسحور من ضرر ثم تمقد في الخيط عند كل امنية لها عقدة وتنفث فيها (وتنفع عليها) .

راجع القرآن الكريم ايضاً (سورة الفلق ، السورة ١١٣) .

(٣) الدد : اللب .

(٤) ديوان خ ١٠٨ .

(٥) يشبه الدموع المتحدرة على الخدين كالؤلؤ الذي ينتثر اذا انقطع النظام (الخيط الذي يسلك

فيه اللؤلؤ) . المحجر (موضع العين في الوجه) .

(٦) ديوان خ ٤٨٥ .

والله لا أتركه للقلبي ؛ لكنني اتركه للخدود !

• • •

عَفَّتْ محاسنه عندي ^١ إساءته ، حتى لقد حَسُنْتُ عندي مساويه .
هذا مُحِيبُك أدمى الشوقُ مهجته ؛ فكيف تُنكر ان تَدْمِي مآقيه ؟

• • •

اي شيء يكونُ احسنَ من صبِ اديبٍ مُتَيِّمٍ بأديبٍ ؟
كادَ ان يكتُبَ الهوى بين عيني « كتاباً : « هذا حبيبٌ حبيب ! ^٢ »
غيرَ أني لو كُنْتُ اعشَقْتُ نفسي لتَنَغَّصْتُ عيشها بالرقيب .

• • •

قد قَصَرْنَا دونكَ الابصارَ خوفاً ان تَدُوبَا .
كلما زِدْنَاكَ لحظاً زِدْنَا حُسناً وطيباً .
مرضتُ الحَاظُ عيني كَ فأمرضتَ القلوبَا .
ما نُريدُ الشمسَ والبد ر اذا كنت قريبا ؟

• • •

اجعَلِي في الكرى لعيني نصيباً ، كي تنالَ المكروهَ والمحجوبا .
أشركي بين دمعِ عيني ونومي ، واجعَلِي لي من الرُقَادِ نصيباً .
كُنْتُ أهوى البيضَ الحسانَ ، فقد اصبح حُبِّي عن غيرها محجوبا .
قربتها المني ، وباعدتها النأي ، فأضحت مني بعيداً قريبا .
ان تكن مقلتي ، اذا غبتِ ، تستو لي عليها الدموعُ (حتى توؤبَا) .
فلكم نظرة ، تُسَرُّ بها من كَ ، لها روعةٌ تشقُّ القلوبَا .

(١) في كتاب الزهرة (ص ٥٤) : عمت محاسنه عني .

(٢) حبيب الاول : محبوب ؛ والثانية اسم ابي تمام .

الحكمة :

كون حكمة أبي تمام ثلاثة أمور :

أ - علمه وسعة اطلاعه ،

ب - كثرة تجواله ،

ج - الثقافة الراهنة .

فأما علمه وسعة اطلاعه فقد مكنتاه من ان يجيل فكره في تراث الأولين وآراء الشعراء فيستخرج أحسنها ، او يصقل بعضها او يشتق منها نواحي جديدة . من أجل ذلك اتهمه الأمدى بسرقات كثيرة^١ . والحق ان ابا تمام حاول ان يزيد هذه المعاني التي أخذها إما بالغوص على أوجهها ، او بكسوتها من الصنعة حلة مجيدة ، وقد احسن في كثير منها : وبعض حكم أبي تمام تجري مجرى الأمثال . ولعل الأبيات التي تضرب أمثالا^٢ من شعر أبي تمام لا تقل في عددها عن الأبيات التي تضرب أمثالا^٣ من حكم المتنبي^٤ ، مع العلم بأن أبيات المتنبي الحكيمه أشهر في الآفاق وأسير على الألسنة . ومع أن ابا تمام لم يعيش سوى ثلاث وأربعين سنة قمريه (١٨٨ - ٢٣١ هـ) ، فانه بلغ من النضج مبلغاً عظيماً مما جعل حكمه تقع موقع الصواب وترزق شيئاً من السيرورة على الألسن . فمن حكمه الجياد المشهورة :

واذا تأملت البلاد رأيتها	تُثري كما تُثري الرجال وتُعدم .
- فلم يجتمع شرفي وغرب لقاصد ،	ولا المجد - في كف امريء - والدرهم .
- لاشيء ضائر عاشق ؛ فاذا نأى	عنه الحبيب فكل شيء ضائره .
- اني تأملت النوى فوجدتها	سيفاً على صبر الهوى مسلولا .
- ما ابيض وجه المرء في طلب الغنى	حتى يسود وجهه في اليد .
- ومما كانت الحكماء قالت	لسان المرء من خدم السفواد .

(١) الموازنة ص ٢٣ - ٥٤ ، راجع ص ٤٧ .

(٢) راجع اعيان الشيعة ١٩ : ٢١٣ . وقد جرد محسن الامين عدداً كبيراً من حكم ابي تمام وامثاله

(اعيان الشيعة ١٩ : ٢١٤ - ٢٣٠) .

— وقد تألفُ العين الدجى وهو قيدها .
 — لا تنكري عطّل الكريم من الغنى
 — وزعمت ان الرزق يطلب اهله
 — اذا عُنيت بشأو قلت اني قد
 — ما آب من آب لم يظفر بحاجته .
 ولا ريب أبدأ في أن هذا النوع اعلى انواع حكمه ، وأي حكمة تبلغ في اصابة المرمى وسهولة التعبير إلى قوله :

نقلُ فؤادك حيث شئت من الهوى ؛ ما الحب الا للحبيب الأول !
 كم منزل في الأرض يألفه الفتى ، وحينه ابدأ لأول منزل .
 فهذه تستحق ان تسير على وجه الدهر ، اذا استعملنا تعبير ابن رشيقي . واما حكمه المستمدة من الثقافة الراهنة فكثيرة الصنعة كثيرة التكلف بعيدة عن اسس « المثل السائر » . لا يفهمها الا النحاة ، أو الفقهاء ، او العلماء او الفلاسفة . ومن أجل ذلك ايضاً كان يُتهم بقول ما لا يُفهم كقوله في الحمر مضمناً اشارة نحوية :

خرقاءُ يلعب بالعقول حبايها كتلاعب الأفعال بالاسماء .
 وقوله في العطاء ، وفيه اشارة الى آي من القرآن الكريم ١ :
 الود للقريبى ، ولكن عُرِفهُ للأبعد الأوطان دون الاقرب .

وعندي ان هذه لا تدعى حكمة ولكنها مجازاة لزم من شهد الثقافات المختلفة من عربية اسلامية او فارسية ويونانية وهندية فأراد ان يقيد معرفته لها بأبيات شعره ؛ فكان يضربها أمثالا ، ولكنه لم يصب دائماً .

غير ان من أحسن اقواله في الحكم واختراعه في المعنى قوله الذي اكتسبه من اختبارهِ الخاص لا من الثقافات الشائعة ، والذي ساقه في ألفاظ فصيحة

(١) الشورى (٤٣) ؛ ٢٣ ؛ البقرة (٢) : ٨٣ ، ١٧٧ ، النساء (٤) ٣٦ : وغير هذه .

وتراكيب سهلة جداً ، بالإضافة الى أسلوبه العام ، فأكسبه بذلك سيرورة على الألسن :

— واذا اراد الله نشر فضيلة
لولا اشتعال النار فيما جاورت
— وطول مقام المرء في الحي مخلوق
فاني رأيت الشمس زيدت محبة
— لا تنكري عطس الكريم من الغنى .

فالسيل حرب للمكان العالي .
وتنظري حجب الركاب ينصها
— ليس الغبي بسيد في قومه ،
— سكن الكيد فيه ، إن من أء
— واذا رأيت من الهلال نموه
— ينال الفتي من عيشه وهو جاهل ،
ولو كانت الأرزاق تأتي على الحجى
— أولى البرية حقاً أن تؤاسيه

(١) العود خشب ذكي الرائحة (له رائحة طيبة شديدة) .

(٢) راجع شرح البيتين في المختارات .

(٣) لا تستعري أن يكون الكريم فقيراً ، فان السيل مجرد رؤوس الجبال من التراب ويجمع ذلك

التراب في الاودية (شبه الرجل الكريم بالجبل العالي بين قومه وبين الناس ، ثم شبه السائلين

وطالبي الحاجات بالسيل لكثرةهم وتتابعهم) . ولكن انتظري الغنى لي ولك حينما تحب

(تركض) في الركاب (الابل) ينصها : يجهدا في السير والسفر . محيي القريض : باعث

الشعر (أقدر الشعراء، يقصد الشاعر نفسه) . يميت المال : باذل المال بكثرة (أكرم الكرماء) .

(٤) المتغابي : المتظاهر بالنباه وهو شديد الذكاء .

(٥) الارب (بكسر الهمزة وسكون الراء) : الدهاء .

(٦) يكدي : يفتقر .

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في الموطن الحشِينِ^١ .
 وبدأ الجرجاني مقدمته في كتاب « الوساطة » بالكلام على التنافس والتحاسد
 والتحامل فلم ينكرها ، بل عدها من أسباب ما يكشف عن الفضل ويلفت النظر اليه .
 ثم ذكر قول ابي تمام - من غير ان يذكر أبا تمام - :
 وإذا اراد الله نشر فضيلة طُويت أتاح لها لسان حسود !
 واتبع هذا البيت بقوله : « صدق ، والله ، وأحسن ! »
 ثم علق على هذا كله بسبعة أسطر شرح فيها المعاني التي تدور في فلك هذا
 الموضوع والتي أوجزها ابو تمام كلها في بيت واحد^٢ .

الزهد

كان الشاعر احياناً - أما في العصور المتأخرة فدائماً - ينظم في ابواب الشعر
 من جميع اجزاه وعلى جميع قوافيه . فاذا رأينا زهداً لأبي تمام فليس معنى ذلك انه
 تزهد ، فهو لم يبلغ السن التي تلجىء الانسان الى أن يحاسب نفسه على اعماله السالفة ،
 فقد مات في أوائل كهولته او في اواسطها على اكبر تقدير . ولم نعلم عارضاً اتفق
 لابي تمام يدفعه الى الزهد كما كان شأن ابي نواس . وليس لابي تمام في هذا الباب
 جيد ولا جديد .

وأما الأبيات الستة والأربعون التي اثبتتها الخياط^٣ فهي ركيكة جداً لا يعقل
 ان تصدر عن مثل ابي تمام كقوله (ديوان خ ٤٨٣) :

وأخلص لدين الله صدراً ونية ، فان الذي تخفيه يوماً سيظهر .
 فلا بد يوماً ان تصير لحفرة بأثناؤها تطوى الى يوم تنشر .

(١) الموطن الحشِين : أيام الضيق والفقر .

(٢) الوساطة ١ .

(٣) ديوان خ ٤٨٢ - ٤٨٤ .

ومن كلام أبي تمام على كهولته^١ وانتشار الشيب في رأسه^٢ مما دعا الغواني الى
النفرة من بعد طول الانس^٣ :

جرت في قلوب الغانيات لشيبتي قشعريرة من بعد لينٍ وليناس .

نرى انه قال هذه الابيات القليلة في أواخر ايامه ، وان كان اسلوبها يدل على
انها يجب ان تكون من أول عهده بمعاناة الشعر . على ان الذي لا شك فيه ان
اسلوب هذه الابيات ركيك جداً بعيداً عن اسلوبه في آخر حياته الأدبية وفي
مطلعها .

• • •

هذا مجمل ما يمكن ان يقال في شاعر ملأ عصرأ ، وترك بعده دويماً : شاعري
مثل الاسلام والقومية أجمل تمثيل ، ووقف ديوانه على جلو عظمتها الحق في
شعر متين .

حقّ لشعر ابي تمام ان يُحِبَّ فهو شعر مملوء بالمعاني ، مزدحم بالصور
الجميلة ، مرصوف رصفاً متقناً يدل على براعة لم يظفر بها كل شاعر ؛ بل لم
يظفر بها احد سوى حبيب بن اوس . انك لا تجد قصائد ابي تمام مزجاة ترفض
اياتاً جوفاء عن معان تافهة ؛ ولا اصواتاً مختلفة عن افكار غير مؤتلفة .

قد لا يطيب لك ان تحمل ديوان ابي تمام في نزهك ، او ان تقرأ منه في
سمرك ؛ ولكن اذا اعتزلت ضوضاء العالم ، وترفعت عن سفاسف السوق ،
ومحقر الجهال ثم اردت ديوان شعر تُسرح طرفك في ابياته وفكرك في ارجائه
فليس لك الا بضعة دواوين ، احدها — وقد يكون اعظمها شأنأ في ذلك — ديوان
ابي تمام .

(١) ديوان خ ٣٨٤ ، البيت ١٥ .

(٢) ديوان خ ٤٨٣ البيت ١٤٠٧٠٥ .

(٣) ديوان خ ٤٨٣ .

قد بأنف بعض الناس من مجالسة السوق والشُّطَار والعيَّارين كي يميز نفسه منهم
امام الناس ولكنه يشركهم في كل ما يميلون اليه من لهو وحديث وقصص . فهو
من أجل ذلك على الحقيقة منهم ، تربطه بهم آصرة الذوق . وتلفه بنبعتهم عُلَاقَة
النشأة الأولى . ومن الناس من لا يستسيغ شعر أبي تمام واضرابه احتجاجاً بصعوبته
وتعقيده ؛ ولو نسب ذلك الى تنافر الفطرة ومعاصاة النكرة لكان قوله أقرب الى
الصواب . وأجدر بالاعتبار .

مَخَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

مديح عبد الله بن طاهر

تولى عبد الله بن طاهر الشام للمأمون (٢٠٥ - ٢٠٧ هـ) ثم تولى الري (٢٠٧ هـ) . وفي الخامس من المحرم من سنة ٢١١ (١٧ - ٤ - ٨٢٦ م) تولى مصر الى أن عينه المأمون على خراسان في رجب سنة ٢١٣ (خريف ٨٢٨) . ولما اشتدت ثورة بابك الحرمي ، وجه المأمون عبد الله بن طاهر الى قتال بابك (٢١٤ هـ) .

ويبدو أن هذه القصيدة كانت أول قصيدة مدح أبو تمام بها عبد الله ابن طاهر (خ ٤٣ - ٤٦ ، ت ١ : ٢٢٣ - ٢٣٩) :
أهْنُ عَوَادِي يَوْسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ ! فَعَزَّزْماً ! فَعَزَّزْماً أَدْرِكُ السُّؤَالَ طَالِبُهُ ١ .

(١) عوادي جمع عادية : العدو ، المعتدى ، المتبديء بالعداوة . والعدي والعادية في القاموس (٤ : ٣٦٠ ، الطر الثالث) : جماعة القوم يعدون (بفتح الباء وسكون العين : يركضون يسرعون) لقتال ، أو أول من يعمل (يهجم) من الرجالة . يوسف : يوسف بن يعقوب ، والاشارة الى يوسف هنا وقعت على ما ورد من قصة يوسف في القرآن الكريم (السورة الثانية عشرة) .
الصواحب جمع صاحبة : الصديقة ، المحبة ، المنحبية . عزما : ثباتاً على ما تطلب ا قدماً : في الزمن القديم ، طالما . السؤل : المطلب . - يقول : هؤلاء اللواتي يتعرضن لي (من مصائب الدهر ومغرياته) يشبهن عوادي يوسف (عدواته على الحقيقة) وصواحيبه (المتحبيبات اليه ، وهن في الواقع أيضاً عدوات له ، لأنهن يردن منه ما يفضب الله) . -

اذا المرء لم تستخلص الحزم نفسه
 أعاذلي ، ما أخشن الليل مركباً !
 ذريني واهوال الزمان ، أفاها !
 ألم تعلمي ان الزماع على السرى
 دعيني على اخلاقي الصم للسي
 فإن الحسام الهندواني إنما
 وقلقل نأي من خراسان جأشها
 فذروته للحادثات وغاربه ١ .
 وأخشن منه في الملمات راكبه ٢ .
 فأهواله العظمى تليها رغائبه ٣ .
 اخو النجح عند الحادثات وصاحبه ٤ .
 هي الوفر ، أوسرب ترن نوادبه ٥ .
 خشونته ما لم تفلل مضاربه ٦ .
 فقلت : أطمئني ، أنضر الروض عازبه ٧ .

= والحزمة في أول البيت زائدة وليست للاستفهام . فاصبر فقد طالما أدرك الصابرون المثابرون
 من أولي العزم ما كانوا يطلبون .

(١) استخلص الرجل الحزم : بت في الأمور بعزيمة وحكمة معاً . فذروته (رأسه) للحادثات
 (للمصائب) وغاربه (كتفه) : فان أمره جميعاً سيؤول الى الخيبة وسيؤدي به ذلك الى
 التلف والهلاك .

(٢) العاذلة : التي تلوم الانسان على فعل لا يرضيها . ما أخشن الليل - مركباً : ما أشق (أصعب)
 السفر في الليل (كناية عن الزمن الشديد القاسي) . الملمات : الاحداث الشديدة والمصائب .
 (٣) ذريني (دعيني ، أتركيني) واهوال الزمان (مع أهوال الزمان) أفاها (أقاتلها وأقتلها : أتغلب
 عليها واحداً بعد واحد) . تليها : تتبعها . الرغائب جمع رغبة : الامر المرغوب فيه .

(٤) الزماع (بفتح الزاي وكسرهما) : المضاء في الأمر . وانزواع (بفتح الزاي) : الشجاع الجيد
 الرأي المقدم على الامور . أخو النجح وصاحبه : الذي يتنجح .

(٥) الاخلاق الصم هي التي لا تسمع قول العاذل واللائم . التي هي : حتى أنال التي هي
 الوفر : الغنى . سرب ترن نوادبه : جماعة النساء يبكين في المنام (الموت) . - ساصم سمي
 عن كل لوم حتى أنال الغنى الذي أطلب أو أهلك .

(٦) خشونة السيف : مضاربه وشدة الضرب به (القطع والقتل) . تفلل مضاربه : يتشقق حده
 فلا يقطع كما ينتظر من السيف . - اتركيني أقاسي الأهوال في السعي الى الغنى والمجد ما دمت
 شاباً (كالسيف الذي لم يتشقق حده بعد) .

(٧) قلقل نأي من خراسان جأشها : أقلق بعد خراسان قلب (امرأتي ، او عاذلي الشقيقة علي) .
 فقلت لها : اطمئني ، أنضر الروض (أحسنه واكثره عشباً = أكثر تكسباً للمال بالشعر)
 عازبه (البعيد عن المرعى لأنه لا يذهب اليه أناس كثيرون بقطعانهم - لا يذهب اليه شمراء
 كثيرون) .

وركب كأطراف الأسنّة عرسوا
 لأمرٍ عليهم أن تتمّ صدوره ،
 على كلّ رواد الميلاط تهدمت
 رعته الفيافي بعدما كان حقبه
 فأضحى الفلاق جدّ في برّي فتحضيه
 فكم جدّع واد جبّ ذروة غارب ،
 على مثلها ، والليل تسطو غياهبه ١
 وليس عليهم أن تتمّ عواقبه ٢ ،
 عريكته العلياء وانضمّ حالبه ٣ ،
 رعاها وماء الروض ينهل ساكبه ٤ ،
 وكان زمانا قبل ذلك يلاعبه ٥ ،
 وبالأمس كانت أتمكته مذانبه ٦

• • •

- (١) الركب : الجماعة المسافرين معاً . أطراف الاسنة : فصال الرماح (الحديدية التي في رأس الرمح) .
 عرسوا : قضوا الليل . على مثلها : على (ابل) مثل (أطراف الاسنة) . تسطو غياهبه :
 يشتد سواده فيغطي على كل شيء . - كنا نحولاً من طول السفر ومشاقه ، ومع ذلك فقد كنا
 نقضي الليل على ظهور الابل (بدلا من أن نزل مرة بعد مرة لننام ونأخذ قسطاً من الراحة -
 كان سفرنا متصلاً) ، وكذلك كانت الابل التي ركبها نحيلة من طول السفر ومشاقه .
- (٢) صدوره : أوائله . عواقبه : نهايته ، الغاية منه . - كنا في سفرنا الشاق نقصد أن نحقق
 هدفاً ، ولكننا لن نلام اذا لم يتحقق ذلك الهدف .
- (٣) رواد الميلاط : متحرك أعلى الكتف ذات اليمين وذات الشمال في السير (وذلك من صفات
 الابل) . تهدمت عريكته العلياء : انخفض سنامه وذاب من السفر والتعب . وانضمّ حالبه ،
 يقصد : انضمّ حالباه : قرب أحدهما من الآخر (كناية عن النحول والهزال) . والحالب
 عرق في جانب البطن .
- (٤) رعته الفيافي : اهزله السفر في الفيافي (القفار والاراضي الخالية) فكان الفيافي أكلت
 لحمه . الحقبية : المدة من الزمن . رعاها وماء الروض ينهل ساكبه (يكثر فيه المطر) ،
 بعد أن كان قد رعى العشب في الاماكن المخصصة فسمن .
- (٥) وقد جدت الصحارى (لطول هذا السفر) في تنويب نحض (لحم) هذا الحمل . يلاعبه :
 يلعب فيه ويرتع (كان هذا الحمل من قبل يلاعب العشب في ذلك الروض لأنه كان شعبان
 لا يحتاج الى أكل ذلك العشب ، ثم هو مرتاح لايسافر احد عليه ، فكان يقضي وقته في ذلك
 الروض يلاعب عشبه .
- (٦) جدع الوادي : منعطفه ، طرفه . جب : قطع ، قص قطعة من الشيء . أتمك : أسمن . المذانب =

اليك جزعنا مغرب الملك ، كلما
فلو أن سيراً رمنه فاستطعته
الى ملك لم يلق كللك بأسه
الى سالب الجبار بيضة ملكه ؛
وأى مرام عنه يعدونياتيه
وقد قرب المرمى البعيد رجاؤه ،
وسطننا ملاً صلت عليك سبابه ١ .
- لصاحبنا شوقاً اليك - مغاربه ٢ .
على ملك ، إلا وللذ جانبه ٣ .
وآمله ، غاد عليه ، فسالبه ٤ .
عدا أو تقل الناعجات أخاشبه ٥ .
وسهلت الأرض العزاز كتائبه ٦ .

= جمع مذنب (بكسر الميم وفتح النون) : ميل الماء . - رب سفر من طرف من
واد (مخوف) الى طرف آخر يهزل جملاً كان بالامس قد سمن من خصب هذا الوادي .
ما يلاحظ أن ابا تمام قد كرر معنى واحداً في بضعة أبيات .

(١) جزع : قطع . مغرب الملك : الاقطار الغربية من الخلافة العباسية ، بلاد الشام في الاكثر .
وسطننا : أصبحنا في وسط ، وصلنا الى . ملا : الارض الواسعة . السبب : الارض
القاحلة . صلت عليك سبابه : شكرتك الاراضي التي كانت سباب ثم أصبحت بفضلك عامرة .
(٢) لو كانت الاراضي تستطيع أن تسير لرافقتنا أراضي المغرب وجاءت معنا اليك الى المشرق
لما سبق من احسانك اليها (كان عبد الله بن طاهر والياً على الشام وعلى مصر أيضاً - راجع
مقدمة القصيدة) .

(٣) الكللك : الصدر . بأسه : بطشه .

(٤) الجبار : الملك العظيم . بيضة ملكه : عاصمة بلاده . والبيضة كل شيء يدافع صاحبه عنه .
آمله : الشخص الذي يأتي اليه يطلب معونة . غاد : آت باكراً (اذا جاء باكراً) . سالبه :
مستول على أمواله . - انه بقوة وبعشه يسلب الملوك ممالكهم ، ثم هو حلیم كريم اذا
جاءه في الصباح الباكر شخص عادي يطلب منه معونة يسيرة أعطاه كل ما يملك (فكأنه
سلبه كل شيء يملكه) .

(٥) المرام : المراد ، الغاية ، الهدف . يعدو بالشيء : يتجاوز به عن قصده ، يصرفه عن قصده .
النياط : العلائق . تقل : تقطع ، وهنا معناها : تذلل . الناعجات : النياق السراع .
الاخاشب جمع أخشب : الارض الغليظة . - ليس (في الارض) مرام تقوم دونه الموائق ،
أو تهلك الايل قبل أن تصل اليه يمكن أن يصرفنا عن البلوغ اليه (جميع أنواع الموائق ،
بعد المكان ووعورة الطريق وسوى ذلك لا يمكن أن يصرفنا عن زيارة عبد الله بن طاهر لمده) .
(٦) العزاز : العصب من الارض . الكتائب (هنا) : الجيوش . - رجاؤه (الثقة بكرمه)
قد قرب علينا كل بعيد ، كما أن جيوشه كانت قد ملكت جميع السبل وأمنها فأصبحت الاسفار
كلها سهلة على جميع الناس .

اذا انت وجهت الركاب لقصده
 جدير بأن يستحيي الله باديأ
 سما للعلی ، من جانبیها کلیتهما ،
 فنول حتى لم يجد من ينيله ،
 وذو یقظات مستمر مریرها
 وأین بوجه العزم عنه . وانما
 أرى الناس منهاج الندی بعد ما عفت
 ففي كل نجد في البلاد ، وغائر ،

- (١) ذو : الذي (بلهجة طيء ، وهي مبنية على السكون ، تلزمها الواو في جميع حالات الاعراب) . تبينت طعم الماء ذو أنت شاربه : أدركت أن الماء الذي ستشره عذب (قبل أن تصل الى عبد الله بن طاهر تعلم سلفاً أنك ستنال عنده حفوة وستنال منه خيراً كثيراً) .
- (٢) باديأ : مبتدأ . الندى : الكرم . يراقبه (يراقب الندى) : يخاف أن يفضب الندى . لم ينصب الفعل « يستحيي » في المرة الثانية لضرورة الشعر . - يخطر في باله أن يدفع لسانه مبلغاً كبيراً جداً ثم يرى أن هذا إسراف قد يفضب الله . غير أنه يرى بعد ذلك أنه إذا دفع أقل من المبلغ الذي خطر له أساء إلى الكرم والمروءة .
- (٣) عباب الماء : الماء الكثير المتسع . جاشت : هاجت واضطربت . الغوارب : جمع غارب : ما علا من الموج .
- (٤) نول : أعطى .
- (٥) المريرة : الفتلة من الحبل إذا فتلت فتلا شديداً . ذو يقظات مستمر مريرها : هو دائم اليقظة . اضمحل : تلاشى .
- (٦) مراني جمع مرآة . - ان الحزم يوجب ألا يذهب أحد إلا إليه ، وذلك لأن تجاربه واسعة جداً تعرف حلول جميع المشاكل (كأن تجاربه مرانيا تظهر فيها الأمور على حقيقتها) .
- (٧) عفا : امحى ، ذهب أثره . المهيع : الطريق الواسع المطروق (الذي يسير عليه الناس) . المثل : الظاهرة المفضلة على كل شيء آخر . (مع الثوب : تهرأ وذهبت معالته) . اللاحِب : الطريق الواضح الظاهر . - أرى الناس منهاج الندى : دلهم على طريق الكرم .
- (٨) النجد : ما ارتفع من الأرض ، الهضبة . الغائر : ما انخفض من الأرض : الوادي (أي في كل مكان) . مواهب ليست منه وهي مواهب : أنواع من الإحسان لم يفعلها هو ولكن فعلها أناس تعلموا فعلها منه ، فكأنها أصبحت من فعله هو .

لتُحَدِّثَ له الأيام شكر خنَاعةٍ
فواللهِ ، لو لم يلبس الدهرَ فعَلَه
ويا ايها الساري فسير غيرَ حاذِرٍ
فقد بثَّ عبدُ اللهِ خوفاً انتقامه
يقولون : « إن الليثَ ليثُ خَفِيَّةٍ ،
وما الليثُ كلَّ الليثِ إلا ابنُ عَدُوَّةٍ »
تطيبُ صَبَاً نجدُ به وجنائبه ١ .
لأفستِ الماءَ القَرَاحَ معائبه ٢ .
جنانَ ظلامٍ ، أوردى أنت هائبه ٣ ؛
على الليلِ ، حتى ما تدبَّ عقاربه ٤ .
نواجذهُ مطررةٌ ، ومخالبه ٥ ؛
يعيشُ فَوَاقِ ناقةٍ ، وهو راهبه ٦ .

• • •

ويومِ امامِ الموتِ دَحَضَ وَقَفَتَه ،
جَلوتَ به وجهَ الخليفةِ ؛ والقنا
ولو خرَّ فيه الدينُ لأنهال كائبه ٧ .
قد اتسعت ، بين الضلوعِ ، مذاهبه ٨ .

- (١) لتحدث له الأيام شكراً : فلتشكره الأيام . شكر خناعة : أي وهي (الأيام) خناعة ، ذليلة ، مجبرة على هذا الشكر ، إذ لولاه لما كان كرم ولا كانت الأعمال المجيدة ، حتى أن فضله وإحسانه تعدى البشر إلى الموجودات كلها ؛ فطيب الصبا (الريح الشرقية) وطيب الجنوب (بفتح الجيم : الريح الجنوبية) من إحسانه هو أيضاً .
- (٢) القراح : الخالص الصافي . معاييه : معائب الماء .
- (٣) الساري : المسافر في الليل . حاذر : هائب ، خائف . جنان ظلام : قلب الظلام ، شدته .
- (٤) لقد صارت المقارب تهاب سطوة عبده بن طاهر فلا تخرج من أوكارها لأنهاراً ولا ليلاً .
- (٥) يزعمون أن الأسد (الحقيقي ، الصحيح) هو الأسد (الذي يسكن) خفية (غاية كثيفة الشجر) ، وتكون له أنياب ومخالب مطرورة (محددة)
- (٦) والواقع أن الأسد الذي يستحق هذا الاسم هو الذي يذنب (وهو في ملك عبده بن طاهر) ثم يستطيع أن يعيش بعد ذلك فواق ناقة (مدة ما بين حلبتين) ، يقصد «مدة يسيرة» . ان الخوف من عبده بن طاهر سيقتل ذلك المذنب من غير أن يتعرض عبده بن طاهر له .
- (٧) دحض : زلق (بفتح الزاي وكسر اللام) نزلق فيه القدم ، يصعب الثبات فيه . أمام الملك : للدفاع عن الملك . الكائب : الكئيب (الرميل الكثير المجتمع) . - لو خر فيه الدين : لو انهزم فيه جند الخليفة . لأنهال كائبه : لزال الدين كله .
- (٨) جلوت : بيضت . اتسعت مذاهب القنا (الرماح) بين الضلوع : كثرت الجراح الكبيرة الواسعة (كثرت القتل) .

شَفَيْتَ صَدَاهُ ، وَالصَّفِيحُ مِنَ الطَّلِي
 لِيَالِي لَمْ يَقْعُدْ بِسَيْفِكَ أَنْ يُسْرَى
 فَلَوْ نَطَقَتْ حَرْبٌ لَقَالَتْ ، مُحَقَّةٌ :
 لِيُعْلَمَ أَنَّ الْغُرَّ مِنْ آلِ مُصْعَبٍ ،
 كَوَاكِبُ مَجْدٍ ، يَعْلَمُ اللَّيْلُ أَنَّهَا
 وَيَا أَيُّهَا السَّاعِي لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ ،
 بِحَسِيكَ مِنْ نَيْلِ الْمَرَاتِبِ أَنْ تُسْرَى
 إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بِرَبْعِكَ رَحْلَهُ

رُوءًا نَوَاحِيهِ عِذَابٌ مَشَارِبُهُ ١ ،
 هُوَ الْمَوْتُ ، إِلَّا أَنْ عَفْوَكَ غَالِبُهُ ٢ .
 « الْإِهْكَذَا فَلْيَكْسِبِ الْمَجْدَ كَأَسْبِهِ » .
 غَدَاةَ الْوَعْيِ ، أَهْلُ الْوَعْيِ وَأَقَارِبُهُ ٣ :
 إِذَا نَجَمَتْ بَاءَتْ بِصُغْرٍ كَوَاكِبُهُ ٤ .
 تَرْحُزُ قَصِيًّا ؛ أَسْوَأُ الظَّنِّ كَاذِبُهُ ٥ .
 عَلِيمًا بِأَنْ لَيْسَتْ تُنَالُ مَنَاقِبُهُ ٦ .
 فَقَدْ طَالَبْتَهُ بِالسَّنْجَاحِ مَطَالِبُهُ ٧ .

(١) شفيت صده (عطشه) : شفيت ما في نفسه ، بلفته أمنيته . والصفیح جمع صفحة (السيف العريض) . رواء نواحيه (قد كثر الماء السائل على أطرافه : أكثرت القتل في الأعداء) عذاب مشاربه : حلو ماؤه (ان انتصارك على يابك الحرمي أدخل السرور على النفس فكأنها بعد العطش تشرب ماء عذبا حلواً) .

(٢) لم يقعد بسيفك أن يرى هو (أي سيفك) الموت : لم يكن يمنع سيفك مانع من قتل يابك الحرمي (وقد سححت لك الفرصة إلا أن عفوك غلب سيفك) سوى أن عفوك تغلب في اللحظة الأخيرة على قدرتك . - يرى : فعل مضارع مبني للمجهول ، ونائب الفاعل ضمير مستتر يرجع إلى « سيفك » . هو : توكيد للضمير المستتر في « يرى » . الموت : مفعول به ثان حقه النصب . ولكن الموجود في النسخة المطبوعة (خ ٤٦ ، ت ١ : ٢٣٩) الموت بالرفع . واظن أن الناشرين قد قدرا (بتشديد الدال) « هو » بمعنى « أنه » .
 (٣) الفر جمع أفر : أبيض (ذو مجد وحسب) . آل مصعب : أسلاف عبدالله بن طاهر . غداة الوعي : يوم الحرب . آل الوعي وأقاربه : القادرون الأبطال في الحرب .

(٤) ان الليل نفسه يعلم أنه إذا برزت كواكب آل مصعب في المجد ، فان نجومه هو تبدو صغيرة (مجد آل مصعب أبرز وأوضح وأشهر من نجوم الليل) .

(٥) الشأو : المضمار ، الغاية . ترحز قصيا : ابتعد عن منافسته .

(٦) يكفيك من الفضل أن يعلم الناس عنك أنك تعرف أن فضائل عبدالله بن طاهر لا تنال (ليس بإمكان أحد أن يصل إليها) .

(٧) إذا نزل إنسان عندك فقد أصبح واثقا من فوزه بما يطلب .

رثاء محمد بن حميد الطوسي^١

في سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) : في أيام المأمون :

كذافلتيجيل الخطب، وليفدح الأمر.
توفيت الآمال بعد محمد،
وما كان إلا مال من قل ماله،
وما كان يدري مجتدي جود كفه،
فليس لعين لم يفيض ماؤها عذراً!
وأصبح في شغل عن السفر السفر^٣.
وذخراً لمن أمسى وليس له ذخراً.
إذا ما استهلت، أنه خلق العسر^٥.

• • •

الا في سبيل الله من عطلت له فجاج سبيل الله وانشعر الشجر^٦.

(١) راجع فوق ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) جل : عظم . الخطب : الشأن ، الأمر (المصيبة) . الأمر : الحادث ، الشأن . فدح :

ثقل حتى يعجز الإنسان عن حمله أو احتماله . - إذا لم تكن المصيبة عظيمة كقتل محمد بن حميد الطوسي فلا يقال لها : خطب جليل أو أمر فادح . لم يفيض ماؤها : لم يكثر بكاؤها .

(٣) توفيت الآمال : فقد الناس الأمل في تحقيقها . وأضرب المسافرين عن سفرهم الذي كانوا

قد عينوه في ذلك اليوم وفي ما بعده .

(٤) كان مالا^٦ حاضراً للفقير ، وثروة مجموعة للذين سيحتاجون في المستقبل .

(٥) وكان إذا طلب أحد منه مالا أعطاه مبلغاً كبيراً ينسيه أن في الدنيا فقراً .

(٦) اننا نحسب في سبيل الله (فرضي ما شاء الله من موت محمد بن حميد) رجلاً عطلت له

سبيل الله (توقف الجهاد بعد موته) . انشعر الشجر : أصبحت حدود البلاد الإسلامية مهددة

(غير محروسة) . الفج : الطريق الواسع . الشجر : المكان الذي يخشى منه هجوم العدو .

- فتى ، كلما فاضت عيونُ قبيلة
 فتي دهره شطران فيما ينوبه :
 فتي مات ، بين الطعن والضرب ، مينة
 وما مات حتى مات مَضْرِبُ سيفه
 وقد كان فوتُ الموت سهلاً : فرده
 ونفسٌ تعافُ العارَ حتى كأنما
 فأثبت في مُسْتَنْقَعِ الموتِ رجله ،
 غداً غدوةً والحمدُ نسجُ رِداءه ،
- دماً : ضحكت عنه الأحاديث والذِكر^١ .
 فني بأسه شَطْرٌ وفي جوده شَطْرٌ^٢ .
 تقومُ مقامَ النصرِ إن فاته النصر^٣ .
 من الضرب ، واعتلت عليه القنا السُمر^٤ .
 إليه الحِفاظُ المُرّ والحلُّقُ الوعر^٥ .
 هو الكفريُّومَ الرُوع ، أو دونه الكفر^٦ .
 وقال لها : « من تحتِ أحمصِكِ الحشر^٧ » .
 فلم ينصرفَ إلا وأكفانُه الأجر^٨ .

- (١) فاضت عيون قبيلة دما : نزل بتلك القبيلة مصيبة . ضحكت عنه الأحاديث والذِكر :
 واسب تلك القبيلة بنفسه وماله حتى يتحدث الناس بحسن أخلاقه وبكثرة كرمه .
- (٢) ينوبه : يصيبه (يتعلق به) . - نصف أيامه في الحرب (الانتصار على الأعداء) ونصف
 أيامه في الكرم والإحسان إلى الناس
- (٣) تقوم مقام النصر إن فاته النصر : إن المينة النبيلة التي ماتها تعد نصراً أكبر من النصر
 العادي المألوف عند الناس .
- (٤) ذلك لأنه لم يسقط في المعركة قتيلًا إلا بعد أن تشقق حد سيفه وبعد أن تكسرت رماح
 كثيرة وهو يقاتل بها .
- (٥) قد كان من السهل عليه أن ينجو من الموت (وكان هو قد انصرف فعلا من المعركة ،
 ولكنه عرف أن الحرمية يقاتلون جماعة من رجاله فرجع ليدافع عنهم ، وكان وحده) .
- الحفاظ : الدفاع عن المحارم (عما يدخل في واجب الإنسان أن يدافع عنه من الدين
 والشرف) . الوعر : الصعب ، الحلوق الوعر : الحلوق المستقيم الذي لا يتزحزح صاحبه
 عن موقفه واعتقاده .
- (٦) ورده أيضاً إلى الموت نفس تخاف أن يلزمه العار (العيب طول حياته) إذا لم ينجد بني
 قومه في القتال . وتختلف العربي عن نجدة أخيه في الحرب بعد كُفراً ، بل الكفر أقل منه .
- (٧) فأثبت في مستنقع الموت رجله : أدرك أنه مقتول لأنه وحده والأعداء كثيرون ، فصم
 على أن يموت وهو يقاتل . وقال ، يا رجلي ، الحشر (البعث من الموت ودخول الجنة)
 تحت باطنك : قريب جداً .
- (٨) غدا غدوة (هجم هجمة واحدة) . والحمد نسج رداءه (لأنه كان مختصاً في هجمته جاداً =

تردَى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا ؛ فَمَا دَجَا

هَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خَضِرٍ ١ .

• • •

نَجْمٌ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ ٢ .

وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْبَأْسُ وَالْجُودُ وَالشَّعْرُ ٣ .

إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى اسْتُشْهِدَا ، هُوَ وَالصَّبْرُ ٤ .

وَلَكِنْ كَبِيرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبَرٌ ٥ .

وَبَزَّتْهُ نَارُ الْحَرْبِ ، وَهُوَ لَهَا جَمْرٌ ٦ .

كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ ، يَوْمَ وَفَاتِهِ .

بُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعُلَا .

وَأَتَى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ ؟ وَقَدْ مَضَى

فَتَى كَانَ عَذَبَ الرُّوحِ لَامِنْ غَضَاضَةٍ .

فَتَى سَلَبَتْهُ الْخَيْلُ ، وَهُوَ حِمَى لَهَا ؛

= فلم يتصرف (لم يتوقف عن هجمته) إلا وأكفاهه الأجر (إلا لما مات ونال أجر شهيد

في سبيل الله ، والشهادة في سبيل الله تدخل صاحبها إلى الجنة) .

(١) تردى ثياب الموت حمراً : مات مقتولاً (صبغ الدم الأحمر ثيابه) . دجا لها الليل :

اسود الليل لها : جاء عليها الليل (لما صار الليل) . ألا وهي من سندس خضر : الا أصبحت

من حرير أخضر (دخل الجنة لأنه مات شهيداً) . والثياب السندس الخضر من لباس أهل

الجنة (سورة الكهف ١٨ : ٣١) .

(٢) بنو نبهان قومه . كأنهم نجوم فقدت بدرها (أشدها نوراً : أعظمها) . يحسن أن نفهم

هذا البيت فهما بلاغياً لا فهماً فلكياً ، لأن البدر إذا غاب عن السماء كانت النجوم أشد لمعاناً .

(٣) ثار : مدفون (ميت) . البأس : القوة والشجاعة في الحرب . جعل الناس يعزون به

قومه . والصحيح أن الشجاعة والكرم والشعر (الذي فقد أعظم المدوحين وأكرمهم)

يجب أن تعزى به لأن موته كان مصيبة على هذه أكبر من المصيبة على أهله .

(٤) وكيف يستطيع أهله أن يصبروا عليه (يسلوناه ، ينون المصاب به) وقد مات الصبر معه

في المعركة . قد مضى إلى الموت : ذهب وهو عازم على أن يموت .

(٥) عذب الروح : حزن المعاشرة متواضعاً . غضاضة : ذل وضعف في النفس . ولكن كبراً

أن يقال به كبر : كانت نفسه تأبى عليه أن يقال عنه أنه متكبر فيتواضع قصداً ومن عند

نفسه اختياراً .

(٦) سلبته الخيل : سلبته خيل العدو روحه (قتله) . وهو لها حمى : كانت الخيل في الحرب

تحتمي به . بزته (غلبته) نار الحرب ، وهو لها جمر (هو الذي يحرر الحرب ،

ولولاه لما كانت حرب) .

بواتر ، فهي الآن من بعده بستر^١ .
 يكون لأثواب الندى أبداً نشر^٢ .
 ففي أي فرع يوجد الورق النضر^٣ ؟
 لعهدي به ممن يحب له الدهر^٤ .
 فما زالت الأيام شيمتها الغدر^٥ .
 فما عريت منها تميم ولا بكر .
 يشاركنا في فقده البدو والحضر^٦ .
 وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطر^٧ .
 بإسقامها قبراً وفي لحده البحر^٨ ؟
 غداة ثوى إلا اشتهدت أنها قبر .

وقد كانت البيض المآثر في الوعى
 أمين بعد طي الحادثات محمداً
 إذا شجرات العرف جذت أصولها ،
 لئن أبغض الدهر الخوون لفقده .
 لئن غدرت في الروع أيامه به
 لئن ألبست فيه المصيبة طي^١ء ؛
 كذلك ما ننفك نفقده هالكاً
 سقى الغيث غيثاً وارت الأرض شخصه ،
 وكيف احتمالي للغيوث صنيعه^٢
 مضى طاهر الأثواب ، لم تبق روضة^٣

- (١) البيض : السيوف . المآثر جمع مأثور : الذي في منته علامة (دالة على جودة صنعه ، أو أنه ملك لقوم معينين فهم يتوارثونه لجلودته) . بواتر : قاطعة ، ذات قمل في الأعداء (لأنه هو الذي كان يضرب بها في الحرب) . فهي الآن من بعده بتر (جمع بتر) : مقطوعة ، مفلولة (إذ ليس في الناس بعده من يحسن القتال بها مثله) .
- (٢) الحادثات : الاحداث العظام ، المصائب . طي الحادثات محمداً : اخفاؤه ، قتله . أثواب الندى : الكرم . نشر : اظهر (ليس بعد محمد بن حميد من يدعى كريماً جواداً بحق) .
- (٣) إذا قطعت الشجرة من كعبها يبس الورق في جميع أغصانها (محمد بن حميد كان شجرة الجود ، وجميع الاجواد كانوا فروعاً من تلك الشجرة ، فلما مات هودب الكرم منهم أيضاً) .
- (٤) إذا كنا الآن نبتض الدهر لأنه خانه وغدر به وقتله ، فلقد طالما كنا نحب الدهر لأنه جاء به الى الدنيا .
- (٥) الروع : الحرب .
- (٦) يشاركنا في فقده : يشاركنا في الحزن عليه .
- (٧) الغيث الاولى : الماء الساقط من الغيم . والغيث الثانية : الرجل الكريم . وارت : سرت . شخصه : شبعه ، صورته المادية . وان لم يكن فيه (في الغيث الثاني) سحاب (برق ورعد) ولا قطر (ماء حقيقي) .
- (٨) الاحتمال : الامكان . صنيعه : فضل . كيف يمكن للغيوم (الامطار الحقيقية) أن تسقى قبراً فيه بحر . البحر : الرجل الجواد الكريم .

ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ،
عليك سلامُ الله وقفاً ، فإنني
ويغمُرُ صرفَ الدهرِ فائلُهُ الغمُرُ ١ .
رأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليسَ له عُمُرُ ٢ .

-
- (١) ثوى في الثرى : مكث في التراب ، دفن . الثرى الثانية : التراب الذي ينبت فيه النبات .
صرف الدهر : مصائب الدهر . النائل العطاء . الغمر : الكثير الذي يفرق كل شيء في
نفسه . - كان عطاؤه وأحسانه يثمران الفقر والمصائب حتى تختفي المصائب ويختفي الفقر .
(٢) وقفاً : عليك وحدك .

مدیح ابي سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي الحميدي

كان ابو سعيد الثغري هذا من الشجعان والقواد في أيام المعتصم ، ومن قواد حميد الطوسي . وقيل له أيضاً المروزي لأنه كان من أهل مرو . غير أنه اشتهر بلقب الثغري لأنه لزم الحرب في الثغور ، في الشام وخراسان ، فيما أحسب . وهو عربي من طي .

أما هذه القصيدة التي مدحه أبو تمام بها فقد قيلت - فيما يبدو - بعد مقتل محمد بن حميد ، كما نلاحظ في البيت العاشر ، وقبل مقتل بابك الخرمي ، كما نرى في البيت الحادي والعشرين وفي الابيات التي تليه .

غدت تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوى غدٍ ، وعاد قتادا عندها كلُّ مرقدٍ ١ .
 وأنقذها من غمرة الموتِ أنه صدودُ فراقٍ لا صدودُ تعمُدُ ٢ .
 فأجرى لها الإشفاقُ دمعاً مُورداً ، من الدَّمِ ، يجري فوق خدِّ مورِّدٍ ٣ .
 هيَّ البدرُ يُغنيها تودِّدٌ وجهها الى كلِّ من لاقت ، وان لم تودِّد ٤ .

(١) غدت (نهضت باكراً) تستجير الدمع (تستنجد بالدمع : تبكي) خوف نوى غد : خوفاً مما سيجره عليها الفراق في اليوم التالي (في يوم قريب) . القتاد : شوك . وأصبح كل فراش لها شوكاً (امتنع عليها النوم من الحزن) .

(٢) ولكن الذي انقذها من الموت (حزناً) أن صدود المحب (ابتعاده عنها وفراقه لها) كان اضطراراً ولوقت قصير ، لا هجراً مقصوداً دائماً .

(٣) أجرى الاشفاق (الخوف من الفراق) دمعاً مزوجاً بالدم (غزيراً مؤلماً) فوق خدِّها المورِّد (الجميل) .

(٤) التودد : التحبب الى الناس . وجهها جميل يحبها الناس لجمالها من غير أن تتكلف هي التحبب اليهم .

ولكنني لم أحرِ وقرأ مجتمعا ،
ولم تُعطني الأيامُ نوماً مُسكناً
وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخلِق
فاني رأيتُ الشمسَ زِيدت حبةً ،
حللتُ برَبِّ البِيضِ تدمي متونُها ،
لقد كَفَّ سيفُ الصَّامِي محمدٍ
رمى الله منه بابكاً وولائته
باسمَح من صوبِ العَمَامِ سَمَاحَةً ،
إذا ما دَعَوناه بأجلحِ أيْمَنٍ

فُزْتُ به ، الا بِشَمَلِ مُبَدِّدٍ ١ .
الذُّ به : الا بنومٍ مُشَرَّدٍ ٢ .
لديباجتيه : فأغْرِبُ تستجدُّدٍ ٣ .
الى الناسِ ، ان لِيستَ عليهم بِسَرْمَدٍ ٤ .
ورب القنا المُنَادِ والمُنْقَصِدِ ٥ .
تباريحِ نَارِ الصَّامِي محمدٍ ٦ .
بِقَاصِمَةِ الأَصْلَابِ في كلِّ مَشْهَدٍ ٧ :
وأشْجَع من صَرَفِ الزَمَانِ وأنجِدِ ٨ .
دعاه ، ولم يَنْظَلِمِ ، بأصْلَحِ أنْكَدِ ٩ .

(١) الوفير : الغنى . المبدد : المفرق . - لا يستطيع الانسان ان يجمع ثروة الا اذا فارق أهله ووطنه .

(٢) ولا أستطيع أن أنام مرة نوماً هادئاً هائناً مريحاً الا اذا كنت قد قضيت قبل ذلك ليالي (وقتاً طويلاً ، مراراً) لا أذوق فيها النوم (لسفري المتواصل الشاق) .

(٣) ان طول مكث المرء في بلده يجعل العميون تألفه فيبطل اهتمام الناس به ، فتغيب عن بلدك مدة ، فانك اذا رجعت بعد ذلك اهم بك أهل بلدك (لأنك ستبدو لعميونهم كأنك شخص جديد عليهم) . الديباجتان : الخدان .

(٤) السرمد : الدائم . - الناس يحبون الشمس لأنها تغيب وتطلع ، ولأن غيوم الشتاء تُسرها حيناً فيتشوق الناس اليها والى حرارتها .

(٥) البِيض : السيوف . تدمى متونها : يجري الدم على جوانبها (لكثرة الضرب بها في الحرب) . القنا : الرماح . المُنَادِ : المنحني (لأن الرمح البعيد لين ، فاذا طعن به شيء قاس ، كالدرع مثلاً فإنه ينحني) . المُنْقَصِدِ : المتكسر (اذا زاد انحناء الرمح من الطعن فإنه ينكسر) .

(٦) الصامِي محمد الاول : أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي ، وهو من بني الصامت . الصامِي محمد الثاني : محمد بن حميد ، وهو منسوب الى بني الصامت أيضاً . - انتصر أبو سعيد الثغري على بابك الحرمي فأخذ بثأر محمد بن حميد الذي كان قد قتل في حرب بابك .

(٧) الولاية : الانصار والاتباع . قاصمة الظهر : المصيبة العظيمة . المشهد (هنا) : الموقعة ، المعركة .

(٨) الساحة الكرم . أشجع من صرف الزمان : لا يهاب شيئاً ولا يجبن عن خطر . أنجد : عظيم النجدة (الاسراع الى معونة الذين يطلبون معونته) .

(٩) الجلح : انحسار الشعر عن مقدم الرأس خلعةً ، وكان محموداً عند العرب يتفألون به . والصلح =

فتى يوم بذت الحرمية لم يكن
 قفا سندبايا والرماح مشيحة
 عدا الليل فيها عن معاوية الردى ،
 لعمرى ، لقد حررت يوم لقائه ،
 فإن يكن المقدار فيه مفنداً ،
 وفي أرشق الهيجاء ، والحيل ترمي
 بهيابة نكس ولا بمعرداً ،
 تهادى الى الروح الحفصى فتهندي .
 وما شك ريب الدهر في أنه ردى .
 لو أن القضاء وحده لم يُبرداً
 فما كان في أشياعه بسفنداً !
 بأبظاها في جاحم متوقداً ،

= سقوط الشعر من معظم الرأس ، وكان مذموماً ويتشامون به . - نحن كنا ندعو أبا سعيد الثغري « أجلىح » تيمناً بذلك (وكنا على حق لأن أبا سعيد انتصر على بابك وأتباعه ورد عن المسلمين هزائم كثيرة) . وكان أعداؤه (أتباع بابك وأنصاره) يدعونه « أصلح » تشازماً بصلحه ، وكانوا أيضاً على حق لأنه هزمهم وقضى على آمالهم .

(١) بذ : غلب . الحرمية : أصحاب بابك . الهيابة : الكثير الهيبة (الخوف) لغيره .
 النكس : الضميف . المررد : الهارب (ليبعد عن الاخطار) .

(٢) قفا : خلف ، وراء (لعلها فعل ماضٍ) . سندبايا : موضع في أذربيجان بالبذ .
 المشيخ : المقبل عليك المانع لما وراء ظهره (كناية عن جرأة الهاجمين وكثرتهم) . تهدي
 (الرماح ، أي تصوب ، يشار بها) الى الروح (الى نفس المحارب حيث مقتله) .
 الحفصى : الغائب ، المستور المخفي (وراء جدار أو في درع ، وبشجاعة صاحبه) . فتهندي :
 تصيب (المقتل) وتقتل (كناية عن بصر أولئك المقاتلين بالحرب وتمرهم عليها) .

(٣) عدا الليل فيه عن معاوية الردى : صرف الليل في سندبايا الموت عن معاوية (هرب معاوية
 من معركة سندبايا مستتراً بظلام الليل فنجا من القتل) . معاوية (= بابك ؟) . وما شك ريب الدهر في
 أنه ردى : وما كان ريب الدهر (شدة تلك المعركة) يشك في أنه سيقتل في تلك المعركة .

(٤) لعمرى : أقسم بعمرى (بديني) . لقد حررت (لقد كان بإمكانك أن تقتله وتجعل في
 قلوب أتباعه حرارة ، أي حزناً عليه) يوم لقيته (في معركة سندبايا) . لو أن القضاء
 (علم الله السابق بطول حياة بابك) وحده (ولا شيء آخر غير القضاء والقدر) لم يبرد
 (لم يدخل البرد أو الاطمئنان على قلوب أتباعه لأنه نجا من القتل المنتظر له في تلك المعركة) .
 (٥) فاذا كان حسابنا نحن للقضاء والقدر (في مقتل بابك) مفنداً (خاطئاً) ، فان حسابنا في
 ذلك وفيما يتعلق بأشياء (بجنود) بابك لم يكن مفنداً .

(٦) أرشق : حصن للمسلمين خرج اليه بابك ليسطو على مال كان الخليفة المعتصم قد أرسله الى الافشين
 (ان معرفة بابك بجميع ذلك المال من الادلة على أن الافشين كان يمانى بابك ، وذلك مما دعا

عَطَطْتَ عَلَى رَعْمِ الْعِدَا عِزْمَ بَابِكَ
فَالَا يَكُنْ وَلِيَّ بِشَلْوٍ مَقْدَدٍ
وَقَدْ كَانَتْ الْأَرْمَاحُ أَبْصَرْنَ قَلْبَهُ ،
وَمَوْقَانُ كَانَتْ دَارَ هِجْرَتِهِ ، فَقَدْ
حَطَطَتْ بِهَا . يَوْمَ الْعُرُوبَةِ ، عِزَّهُ ؛
رَأَى سَدِيدَ الرَّأْيِ وَالرَّمْحِ فِي الْوُغَى ،
بِعِزْمِكَ عَطَى الْأَتْحَمِيَّ الْمُعْضَدَ ١
هَنَّاكُ ، فَتَدَّ وَلِيَّ بِعِزْمٍ مَقْدَدٍ ٢ .
ذُأْرَمَدَهَا سَرَّ الْقَضَاءِ الْمَمْدَدَ ٣ .
تَوْرَدَتْهَا بِالْحَلِيلِ كُلِّ تَوْرَدٍ ٤ .
وَكَانَ مُقِيمًا بَيْنَ نَسْرِ وَفَرَقَدٍ ٥ .
تَأَزَّرُ بِالْإِقْدَامِ (فِيهَا) وَتَرْتَدِي ٦ .

— المعتصم الى أن يرسل أبا معيد الثغري الى حرب بابك عوناً للاشقين في الظاهر ورقبياً عليه في الحقيقة . أرشق الهيجاء على الاضافة للمبالغة في شدة المعركة التي دارت حول أرشق . الجاحم : الجحيم (النار العظيمة اذا كانت في مهواة أو مكان منخفض ، المكان الشديد الحر) . المتوقد : الشديد الاشتعال مع خروج لهب منه .

(١) عط : شق . الاتحيمي : الثوب المخطط (المنسوج بخيوط تختلف قوة) . المعضد : الملموح أنه الثوب الذي فيه خطوط نافرة في أصل نسجه . - يقول أبو تمام : « وفي معركة أرشق شققت عزم بابك (كسرت قوته المعنوية) بعزمك أنت ، على رعم العدا (على كثرة اتباعه) شق الاتحيمي المعضد (كما يشق الثوب المخطط في أصل نسجه ، أي بسهولة) .

(٢) الشلو : كل جسم قلع منه شيء وبقيت منه بقية . مقدد . مقطع . هناك (أي في معركة أرشق) . - فالأ (أن لا) يكن ولي (مات ، قتل) بشلو مقدد (بجسم مقطع في المعركة) فقد ولي (انهزم) بعزم مقدد (همة مكسورة لا يفكر أن يعود بعدها الى قتالك) .

(٣) وكانت رماح المسلمين قد أبصرت قلب بابك (صوبت الى مقتله) ، ولكن القضاء (طول عمر بابك المكتوب له في سابق علم الله) أرمد عيون تلك الرماح (جعلها مريضة ومداء لا تبصر ، اذ حال قضاء الله بين تلك الرماح وبين قلب بابك كأنه ستر حاجز) .

(٤) موقان : مكان في أرمينية . دار هجرته : المكان الذي هاجر (ابتعد اليه) حتى لا يصل اليه أحد . توردها بالحليل : دخلت اليها بخيل كثيرة من كل جانب .

(٥) حططت عزه : خفضت عزه ، أنزلته من أعلى الى أسفل . يوم العروبة : يوم الجمعة . وكان (عزه من قبل) بين نسر وفرقد (النسر والفرقد نجمان في السماء) ، أي في مكان مرتفع لا يصل اليه أحد .

(٦) سيد الرمح : بارع في الاصابة بالرمح . تأزر بالاقدام وترتدي : تلبس الاقدام ازارا ورداء (كناية عن اقدامه وجرأته في كل موقف من مواقف الحرب) .

وَايَسُ يُجَلِّي الكَرْبَ رَمِحٌ مُسَدَّدٌ
 فَرَّ مُطِيعاً لِّلْعَوَائِي : مَعْوِداً
 وَكَانَ هُوَ الْجِلْدَ الثَّمَوِي : فَسَابَتَهُ ،
 لِعَمْرِي ، لَقَدْ غَادَرَت حِسِّي فَوَادَهُ
 وَكَانَ بَعِيدَ الْقَعْرِ مِنْ كُلِّ مَاتِحٍ ،
 وَلِئِكَ ذَجَّ الْعُلْيَا سَمَتَ بَيْتِكَ هِمَّةً
 إِذَا هُوَ لَمْ يُؤْنَسْ بِرَأْيِ مُسَدَّدٍ ١ .
 مِنَ الْخَوْفِ وَالْإِحْجَامِ مَا لَمْ يَعْوَدْ ٢ .
 بِحَسَنِ الْجِلَادِ الْمَحْضِ ، حُسْنِ التَّجَلُّدِ ٣ .
 قَرِيبَ رِشَاءٍ لِّلْقَنَا سَهْلٍ مَوْرِدٍ ٤ .
 فَغَادَرَتْهُ يُسْقَى وَيُشْرَبُ بِالْيَدِ ٥ .
 طَمَرُوحٌ بِرُوحِ النَّصْرِ فِيهَا وَيَغْتَدِي ٦ ؛

- (١) يجلي : يجلو ، يكشف . الكرب : الغم ، الشدة . رأي مسدد (مصيب) - إذا كان هذا الرأي المصيب لا يصحبه رمح مسدد (معرفة بالحرب) - .
- (٢) مر : جاز وذهب (فر ، هرب على وجهه) مطيعاً للعوائى (الرماح) : كأن الرماح حينما أشارت إلى قتله (ولم يكن عمره قد نفذ بعد) قد أمرته بالفرار ففر . ثم إن هذه المعركة قد علمته الخوف من الحرب والاحجام (التأخر في مجال الحرب) وعودته ذلك كله ، ولم يكن من قبل يعرف شيئاً من ذلك .
- (٣) الجلد : الشديد ، الصبور . الجلاد : القتال والثبات فيه . التجلد : التصبر ، الصبر على المكروه . سلبته حسن التجلد : جعلته لا يكتم خوفه وذعره .
- (٤) الحسي : الماء القليل في منخفض يسير من الرمل . حسي فؤاده : ماء فؤاده (دم قلبه ، روحه) . قريب رشاء : يستقى منه برشاء (حبل) نصير . سهل مورد : سهل على جميع الناس أن يستقوا منه (أن يقتلوا بابك) . - أصبح بابك مما أدخلت على قلبه من الخوف عاجزاً عن صد كل هاجم عليه .
- (٥) بعيد القمر : عميق . الماتح : الذي يمتح (يسحب الماء من البئر بالحبل) . كان بابك من قبل منيعاً لا يصل أحد إليه ، كما لا يستطيع أحد أن يسحب الماء بالدلو من البئر العميقة جداً . فجعلته أنت قريباً هيناً على كل هاجم كأنه ماء على ظاهر الأرض يشرب الناس منه بأكفهم (من غير حاجة إلى دلو وحبل) .
- (٦) الكنج تعريب كده (من الفارسية) . كده (بفتح الكاف والذال) : البيت المنزل ، الكهف القرية . وقد تضاف إلى اسم فيقال آتش كده : بيت النيران (معبد الفرس القديم) . وقياساً على ذلك نقول بابك كده : بيت بابك ، قلعة بابك ، عاصمة بابك ، الخ . ويفهم من البيت « وللكنج العليا ... » أن بابك كان له عدد من الحصون ، وأن أباً سعيد الثفري استولى على القلعة العليا أيضاً .

وقد خزمت بالذل أنف ابن خازم ، وأعيّت صياصيتها يزيد بن مزيد^١ ؛
 فقيدت بالإقدام مُطلقاً بأسهم ، وأطلقت فيهم كل حَتَفٍ مقيّد^٢ ؛
 وبالهَضْبِ من أبرشتوم ودرروز^٣ سمّت بك اطراف القنا ، فاسمٌ وازدد^٤ .
 افادتك منها المرهفات مكارها ، تُعمرُّ عمرَ الدهر ، إن لم تخلد^٥ .
 وليلة أبلت البيات بلاءه من الصبر في وقت من الصبر مُجحد^٦ .
 فيا جولة^٦ ، لا تجحديه وقاره ؛
 ويا سيف^٦ ، لا تكفر^٦ ؛ ويا ظلمة^٦ ، أشهدي^٦ .

(١) خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد : قائدان عباسيان كانا في المشرق أيضاً . الصياصي جمع صيصة : الحصن . خزم : علق الخزامة (بكسر الخاء : حلقة من الحديد أو الجلد أو الشعر تعلق في أنف البعير أو غيره من الحيوان لجره بها اذا كان شمساً) . - لم يستطع خزيمة بن خازم ولا يزيد بن مزيد أن يفتحا الكدج ، وقصدها خزيمة بن خازم فرجع منها مقهوراً .

(٢) جرأتك عليهم (في عقر دارهم) قيدت قوتهم وأبطلتها ، ثم انك بثت بها أنواع الختوف (جمع حتف : الموت) .

(٣) الهضب : ما ارتفع من الارض ، الاراضي المنبسطة في الجبال . دروز : اسم جبل . أبرشتوم جبل بالبد من ارض موقان من نواحي اذربيجان كان بابك يأوي اليه (ياقوت - طبعة القاهرة - ١ : ٧٤) .

سمت بك أطراف القنا : صعدت الى تلك الاماكن عنوة بالسلاح .

(٤) المرهفات : السيوف الرقيقة . المأثرة (بضم الثاء) : الفعل الجليل العظيم .

(٥) البيات : رسم خطة (سرّاً) لمهاجمة العدو في اليوم التالي . أبلت البيات بلاءه من الصبر : أعطيت رسم تلك الخطة حقه من الدرس والعناية والدقة ، ثم نفذت (في اليوم التالي) تلك الخطة بصبر على الحرب (بمشقة وتضحيات) . في وقت من الصبر مجحد : في وقت لا ينفع الصبر فيه . ومجحد صيغة ليست في القاموس .

(٦) الجولة : المبارزة ، الهجمة (في الحرب) . لا تجحديه وقاره : لا تندي أنه كان وقوراً (ثقيلاً : ثابتاً ، هادئاً) جداً على الرغم من الاهوال التي كانت في تلك المعركة والتي كانت تندي الانسان وقاره (فيجزع أو يجبن أو يستسلم أو يهرب) . يا سيف لا تكفر : لا تنكر فضله ، وأنه لولا شجاعة أبي يوسف الثوري ومعرفته بأصول القتال لما كان لك فضل . الظلمة : الليل أو المعركة الشديدة القاسية كأنها ظلمة الليل . أشهدي : أشهديه بالمقدرة والثبات الخ .

ويا ليلُ ، لو أني مكانك بعدها
وقائعُ أصلُ النصرِ فيها وفرعُه
فمهما تكن من وقعةٍ بعدُ لا تكن
محاسنُ اصنافِ المغنينِ جمّةٌ ،
جلوتُ الدجى عن أذرييجانٍ بعدَ ما
وكانت ، وليس الصبحُ فيها بأبيضٍ ؛
رأى بابك منك التي طلعت له
هزرت له سيفاً من الكيد ، إنما
يسرّ الذي يسطو به وهو مُغمّد ،

لَمَّا باتَ في الدنيا بنومٍ مُسَهِّداً .
إذا عُدَّدَ الاحسانُ أو لم يُعَدِّدِ ٢ .
سوى حَسَنٍ ، مما فعلت ، مردّد ٣ ؛
وما قَصَبَاتُ السَّبِقِ الا لِمُعَبِّدٍ ٤ .
تردَّتْ بلونٍ ، كالغمامة ، اربد ٥ .
فأمست ، وليس الليلُ فيها بأسود ٦ .
بنحسٍ ، وللدن الحنيفِ بأسعد ٧ .
تُجَدُّ به الاعتاقُ ما لم يُجرِّد ٨ .
ويفضح من يسطو به غيرِ مغمّد ٩ .

- (١) يا ليل ، لو أني كنت مكانك لكافأت أبا سعيد الثغري عل ظفره في هذه المعركة بأن أسحه
نوماً عادياً طبيعياً لا يسهر سهرأ فيه قلق أو تعب ثم جعلت ذلك له طول حياته الباقية .
- (٢) ان جميع الوقائع التالية ، اذا كان فيها نصر فيكون من أثر هذه المعركة ، سواء أكان
النصر يحدث بخطوة واحدة (هي التي رتبها أبو سعيد الثغري) أو بخطوط متعددة مختلفة .
- (٣) وكل معركة بعد معركتك هذه سيكون النصر فيها بتكرار خطتك الحكيمة التي ابتدعتها في
هذه المعركة .
- (٤) للمغنين المختلفين حسنات كثيرة ، ولكن معبد بن وهب المغني الاموي المشهور قد فاز في
الفناء عليهم كلهم (وكذلك القواد لهم حسنات وانتصارات كثيرة في المعارك ، ولكن أبا
سعيد الثغري أفضلهم كلهم) .
- (٥) جلوت الدجى : كشفت الليل (أبعدت الخطر) . تردت بلون كالغمامة أربد(كلون التراب) ؛
ليست ثوباً (من الخوف والخطر) عمها كلها كما تعم الغمامة وجه السماء .
- (٦) وكانت أذرييجان تخاف بابك وأتباعه في وقت السلم ، فأصبحت بفضلك لانتخافه في زمن الحرب
(٧) أدرك بابك الآن أن خطتك قد جاءت له بالنحس ، وأنها قد جاءت للإسلام بالسعد .
- (٣) حاربت بابك بالمكيدة التي تجد (تقطع) أعناق الأعداء وهي مكتومة غير ظاهرة ، لأنها
لو ظهرت وعرفت لاحترس العدو منها فيبطل فعلها .
- (٩) هذا السيف (أي المكيدة) يسر صاحبه الذي يستعمله وهو مغمّد (كناية عن ابقاء المكيدة
سراً) ، وهو يفضح صاحبه وينزل به الحية والضرر ، اذا ضرب به فيرمغمّد : (اذا
كان يعلن خطته في الحرب) .

واني لأرجو ان تقلد جیده
منظمة بالموت ؛ يحظى بحليها
اليك هتكنا جنح ليل كأنه
تقلقل بي أدم المهاري وشومها
تقلب في الآفاق صلاً كأنما
تلافي جدك المجتدين ، فأصبحوا
إذا ما رحي دارت أدرت ، سماحة ،

قِلادة مصقول الذباب مُهند^١
مقلدها في الناس ، دون المقلد^٢ .
قد اكتحلت منه البلاد بإميد^٣ .
على كل نشز مُتَلبب وقد فد^٤ .
يقلب في فكّيه شقة مبرد^٥ .
ولم يبق مذخور ، ولم يبق مجتدي^٦ .
رحى كل إنجاز على كل موعد^٧ .

(١) اني آمل أن تلبس بابك الحرمي قلادة (عقداً) في جیده (عنقه) من سيفك (أن تقطع في
المركة المقبلة عنقه بسيفك) . الذباب : حد السيف .

(٢) قلادة منظمة بالموت (جعلت حياتها من أسباب الموت) ، والذي يسر بها هو الذي يقلدها
(يعلقها في عنق غيره) لا الذي يتقلدها (يلبسها في عنقه) .

(٣) جئنا اليك مسافرين في قلب ليل شديد الظلمة حقيقة أو مجازاً (من حاجة الى المال الذي في
يديك) . الأمد : الكحل .

(٤) تقلقل (تتقلقل) بي : تحملني متقللة بي في أطراف الأرض . أدم المهاري وشومها : السر
والسود من المهاري ، كما في القاموس (٢ : ١٣٧ ، السطر الخامس) . والمهار
جمع مهر (بضم الميم) وهو ولد الفرس أو أول ما ينتج منه ومن غيره (كالابل مثلاً) ،
والمقصود هنا الابل لا الخيل . النشز : المرتفع من الأرض . المتلبب : المستقيم (صعوداً ؟) .
الفدقد : القلاة (الأرض الواسعة الحالية) الغليظة .

(٥) تقلب في الآفاق (تحمل من مكان الى مكان في أطراف الأرض) صلاً (داهية ، يعني أبو
تمام بالصل نفسه) . يقلب في فكّيه شقة مبرد (يجيل في فمه لساناً كأحد حدي المبرد ،
أي لساناً قديراً حاداً) .

(٦) تلافى (تدارك ، أعان ، ساعد) جدك (كرمك) المجتدين (طالبى الحدوى : العطاء) ،
حتى لم يبق (لك مال) مذخور ولم يبق مجتد (محتاج يطلب مالا) .

(٧) إذا ما رحي دارت : كلما دارت طاحون لطحن القمح وغيره (أو حرب) . ادرت سماحة :
وزعت المال كرمياً منك في الناس (وكما أن الطاحون لا تتوقف عن طحن الحبوب ، فأنت أيضاً
لا تتوقف عن بذل المال . ثم انك تعد كثيراً وتفي بجميع ما تعد ، كأنك تطحن الوعود
بانجازها حالا ، كما تفعل الطاحون بالحب الذي يلتقى فيها) .

اتيتك لم أفزعُ الى غير مَفزَعٍ ، ولم أنشدُ الحاجاتِ في غير مَنشدٍ^١ .
ومن يرجُ معروفَ البعيد ، فانما يدي عولتُ - في النائبات - على يدي^٢ .

-
- (١) أفزع : ألقأ . المفزع : المكان يصلح لأن يلجأ الناس اليه . أنشد : أطلب . المنشد :
المكان الذي يمكن فيه تحقيق الحاجات .
(٢) واذا كان الانسان يطلب المعروف من شخص بعيد (ليس بينه وبين ذلك الشخص قرابة
أو معرفة) ، فان احدى يدي قد عولت (اعتمدت) على يدي (الاخرى) فطلبت منها
(أنت طائي وأنا طائي مثلك ، فأنا اذن لا اطلب من أحد غريب) .

مديح أبي دُلْف القاسم بن عيسى العجلي

هو من قُوَاد المأمون والمعتصم . كان كريماً وشجاعاً ، وكان أديباً
 مؤلفاً (ت ٥٢٢٥ = ٨٤٠ م) .
 على مثلها : من أربُعٍ وملاعبٍ ،
 أقول لقرحانٍ من البينِ ، لم يُضِفْ
 « أعينيَ أفرقُ شملَ دمي » فاني
 فما صار ، في ذا اليوم ، عدلُك كله
 وما بك إركابي من الرشدِ مركباً
 أذيلتُ مصوناتِ الدموعِ السواكبِ ١ .
 رسيسَ الهوى بين الحشا والترائبِ ٢ :
 أرى الشمْلَ منهم ليس بالمتقاربِ ٣ .
 عدويَّ ، حتى صار جهلك صاحبي ٤ .
 ألا إنما حاولتَ رُشدَ الركائبِ ٥ .

- (١) الربيع : المنزل . الملعب : المكان تدرج فيه الريح تمر عليه وتتركه . أذيلت : أهينت .
 - على مثل هذه الربوع (المجيدة) يحسن أن نذرف الدموع الكثيرة التي قد خزنت في
 الجفون مدة طويلة .
 (٢) القرحان : الذي لم يصبه مرض . قرحان من البين : لم يذق البين (البعاد) . الرسيس :
 أول الحب . لم يضيف رسيس الهوى : لم ينزل الحب بعد ضيقاً عليه (لم يعرف الحب بعد) .
 الحشا : الجوف . الترائب : عظام الصدر .
 (٣) أفرق شمل دمي : أنثر دموعي المجتمع (أبكي) . منهم : من الاحباب .
 (٤) العذل : اللوم . - لما أكثرت عدلي على حبي ظننتك عدوي حتى تبين لي أنك جاهل بأمري
 وأمر الحب فعذرتك (كان جهلك صاحباً لي فشفع بك الي) .
 (٥) الركائب : الحيوانات المستعملة في الركوب . - ان لومك لي ليس حياً بي ومحاولة لردني
 عن النبي (في مثل هذا الحب) الى الرشاد (الى الرجوع الى العقل والمنطق) ، ولكنك
 أشفقت على الركائب التي طال وقوقها في هذه البادية ، فأنت قائد أبل ولست هادي
 بشر !

فكِلتني اني شوقي، وسِرِّ بِسِرِّ الهوى
 أميْدانَ لهوي . من أتاح لك البلي
 اصابتك ابكارُ الحُطوب ، فشتتت
 الى حُرْقاتي بالدموع السوارب ١ .
 فأصبحت ميدانَ الصبا والحنائب ٢ ؟
 هوايَ بأبكارِ الظباء الكواعب ٣ :

• • •

وركبٍ يُساقون الرِّكابَ زُجاجةً
 فقد أكلوا منها الغواربَ بالسرى ،
 يُصرفُ مسراها جُذيلُ مشارقٍ
 من السير ، لم تقصِدْ لها كفَ قاطب ٤ .
 وصارت لها أشباحهم كالغوارب ٥ .
 — إذا آبهُ همٌ — عذيقُ مغارب ٦ .

(١) أركني وشوقي وسر أنت بالابل ، فان الهوى حوثد يحملني على البكاء الكثير فتسقط
 الدموع على حرارة حبي فتخففها (ان الحب الذي هو سبب حرقاتي سيكون أيضاً سبب
 الدموع التي ستطفيء تلك الحرقات) .

(٢) ميدان لهوى : مسكني في أيام شبابي . أتاح : سبب . البلي : الخراب والهجر . الصبا :
 الريح الشرقية . الحنائب جمع جنوب (بفتح الجيم) : ربيع الجنوب .

(٣) أبكار الحطوب : المصائب البكر (التي لم يوجد مثلها في الأرض بعد) . شتت : أبعدت ،
 نفرت عني ، أبكار جمع بكر : العذراء . الظباء : الغزلان (كناية عن النساء الجميلات) .
 الكواعب : الفتاة اذا كعبت (اذا نهد ثديها واستدارا) .

(٤) ركب : جماعة يركبون الابل ويسافرون معاً . يساقون الركاب (الابل) زجاجة من
 السير : يسقونها مرة بعد مرة (يسوقونها باستمرار ويجهدونها) حتى كأنها من الجهد
 والتعب سكرى . لم تقصد لها كف قاطب : لم تمزج تلك الحمر بالماء (لم يرح اولئك
 المسافرون ابلهم في أثناء تلك الرحلة) .

(٥) الغارب : سنام الجمل . السرى : السفر في الليل . الشبح : الخيال ، صورة الشخص (اذا
 رؤى الشخص من بعيد فانه يظهر صغيراً غير واضح) . — أكلوا منها الغوارب بالسرى :
 أجهدوها بكثرة السفر والسير حتى ذابت أسنمتها (فكأنهم قطعوا أسنمتها وأكلوها) .
 وصارت لها أشباحهم (لأنهم هم أيضاً نخلوا من كثرة السفر وشدة التعب) كالغوارب :
 أصبحوا كأنهم أسنة الابل .

(٦) يصرف مسراها : يقودها في طرق الاسفار الطويلة الصعبة المضللة . جذيل (رجل كثير
 الاسفار احتك بالبادان وخبر طرقاتها وعاداتها) والتصنير في « جذيل » لتنظيم (مشارق
) (من السفر في المشارق) . عذيق : رجل نحيل من كثرة الاسفار يشبه العلق (النخلة

يرى بالكعب الرود طلعة نائري
 كأن به ضغناً على كل جانب
 إذا العيس لاقبني أبا دلف . فقد
 هنالك تلقى المجد حيث تقطعت
 تكاد عطاياه يُجنّ جنونها ،
 إذا حرّكته هيزة المجد غيرت
 تكاد مغايه تهبش عيراصها ،
 وبالعرميس الوجناء غرة آيب .
 من الأرض . او شوقاً إلى كل جانب .
 تقطع ما بيني وبين النوايب .
 تامة ، والحدود مرخي الذوايب .
 اذا لم يعوذها بنغمة طالب .
 عطاياه اسماء الأمانى الكواذب .
 فركب ، من شوق ، إلى كل راكب .

- بحملها : هو نحيل كالنخلة ولكن له رأياً جميلاً مفيداً كشم النخلة . اذا آبه هم : اذا
 حزبه أمر ، اذا فاجأه أمر ثم اشد وصعب المخرج منه .
 (١) الكعاب : الكعاب (الماشية ٣ من ص ١٦٧) . الرود : اللينة الناعمة . طلعه نائري :
 هجوم رجل نائري عليه (هو يكره الحناء كما يكره الذي يهجم عليه ليفانله ، لأن
 حب المرأة الحناء يفري الانسان بالبقاء في الوطن وترك السفر) . العرمس : الناقة
 الصلبة . الوجناء : الشديدة . غرة آيب : قدوم رجل من سفر (يحب رؤية الناقة الشديدة
 لأنها وسيلة السفر ، يحب السفر كثيراً) .
 (٢) كأن به ضغناً (حقداً) على كل مكان هو فيه فيريد أن يتركه ؛ وكأن به شوقاً (حباً)
 إلى كل مكان فهو يريد أن يذهب إليه .
 (٣) العيس : النياق . النوايب : المصائب . - اذا وصلت إلى أبي دلف فاني أتخلص من
 المصائب (لا يبقى للمصائب علي طريق : انه يزيل المصائب عني بكرمه) .
 (٤) تقطعت تامة : أصبح ناشئاً قد تجاوز حد الطفولة (لأن العادة كانت أن تعلق التامم
 - الاحجية - في رقاب (الأطفال) . مرخي الذوايب : شاب وافي الشباب . - يقصد أن
 الممدوح كان كثير الجود أثيل (قديم) المجد .
 (٥) لا يكون مسروراً الا اذا جاء من يطلب رفته ، ولا ترضى عطاياه (أو لا يرضى عطاياه)
 الا وهو يرجو من السائل قبولها .
 (٦) اذا طرب عند مدحه بمجده القديم أعطى المادح مبالغ جسيمة (قد يمني المادح نفسه أمنية :
 نصف مليون ، مليون ... ، ثم يرى أن ذلك من كذب الأمانى : غير معقول) . بعدئذ
 يجد أن الممدوح قد أعطاه أكثر مما كان قد تمنى ، فكان الممدوح قد بدل اسم الاماني الكاذبة
 باسم الأمانى الصادقة .
 (٧) المغنى : الدار ، المنزل . هس : ظهر البشر (السرور) على وجهه . العرصة : ساحة

- إذا ما غدا أغدى كريمة ماله
يرى أقبح الأشياء أوبة آميل
وأحسن من نورٍ ، تفتحة الصبا ،
إذا أبلحت يوماً لجيمٌ ، وحولتها
فإن المنايا والصوارم والقنا
جحافل لا يتركن ذا جبرية
يمدون من أيدي عواصم
إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا
- هديةً ، ولو زفت للأمخاطب^١ .
كسته يدُ المأمول حلة خائب^٢ .
بياضُ العطايا في سوادِ المطالب^٣ .
بنو الحصن نجلُ المحصنات النجائب^٤ ؛
أقاربهم ، في الروع ، دون الأقارب^٥ .
سليما ، ولا يجرُبُنَّ من لم يحارب^٦ .
تصول بأسياف قواصم قواصب^٧ .
صدور العوالي في صدور الكتائب^٨ .

- (١) غدا : خرج من بيته باكراً . أغدى : أخرج . كريمة ماله : أفضل ماله . هدي : عروس .
- يبكرني كل يوم بالخروج من بيته ويهدي (يزوج ، يعطي) أفضل ماله لأي طالب يسأله ،
ولو كان ذلك الطالب ثيباً وليس كفوئاً لماله (شبه المال ببنت الممدوح والسائل بالخاطب
الطالب الزواج) - ألزم نفسه الجود في كل يوم لكل إنسان اتفق .
- (٢) أقبح شيء لديه أن يرجع قاصده خائباً .
- (٣) وأن الذي هو أحسن وأجمل من تفتح الزهر في أيام الريح الشرقية العلية اعطاء المال
الكثير لصاحب الحاجة الشديدة .
- (٤) إذا أبلحت : إذا أبلحت خيولها (استعدت للحرب) . لجيم : بنو لجيم بن صعب بن علي
ابن بكر بن وائل (قوم أبي دلف العجلي الممدوح بهذه القصيدة) . بنو الحصن نجل المحصنات :
ولد المحصنات (العفيفات) . النجائب جمع نجبية : الكريمة الأصل الحسينية (ذات
الاعمال الكريمة) والتي تنجب (بضم التاء) : تلد الأولاد النجباء .
- (٥) المنايا (جمع منية : الموت) والصوارم (جمع صارم : السيف) والقنا (جمع قنأه :
الرمح) ، أن هذه الأسلحة تكون مع بني لجيم يوم الروع (في الحرب) أو أن هذه
هي أقارب بني لجيم في الحرب دون أقاربهم في النسب .
- (٦) الجحافل : الجيش العظيم . الجبرية : الكبر (بكسر الكاف) والتجبر . سليماً : معافى .
يجربن من لا يحارب : لا يسلبن (يأخذن) مال من لا يحاربهم .
- (٧) عواصم : منيعة (تدافع عن نفسها) . عواصم : موانع (تحمي غيرها) . قواصم :
قاتلة . قواصب : قاطمة (ومعنى قواصم ومعنى قواصب متقاربان) . صال : هجم .
- (٨) جابت : جالت ، شقت . قسطل الحرب : غبار الحرب . صدعوا : كسروا . صدور
العوالي : رؤوس الرماح . صدور الكتائب : صفوف الجيوش .

إذا افتخرت، يوماً ، تميم "بقوسها .
فأنتم ، بذئ قارٍ : أمالت سيوفكم
محاسنُ من مجدٍ ، متى تقررنا بها
معالٍ تمادت في العلو كأنما
وقد علم الأفشينُ ، وهو الذي به
بأنك لما استخذل النصرُ واكتسى
تجلتته بالرأي حتى أريتَه

وزادت على ما وطلدت من مناقب^١ ؛
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب^٢ .
محاسن اقوام تكن كالمعائب .
تحاول ثأراً عند بعض الكواكب .
يُصان رداءُ الملك عن كل جاذب^٣ ،
أهابي تسفي في وجوه التجارب^٤ .
به ، ملاء عينيه ، مكان العواقب^٥ ؛

(١ و ٢) وطلد : ثبت . المناقب : الحصال الحميدة . ذو قار موقع في أدنى العراق وقعت فيه معركة بين العرب والفرس فانتصر العرب على الفرس عام ٦١٠ م (أول سنة من بعثة محمد رسول الله) . أمالت عروشهم : قضت على ملكهم . قصة تميم وعجل في البيتين :

كان حاجب بن زرارة بن عدس (بضم العين والذال) قد نزل بقومه في أرض الحيرة . فاستدعى كسرى وفداً من بني تميم وشرط عليهم في سبيل بقائهم حيث نزلوا ألا يعتدوا على أحد من جيرانهم ، وطلب منهم على ذلك رهناً . فدفع حاجب بن زرارة قوسه رهناً على ذلك . وقد قبل كسرى القوس رهناً ، ووفى بنو تميم لكسرى بما كان قد شرطه عليهم ، وصار ذلك معدوداً في مناقب بني تميم .

ولما اجتمع العرب في ذي قار لمحاربة الفرس خاف بعض العرب من خوض معركة مع الفرس وأرادوا أن يفرّوا . غير أن حنظلة بن ثعلبة العجلي نصب خيمة وجلس قربها ثم قال : لا أفر حتى تفر هذه الخيمة . فعاد الناس كلهم وحاربوا الفرس وانتصروا عليهم . ثم جاء الإسلام وقضي على ملك الفرس .

(٣) الأفشين هو حيدر بن كاوس أحد قواد الخليفة المعتصم . به يصان رداء الملك عن كل جاذب : به يدفع الثائرون على الدولة (هو الذي يحمي الدولة من كل نائر عليها) .

(٤) استخذل النصر : فقد جرائته (بدأ المسلمون بالانضمام في حرب بابك الخرمي في جبال البذ في خراسان) . اكتسى (لبس) أهابي (جمع أهاب ، بكسر المهملة : غبار) تسفي (تشور ، تهب) في وجوه التجارب (تمنع الحكيم المجرّب من رؤية وجه الصواب) . - لما خان الحظ الأفشين ولم تنفعه شهرته الماضية وتجاربه الكثيرة في الحروب في أحرار النصر .

(٥) تجلته بالرأي (الخطاب لأبي دلف الممدوح في هذه القصيدة) : علوته بالرأي ، بصرته -

- بأرشق . اذ سالت عليهم غمامة^١ سللت لهم سيفين : رأياً ومنصلاً^٢ : وكنت ، متى تهزرت لخطب تغشيه^٣ فذكرك في قلب الخليفة . بعدها . فان تنس يذكرك . أو يقل فيك حاسد فأنت لديه حاضر ، غير حاضر . اليك أرحنا عازب الشعر ، بعدما
- جرت بالعوالي والعتاق الشواذب^١ . وكل كنجم في الدجنة ثاقب^٢ . ضرائب أمضى من رفاق المضارب^٣ . خليفتك المقفى بأعلى المراتب^٤ : يغل قوله ، أو تنأ دار يصاقب^٥ ؛ بذكر ؛ وعنه غائب ، غير غائب^٦ . تمهل في روض المعاني العجائب^٧ .

به ، ذلك على الحطة الصحيحة للتغلب على بابك الحرمي . حتى أريت به (بذلك الرأي) ملء عينيه (بكل وضوح ، حتى أفتنته) . مكان العواقب (نتيجة استمرار الانهزام وأنها ستكون سيئة ، لا هل الافشين وعلى جيشه فقط ، بل على العرب والاسلام أيضاً) .

يحسن أن نعلم هنا أن الافشين كان متهماً بمائة بابك الحرمي ، وأن الخليفة المعتصم أدرك ذلك فأرسل أبا دلف العجلي في جيش كبير لنجدة الافشين في الظاهر وللمراقبة الافشين ولتنعه من المائة مع بابك الحرمي في الحقيقة .

(١) أرشق : حصن للمسلمين في موقان (كورة في أرمينية) . اذ سالت عليهم غمامة : لما قام بابك الحرمي بهجوم على الحامية الاسلامية فكاد يبيدها . العوالي . الرماح . العتاق : الخول الاصلية . الشواذب : الضامر .

(٢) سللت له سيفين رأياً ومنصلاً (أعتته برأيك وبسيفك) . الدجنة : الظلام . ثاقب : يثقب ، يخرق . النجم الثاقب : النجم الشديد المعان الذي يضيء ما حوله .

(٣) تهزرت لخطب : تسأل رأيك في أمر مشكل أو عظيم . تغشيه : تلبسه ، تبدي فيه (رأياً) . ضرائب جمع ضريبة : خليفة ، طبيعة ، رأي . أمضى : أشد قطعاً ، أصح رأياً . رفاق المضارب : السيوف الماضية (القاطعة) .

(٤) بعدها : بعد هذه المعركة . خليفتك المقفى : يقوم مقامك أو مقام حضورك في مجالس الخليفة المعتصم . المقفى : المخصوص بالتقرب والتفضيل .

(٥) فان تنس يذكرك : اذا نسيك أحد ذكرك الخليفة المعتصم . يغل قوله : يبطل قوله ، لا يقبل فيك رأيه . أو تنأ دار يصاقب : واذا اتفق أن كنت بعيداً عنه (تقوم له بمهمة

أو تحارب في معركة) فانه يصاقب (يقرب منك بذكرك لك ومدحه اياك والاحسان اليك) .

(٦) فأنت دائماً حاضر عنده بذكرك وان كنت غائباً عن مجلسه بجسمك (غير منصوبة على الحال) . وكثيراً ما تكون غائباً عن مجلسه بجسمك ولكنك حاضر في قلبه بذكرك اياك .

(٧) أراح الراعي الغنم : ردها في المساء الى المبيت بعد أن رعت طول النهار . عازب الشعر :

غرائبُ لاقت في فينائك أنسها
ولو كان يفتي الشعرُ أفناه ما قررت
ولكنه صوبُ العقول ؛ إذا انجلت
اقول لاصحابي : ه هو القاسمُ الذي
واني لأرجو ، عاجلاً ، ان تردني

١. من المجد ، فهي الآن غيرُ غرائب .
٢. حياضك منه في العصور الذواهب .
٣. سحائبُ منه أعقبتُ بسحائب .
٤. به شرح الجودُ التباسَ المذاهب .
٥. مواهبهُ بجرأ تُرجتى مواهبي .

= الشعر البعيد عن مألوف الشعراء الآخرين . تمهل في روض المعاني العجائب : بقي مدة طويلة في حدائق الأدب تنتقى له المعاني الغريبة الجميلة (يقول الشاعر للممدوح : مدحتك بشعر . قد تأنفت فيه وصرفت في انتقاء معانيه وقتاً طويلاً) .

- (١) كانت هذه المعاني غريبة لم يفهمها الناس ، فلما وصلت اليك وجدت عندك مجداً غريباً أيضاً (ثم يألغه الناس من قبل) فأنست معاني الغريبة بمجدك الغريب فهي الآن عندك غير غريبة .
- (٢) قرى : جمع . الحياض جمع حوض : حفرة في الأرض يجمع فيها الماء (شبه الشاعر بمدوحه بالحوض وشبه الشعر الذي مدح به الممدوح وقومه بالماء ثم قال) : لو كان الشعر ماء (شيئاً محدوداً) لفني (لنفد من جميع الأرض) لكثرة ما اجتمع منه في حياضك (لكثرة مدحت أنت وقومك من قبل بالشعر) .
- (٣) الصوب : انصباب (أثمار) المطر من السماء . انجلت : انكشفت ، ذهبت . أعقبت بسحائب : خلفتها (جاءت بعدها بلا نهاية) سحب جديدة . - الشعر نبع يجري من العقول ، فكلما صدرت منه سحائب (سلاسل من المعاني) تبعثها سحائب جديدة ، بلا نهاية .
- (٤) القاسم اسم أبي دلف العجل . - للناس الأجواد مذاهب (طرق) مختلفة ومتناقضة أحياناً في بذل المال . - وأبو دلف يبذل ماله في جميع الوجوه وبطرق مختلفة ، حتى لكان مذهبهُ في الجود يفسر جميع المذاهب الأخرى ويوفق بين طرقها المختلفة .
- (٥) اني آمل أن يعطيني أبو دلف (على شعري هذا) ، في وقت قريب جداً ، عطاء كثيراً يجعلني غنياً جداً مما يجعل الناس يأتون الي ويرجون مني أن أعطيهم عطايا كثيرة .

فتح عمورية

خرج توفيل (ثيوفيلوس) امبراطور الروم الى زِبَطْرَةَ ، وهي بلدة وُلد فيها المعتصم ، وقيل : بل ولدت أمه فيها ، وسي من أهلها وارتكب فظائع هائلة على ما نخبرنا المؤرخون . ورووا ان امرأة هاشمية صرخت ، لما وقعت في السبي : وامعتصماه ! فلما اتصل خبر ذلك كله بالمعتصم تجهز أعظم جهاز وقصد عين عيون مدن الروم ، عمورية (منشأ الاسرة الرومية المالكة) الاسرة العمورية^١ التي يتسبب اليها توفيل ، في ٦ رمضان ٢٢٣ (صيف ٧٣٨ م) ، فتركها قاعاً صفصفا . وكان أبو تمام مع المعتصم ، فلما عاد المعتصم الى عاصمته سامراً ، سنة ٢٢٤ أنشده أبو تمام هذه القصيدة :

السيفُ اصدقُ إنباءٍ من الكتبِ ؛ في حدّه الحدّ بين الحدِّ واللّعبِ^٣ .
بيضُ الصفائحِ ، لا سود الصفائحِ في متونهنّ جلاءُ الشكِّ والريبِ^٤ .

(I) Amorian Dynasty .

(٢) راجع الفخري ١٧١ .

(٣) في حد السيف (الحرب) فاصل بين الرصانة والمزل (الحق والباطل) : كان المنجمون في البلاط الرومي قد ذكروا للامبراطور أن العرب لن يستطيعوا فتح عمورية قبل نضج التين والعنب ، على ما تقول النجوم .

(٤) الحديد المصقول (السيوف : الحرب ، القتال) لا الصفحات السود (المكتوبة بالحبر الأسود : الرسائل) تزيل الشك من النفوس في انتصار العرب .

العِلْمُ فِي شُهْبِ الأَرْمَاحِ ، لَامِعَةٌ
 اِبْنُ الرَّوَايَةِ ، بَلْ اِبْنُ النُّجُومِ ، وَمَا
 تَخَرَّصًا ، وَاحَادِيثًا مُلَفَّقَةً ،
 عَجَائِبًا ، زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفِلَةً
 وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مَظْلَمَةٍ
 وَصَيَّرُوا الأَبْرُجَ العُلْيَا مَرْتَبَةً
 يَقْضُونَ بِالأَمْرَعِنَا ، وَهِيَ غَافِلَةٌ :
 لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ
 فَتَحُ الفُتُوحِ ، تَعَالَى اِنْ يُحِيطَ بِهِ
 فَتَحُ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ ؛
 يَا يَوْمَ وَقَعَتِ عَمُورِيَّةٌ انْصَرَفَتْ
 أَبْقِيَّتِ جَدِّي بِنِي الأِسْلَامِ فِي صُعُدِ ،

- (١) المعرفة بانتصار أحد الجيشين على الآخر تأتي من العلم باستعمال الرماح (بالحرب) اذا التقي الجيشان (الجيشان) لا من العلم المزعوم بحركات الشهب السبعة (الكواكب السبعة السيارة) ، أي من فن التنجيم الخرافي .
- (٢) التخرص : الكذب . النبع : شجر تصنع من أغصانه الرماح . والغرب : شجر آخر . ان الذي زعمه منجمو الروم لا أصل له ولا يعتمد عليه (لا هو خشب تصنع منه الرماح ولا خشب يستعمل لأمر آخر) .
- (٣) دهياء : مصيبة . الكوكب الغربي ذو الذنب . قال ابن الاثير (٦ : ١٩٤) : وفيها (في سنة ٢٢٢ هـ (٨٢٧ م) ظهر عن يسار القبلة كوكب له شبه الذنب ، وكان طويلاً جداً فحال الناس ذلك . هذا الكوكب المذنب المعروف باسم مذنب هالي ، وهو يظهر في سداننا مرة كل ٧٦ سنة ؛ وكانت آخر مرة ظهر فيها في الخامس من أيار (مايو) من عام ١٩١٠ .
- (٤) حفل : حافلة ، مزدحمة ، ملوثة . معسولة الحلب : لبنها حلوا الطعم . - رجع الجيش الإسلامي من معركة عمورية منصوراً محققاً أمانيه (شبه الأمانى بضروع الناقة الملوثة باللبن الحلوا الطعم) .
- (٥) دار الشرك : القسطنطينية (عاصمة الامبراطورية الرومية) . في صعد : في ارتفاع (مرور) . في صيب : في انحدار (حزن) .

أم لهم ، لو رجّوا ان تُفتدى جعلوا
 وبرّزه الوجه قد أعيّت رياضتها
 من عهد إسكندر ، او قبل ذلك ؛ قد
 يكرّ فما افترععتها كف حادثة ؛
 حتى اذا مخض الله السنين لها
 أتتهم الكربة السوداء سادرة
 جرى لها النمل برّحا يوم أنقرة
 لما رأت اختها بالأمس قد خربت

فداءها كل أم برة وأب .
 كسرى ، وصدت صلوداً عن أبي كرب
 شابت نواصي الليالي ، وهي لم تشب .
 ولا ترقت اليها همة النوب ٢ .
 مخض البخيلة ، كانت زبدة الخقب ٣ .
 منها ، وكان اسمها فراجة الكرب ٤ .
 اذ غودرت وحشة الساحات والرحب ٥ .
 كان الخراب لها اعدى من الحرب .

(١) البرزة : المرأة الجليظة تبرز للناس تماثلهم . شبه عمورية بالمرأة البرزة التي لم تستطع
 كسرى (يقصد : ملوك الفرس) ولا أبو كرب (بن حسان ملك اليمن ؛ يقصد : ملوك
 اليمن) على كثرة حروب الفرس واليمن وانتصارهم ، أن يسيطروا عليها (وسيطر
 عليها العرب) - لم يقدر على فتح عمورية لا الفرس ولا اليمن (ولا غيرهم) وفتحها
 العرب بسهولة .

(٢) بكر : عذراء . افترع الجارية : دخل بها . - ان الاحداث الكبرى لم تستطع أن تؤثر
 في عمورية ؛ والمصائب الشديدة لم تستطع الرقي الى عمورية .

(٣) مخض اللبن : خضه حتى ينفصل الزبد منه . مخض البخيلة : أي بالفت في الخض حتى لم
 تدع في ماء اللبن شيئاً من الزبدة . كانت زبدة الخقب : اجتمعت فيها (في عمورية) كنوز
 الدهور (ثم جاء المسلمون فظفروا بتلك الكنوز كلها) . والاستعارة في هذا البيت من
 اختراع أبي تمام .

(٤) سادرة : حائرة . و (سادرة) حال ، وصاحب الحال هنا (عمورية) (المعنى :
 وعمورية حائرة متمجبة كيف استطاع المعتصم أن يفتحها) . كان اسمها فراجة الكرب :
 كان الروم اذا خافوا خطراً من شيء احتموا بها لأنهم كانوا قد أعدوها لمثل ذلك ، فجاءهم
 الآن الخطر منها نفسها .

(٥) الفأل : الأمل الحسن . البرح : الشوم والنحس . الساحة والرحبة (بكسر الراء وسكون
 الحاء ، أو بفتح الراء والحاء) : الأرض الواسعة المكنونة . وحشة الساحات والرحب :
 خالية ، مهجورة . يوم أنقرة : يوم معركة أنقرة وفتحها . غودرت : غادرها أهلها ،
 هجرها ، فروا منها . - لما سمع أهل عمورية بتخرب المعتصم لأنقرة أيقنوا أنه سيحل
 ببلدتهم ما حل بأنقرة فهربوا من بلدتهم .

كم بين حيطانها من فارس بطل
بسنة السيف والحطبي من دمه ،
لقد تراكمت ، امير المؤمنين ، بها
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحي
حتى كأن جلايب الدجى رغبت
ضوء من النار ، والظلماء عاكفة ؛
وظلثة من دُخان ، في ضحي شحِب .
فالشمس طالعة من ذا ، وقد أفلت ؛
تصرح الدهر تصریح الغمام لها
عن يوم هيجاء منها طاهر جنب : ٨ .

- (١) قان : شديد الحرارة . آن : حار . سرب : سائل جار . كثر فيها الفوارس القتل من الروم ، وكثرت الدماء حتى بلت ذوائب الفرسان (وكان الفرسان يرخون ذوائبهم) .
(٢) عل ان هذا القتل الذريع في الروم لم يكن بالقانون الاسلامي (لاختلاف الدين بين المتحاربين) بل بالقانون الطبيعي : قانون السيف والرمح (لأن الروم اعتدوا على بلد اسلامي) .
(٣) نقد كثرت النار التي أوقدها العرب لاحتراق البلد واشتدت تلك النار حتى احترقت الصخور فيها بعد أن احترق الخشب .
(٤) يشله : يطرده . - كان ضوء النار يبدد ظلام الليل في عمورية المحترقة حتى كأن الصبح كان يطلع فيها في ذلك الحين .
(٥) جلايب جمع جلاب : ثوب . رغب عن الشيء : تركه ، كرهه . - كأن السواد لم يبق لونها لليل .
(٦) عاكفة : نازله ، دائمة (الوقت ليل) . شحِب : متغير اللون ، قليل اللون (يخالطه بياض أو صفرة) .
(٧) أفلت : غربت . واجبة : غاربة . - ان اشتعال النار في الليل يوهنا أن الشمس طالعة ، وان كثرة الدخان في النهار توهنا أن الشمس غائبة .
(٨) بوغنت عمورية بالحراب ، كما ينشق النيم عن صفحة السماء (فجأة) . يوم هيجاء : حرب . طاهر لأن المسلمين خرجوا غازين في سبيل الله ، فالقتال في عمورية كان حلالاً لأنه رد على اعتداء الروم عليهم . جنب : لأن الدم سال فيه . والشراح يفسرون « جنباً » على الحقيقة فيقولون : ان المسلمين أسروا نساء وتعشوهن .

- لم تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَلِكَ عَلَى
 - مَا رُبِعُ مَيَّةَ ، مَعْمُوراً يُطِيفُ بِهِ
 - وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أُدْمِينَا ، مِنْ خَجَلٍ ،
 - سَمَاجَةً غَنِيَتْ مِنْهَا الْعَيُونَ بِهَا ،
 - وَحُسْنٌ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ
 - لَوْ يَعْلَمُ الْكُفْرُكُمْ مِنْ أَعْصِرِ كَمَنْتُ
 - تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ ، مُنْتَقِمٍ
 - وَمُطْعَمِ النَّصْرِ لَمْ تَكُنْهُمْ أَسِنَّةُ
 - لَمْ يَغْزِ قَوْمًا ، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ ،
- بان بأهلٍ ، ولم تغربُ على عزبٍ ١ .
 غيلانٌ ، أبهى ربي من ربها الحرب ٢ .
 اشهى إلى ناظري من خدّها التّرب ٣ .
 عن كلّ حُسنٍ بدا أو منظر عَجَبٍ .
 جاءت بِشَاشَتُهُ مِنْ سُوءِ مُنْقَلَبٍ ٤ .
 لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ ٥ .
 اللَّهُ ، مُرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ ، مُرْتَغِبٍ ٥ .
 يَوْمًا ، وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبٍ ٦ .
 إِلَّا تَقَدَّمَ جَيْشٌ مِنَ الرَّعْبِ ٧ .

- (١) بان : متزوج . الأهل : الزوجة . العزب : من لم يتزوج بعد . - لما دخل المسلمون
 المعركة (مع طلوع الشمس) لم يكن فيهم أحد متزوجاً ، ولما انتهوا من المعركة (قبل غروب
 الشمس) لم يكن قد بقي أحد منهم بلا زوجة (كناية عن كثرة السبي من النساء خاصة) .
 (٢) غيلان بن عقبة الشاعر المعروف بنى الرمة شغف بيمين بنت طلحة وظل يهيم في ديارها أملاً
 في رؤيتها عشرين سنة . - ما كان منزل مية ، ومية فيه ، أحب إلى غيلان من عمورية
 الخريبة (بعد تلك الحرب) في نظر المسلمين .
 (٣) كانت نتيجة المعركة ظفراً للمسلمين وسروراً لهم ، سرور المسلمين جاء من انهزام الروم ونكبتهم .
 (٤) السمر : الرماح . القضب جميع قضيب : السيف . - ان العرب كانوا قد صبروا طويلاً على
 اعتداءات الروم .
 (٥) ان الخليفة المعتصم معتصم بالله (متكل في ما يعمل على الله) ، منتقم لله (قد غزا الروم
 لأنهم تكفوا عهد الله بالسلام) ، مرتقب في الله (يعمل كل ما يعمل وهو حريص على ألا يخالف
 أوامر الله في شيء) ، مرتغب : راغب (في هذه الحرب) في ما يرضي الله وفي ما يقربه
 إلى الله .
 (٦) النصل السيف . كههم : كل فلم يقطع . - قاتل بسيفه كثيراً وقتل كثيرين ، ولم يكمل سيفه
 ولا استطاع أحد أن يستتر عنه فلا يقتل .
 (٧) يدخل الرعب من المعتصم على الاعداء قبل أن يصل المعتصم إليهم . في هذا البيت نظر إلى
 الحديث الشريف : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد ... ونصرت بالرعب مسيرة شهر (أو
 ما معناه) .

لؤلؤ لم يقُدْ جمعُ حفلاً يوم الوغى ؛ لغدا -
رمى بك الله بُرْجِيئِهَا فهدمها ؛
من بعد ما أشبوهها ، واثقين بها ؛
وقال ذو امرهم : « لا مرتعٌ صدَدٌ »
امانيا سلبتهم نُجْحَ هاجِسِهَا
ان الحمامين : من بيض ومن سمر
لبيت صوتاً زِبْطَرِيّاً هَرَقَتْ له
عداك حرّ الثغور المُستَضَامَةِ عن

من نفسه وحدّها - في جحفلٍ بَلْبِ ١ .
ولو رمى بك غيرُ الله لم تُصَبْ ٢ .
والله فَتَاحُ بابِ المَعْقِلِ الأشيبِ ٣ .
للسارحين ، وليس الوردُ مَنْ كَثَّبَ ٤ .
ظُبي السيفِ واطرافُ القَنَا السَلْبِ ٥ .
دَلُّوا الحياتين : من ماء ومن عُشبِ ٦ .
كأسُ الكرى وِرْضَابِ الخُردِ العُربِ ٧ .
بَرْدِ الثغورِ ، وعن سلسالها الحَصْبِ ٨ .

- (١) الجحفل : الجيش العظيم . اللجب : الصخب الكثير الأصوات (لكثرة الرجال والخيل فيه) .
(٢) ان الله سخر ك تهديمها فاستطعت تهديمها ، ولو أنك أردت من غزو عمورية عرضاً من
أعراض الدنيا أو انتقاماً من عند نفسك لما استطعت ذلك ؛ راجع الآية الكريمة : « وما
رمى إذ رميت ، ولكن الله رمى (١٧ : ٨ سورة الانفال) .
(٣) أشب البلد : بالغ في تحصينها . واثقين بها : مطمئنين الى أنها لا تفتح . وهذا صحيح ،
ولكن في هذه المرة لم يفتحها انسان مثلهم ولكن الله هو الذي أراد فتحها على يد المعتصم .
(٤) ذو أمرهم : رئيسهم . لا مرتع صدَد : لا عشب قريب (لخيلهم) . وليس الورد
(استقاء الماء) من كَثَب (في مكان قريب) .
(٥) الهاجس : الفكر الذي يدور في النفس . الظبي جمع ظبية (بضم الظاء وفتح الباء) : حد
السيف . طرف القنّاة : فصل الرمح . السلب جمع سلب (بفتح السين وكسر اللام) :
الطويل ، أو جمع سلوب : يلبس الناس أموالهم وأرواحهم . - ان ظفر المسلمين في القتال
أفسد على الروم أموالهم وأمانتهم .
(٦) ان الحمامين (الموتين ، القاتلين) من بيض (سيوف) ومن سمر (رماح) هما الدلوان
(الوصيلتان) للحياتين (سببا الحياة) من الماء والعشب .
(٧) لبيت صوتاً زِبْطَرِيّاً (راجع مقدمة القصيدة) . هرق : سكب (نخل عن) . الكرى :
النوم . الرضاب : الريق . الخرد : جمع خريفة : المرأة الجميلة . العرب جمع عريب
(بفتح العين) : المرأة المتحبة الى زوجها . - تركت راحتك ونعيمك في سبيل نصرة
المظلومين .
(٨) عداك : تعدى بك ، تجاوزت ، تركت . الثغور الاولى : البلدان التي يخشى منها مجيء
العدو ؛ حر الثغور : الحرب . المستضامة : المهضومة الحق ، المظلومة . الثغور الثانية =

اجبته معلناً بالسيف ، منصلاً ،
حتى تركت عمود الشرك منقيراً ،
لما رأى الحرب رأي العين توفيليس .
غدا يصرفُ بالأموالِ جريتها ؛
هيهات ! زعزعت الأرضُ الوقورُ به
لم ينفقِ الذهبَ المرّبي بكثرة
ان الأسود ، اسود الغاب ، همتها
ولى وقد أنجم الخطيئُ منطِقَه

ولو اجبستَ بغيرِ السيفِ لم تُجيب
ولم تعرجِ على الأوتادِ والطنبِ
والحربِ مشتقةُ المعنى من الحربِ
فعرّه البحرُ ذو التيارِ والحَدَبِ
عن غزو مُحْتَسِبٍ لا غزوٍ مكتسبِ
على الحصى ، وبه فقرُ الى الذهبِ
يوم الكريهة في المسلوبِ لا السلبِ
بسكنةٍ خلفها الاحشاءُ في صحبِ

= جمع ثغر الذي هو فم الانسان . برد الثفور : ريق الثفور البارد (كناية عن النعيم مع النساء) . السلال الحصب : الماء الصافي الذي يكون في المجاري الصخرية التي يكثر فيها . الحصى (كناية أيضاً عن اللهو مع النساء) .

(١) منصلنا : مجرداً من غمده (للقتال) . لو لم تحارب لما أخذت بحق أهل زبطرة .
(٢) عمود الشرك : قاعدة الروم في آسية الصغرى (عمورية) . - منعقر : مهدم . لم تعرج : لم تمل الى (لم تحفل) . الاوتاد والطنب : قطع صغيرة من الخشب تشد بها أطراف الخيمة الى الأرض (كناية عن القرى التي كانت حول عمورية) .

(٣) الحرب (بفتح الحاء والراء) : السلب .
(٤) جريتها : مجراها (مجرى الحرب) بطلب الصلح . عزه : غلبه . البحر (كناية عن جيش العرب الكبير) . ذو التيار : المتدافع المتوالي . الحدب : ذو الأمواج العالية (كان هجوم العرب وانتصارهم سريعين جداً حتى أنهما لم يتركا مجالاً أمام ثيوفيلوس يطلب فيه الصلح) . ذكر فنلاي (ص ١٤٧) أن ثيوفيلوس عرض على المعتصم ٢٤٠٠ ليبرة من الذهب (نحو ١١٠٠ كيلو) .

(٥) هيهات : ما أبعد ذلك ! زعزعت الأرض الوقور به : ان الأرض الثقيلة الثابتة قد ارتجت بعنف تحت أقدام ثيوفيلوس لأن غزو المعتصم لبلاد الروم كان احتساباً في سبيل الله لا تكسباً للمال .

(٦) لو كان محتاجاً الى المال لما أنفق في سبيل هذه الغزوة مالا أكثر عدداً من حجارة بلاد الروم .
(٧) ان أسود الحرب (الابطال الحقيقيين) يقصدون قتل الابطال من أعدائهم لا سبي المتاع .
(٨) ولى : هرب . أجم الخطيئ منطقة : أصبحت الرماح بلحماً في فمه (منعتة الهزيمة من الحق في الكلام) . تحبها الاحشاء في صحب : كان قلبه مضطرباً بكلام يريد أن يقوله فلا يستطيع

أَحَذَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضَى
 مَوْكَلًا بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ
 أَنْ يَتَعَدَّ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ
 تَسْعُونَ الْفَأْ كَأَسَادِ الشَّرَى تَضَجَّتْ
 يَارُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتَثَّتْ دَابِرُهُمْ
 وَمُغْضَبٌ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
 وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقٍ لَتَجِيجُ
 كَمْ نَيْلٍ تَحْتَ سَنَاهَا ، مِنْ سِنَى قَمَرٍ ؛

بَحْتَتْ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْمَرْبِ ١ ،
 مِنْ خِيفَةِ الْخُوفِ لَا مِنْ خِيفَةِ الطَّرْبِ ٢ .
 أَوْسَعَتْ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطْبِ ٣ .
 جَلُودَهُمْ قَبْلَ نُضْجِ الثَّيْنِ وَالْعَنْبِ ٤ .
 طَابَتْ ، وَلَوْ ضُمَّخَتْ بِالْمَسْكِ لَمْ تَطِيبْ ٥ .
 حَتَّى الرُّضَى مِنْ رَدَاهُمْ مَيَّتَ الْغَضْبِ ٦ .
 تَجْتَوِ الْكُمَاةُ بِهِ ، صُغْرًا ، عَلَى الرَّكْبِ ٧ .
 وَتَحْتَ عَارِضِهَا ، مِنْ عَارِضِ شَنْبِ ٨ .

- (١) ترك خاصته الإبطال المقربين إليه للموت ثم ركب أسرع خيوله ليهرب عليه .
 (٢) موكلا بيفاع الأرض ؛ كأنه وكيل على يفاع (مرتفعات) الأرض يقفز من واحد إلى واحد منها (في أثناء هربه) ، ثم يشرفه (يعلو على اليفاع = المرتفع من الأرض) ليرى هل يتبعه أحد . ان الخوف قد جعله سريعاً في ركضه لا الفرح والمرح .
 (٣) عدا يعدو عدواً ؛ ركض يركض ركضاً . الظليم : ذكر النعام (وهو معروف بسرعة الجري) ان ثيوفيلوس معذور في هربه من ميدان المعركة بهذه السرعة لأنك أكثر (أيها الخليفة المعتصم) النار فيها (أثرت عليه حرباً شديدة لا قبل له باحتمالها) .
 (٤) تسعون ألفاً من الروم كأسود الشرى (الجبال) المعروفة ببأسها . فضجت جلودهم : ماتوا حرقاً في عمورية . راجع قوله تعالى « كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ... » قبل نضج الثين والعنب ؛ قبل الصيف (الوقت الذي حدده منجمو امبرطور الروم وكهنته لامكان فتح عمورية) . عظم أبو تمام شأن الروم حتى يبين مدى شجاعة المرء . وقد ذكر فنلاي (ص ١٤٧) أن القتل الروم كانوا ثلاثين ألفاً سوى الاسرى .
 (٥) الحوباء : النفس . لما اجتث دابرهم : لما قتل المحاربون الروم عن بكرة أبيهم . طابت : سرت . ضمخت بالطيب : طليت بمادة زكية الرائحة . - كم من نفس قد سر صاحبها بهلاك هؤلاء الاعداء من الروم أكثر مما كانت تسر لو أن صاحبها دهن نفسه بالطيب .
 (٦) غضب المعتصم لما بلغت إليه استغاثة الهاشمية وما نال المسلمين في زبطرة (راجع مقدمة القصيدة) ، فلما قتل أولئك المعتدين عاد إليه رضاه وذهب غضبه .
 (٧) مازق بلج : مكان ضيق (بمساحته وبازدحام المتقاتلين فيه) . جثا : ركع (على ركبتيه) صغراً : مائلين بأجسامهم إلى الامام (من شدة القتال) . الكماة جمع كمي : البطل .
 (٨) سناها : سنى الحرب (نيرانها) . سنى قمر : جمال امرأة (امرأة جميلة) . عارضها : عارض =

كم كان، في قطع اسباب الرقاب بها، الى المخدرة العذراء من سبب
 كم احرزت قصب الهندي، مُصلته تَهز، من قُصْب تَهز في كُثْب
 بيض اذا انقضيت من حُجبهارجعت احق بالبيض، ابدانا، من الحجب .

• • •

خليفة الله، جازى الله سعيك عن جُرثومه الدين والاسلام والحسب .
 بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تُنالُ إلا على جسر من التعب .
 ان كان بين صروف الدهر من رحيم موصولة، او ذمام غير منقضب .

= الحرب (اشتدادها . شبه اشتداد الحرب بالعارض من المطر المتلاحق) . عارض شنب :
 ناب أو ضرر من بارد الريق (كناية عن المرأة الجميلة) . - أسر العرب في تلك الحرب عدد
 كبيراً من الروميات الجميلات .

(١) أسباب الرقاب : عروق الرقبة . المخدرة العذراء : المرأة المصونة البكر . سبب : وسيلة .
 لم يكن الوصول الى تلك النساء الروميات ممكناً الا بقتل الابطال اليونانيين الذين اعتدوا على
 زبطرة التي كانت في حكم العرب .

(٢) انقضب جمع قضيب : السيف الرقيق . الهندي : صنع الهند . مصلته : مجردة من اغمادها .
 تَهز : يلوح بها المجاهدون العرب . قصب هنا جمع قضيب : الفصن المستقيم من الشجر
 (كناية عن المرأة ذات القوام الطويل الجميل) . تَهز : تتأيل من الجمال والدلال . الكشب
 جمع كثيب وهو الرمل الملتف (كناية عن المرأة الفخمة الجسم) . - سبت سيوف العرب
 نساء جميلات (من الروم) .

(٣) بيض الاولى جمع أبيض : سيف . حجبها الاولى جمع حجاب : غمد السيف . انتضيت
 (السيوف) : سلت (أخرجت من اغمادها) . البيض الثانية بيضاء جمع : المرأة الجميلة .
 الحجب الثانية جمع حجاب : ستر المرأة (بيتها) . - ان السيوف التي انتصرت في موقعة
 عمورية أصبحت أحق بالنساء الروميات من بيوت الروميات (أصبح العرب أحق بنساء
 الروم من الروم أنفسهم) .

(٤) الجرثومة الاصل . الحسب : العمل الجميل الكريم .

(٥) صروف الدهر : أحداثه الكبرى . رحم : قرابة . ذمام : عهد . منقضب : منقطع .

فبين أيامك اللاتي نُصرتَ بها وبين أيام بدرٍ اقربُ النسبِ
أبقتَ بني الاصفرِ المُصفرَ كاسمِهِمُ صُفراً الوجوهِ ، وجلتَ أوجهَ العربِ

(١) أيامك اللاتي نصرت بها (معركة عمورية) . بدر : معركة بدر (رمضان سنة ٥٢ = ٦٢٤ م)
أول معارك الاسلام ضد المشركين والتي فتحت باب النصر أمام المسلمين .
(٢) بنو الاصفر : الروم . المصفر : المعتل ، المريض . كاسمهم : كاسم أبيهم ، كأبيهم .
صفر الوجوه : معتلين (مرضى على الحقيقة) مثل أبيهم الذي اكتسب اسمه من لون وجهه .
جلت : بيضت ، كرمت . - هذه الموقعة (موقعة عمورية) جعلت أوجه الروم تصفر
(تسود) وأوجه العرب تبيض . هذا البيت معقد وقاصر في التعبير قليلا ، ويمكن أن
يقرأ هكذا :

أبقت بني الاصفر المصفر ، كاسمهم صفر الوجوه ، وجلت أوجه العرب .
ثم ان كلمة «أوجه» يمكن أن تكون منصوبة بالفعل «جلت» (وفاعل الفاعل ضمير مستتر يرجع
الى معركة عمورية) ، ويمكن أن تكون مرفوعة على الاستئناف : جلّت أوجه العرب !

المصادر والمراجع

- أبو تمام ، تأليف جميل سلطان ، دمشق ١٩٥٠ .
أبو تمام الطائي : حياته وحياته شعره ، تأليف نجيب محمد البهيبي ، القاهرة ١٩٤٥ .
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ، ليدن ١٨٧٧ م .
أخبار أبي تمام للصولي ، نشره وحققه وعلق عليه خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزام ونظير الاسلام الهندي ، القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
أخبار البحري للصولي ، حققها وعلق عليها صالح الاشر (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ، دمشق ١٩٥٨ .
الأدب العربي في آثار الدارسين ، اشرفت على اخراجه هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت ١٩٦١ .
الأدب في ظل التشيع : تأليف عبدالله نعمة ، صيداء ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .
أسرار البلاغة لابي بكر عبدالقادر الجرجاني (تحقيق هـ . ريتز) ، استانبول ١٩٥٤ .

الاسود = شرح ابي تمام بشرح ملحم الاسود .

أعيان الشيعة (الجزء ١٩ : أبو تمام) ، تأليف محسن الأمين ، دمشق

(١) طال الزمن على هذه الدراسة في التنقيح والاعداد للطبع . ويبدو اني في بعض الأحيان قد رجعت الى مصدر في طبعين مختلفتين . ولقد اشرت الى ذلك في مواضعه . ولكن يمكن ان أكون قد سهوت عن مثل هذه الإشارة هداً من المرات .

١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

الاعاني (بولاق)

أمراء دمشق في الاسلام لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ،
(مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ، دمشق ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
أمراء الشعر العربي ، تأليف أنيس المقدسي ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٣٦ م
بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام ، شرح ملحم الاسود ، الجزء الأول ،
بيروت ١٩٣٨ .

ت = ديوان ابي تمام بشرح التبريزي .

تاج العروس

تاريخ آداب اللغة العربية ، تأليف جرجي زيدان ، طبعة جديدة ، القاهرة
١٩٥٧ .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ليدن) .
تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، تأليف أبي الوليد عبدالله بن محمد بن
يوسف الازدي المعروف بأبن الفرضي ، مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
تاريخ الكامل لابن الاثير ، مصر ، المطبعة الازهرية ، ١٣٠١ هـ .
التحف والهدايا لأبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدين ، مصر
١٩٥٦ م .

تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر .

حركة التأليف عند العرب ، تأليف الدكتور أمجد الطرابلسي ، الجزء الأول ،
دمشق ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

خزانة الأدب لعبدالقادر البغدادي ، مصر ١٣٤٧ هـ .

دراسة في حماسة ابي تمام ، تأليف علي النجدي ناصف ، القاهرة ١٩٥٥ م .
دراسات فنية في الأدب العربي ، تأليف الدكتور عبدالكريم اليافي ، دمشق

١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

- ديوان أبي نواس ، المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨ م .
- ديوان أبي تمام ، بيروت المطبعة الأدبية ١٨٨٩ م .
- ديوان أبي تمام ، بيروت (شرح محيي الدين الخياط) ١٣٢٣ هـ .
- ديوان أبي تمام (نشره أحمد عثمان عبدالمجيد) القاهرة ١٩٤١ .
- ديوان أبي تمام (مطبعة صبيح) القاهرة ١٩٤٢ م .
- ديوان أبي تمام (مطبعة حجازي) القاهرة ١٩٤٢ م .
- ديوان الرصافي ، الطبعة الرابعة ، مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .
- ديوان علي بن الجهم (غني بتحقيقه خليل مردم) ، نشره المجمع العلمي العربي بدمشق ، دمشق ١٩٤٩ .
- ديوان مسلم بن الوليد الشهير بصريع الغواني (استخرجه دهخويه ، ليدن ١٨٧٥ م .
- ديوان المعاني لابني هلال العسكري ، القاهرة ١٩٥٢
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (تحقيق محمد عبده عزّام) ، ظهر منه ثلاثة أجزاء ، القاهرة ١٩٥١ م - ١٩٥٧ م .
- الثناء بين أبي تمام والبحري والمنتبي ، تأليف أدبية فارس ، الاسكندرية ١٩٣٢ م .
- الزهرة - النصف الأول من كتاب الزهرة ، تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان الاصفهاني ، اعتنى بنشره لأول مرة لويس نيكل البوهيمي و ابراهيم طوقان ، بيروت ١٩٣٢ م - ١٣٥١ هـ .
- س = ديوان أبي تمام شرح ملحم الاسود .
- سر الفصاحة ، تأليف الأمير أبي محمد عبدالله بن سنان الخفاجي الحلبي .
- شرح العيون لابن نباتة مكتبة صبيح ، القاهرة
- شرح ديوان اشعار الحماسة التي اختارها من اشعار العرب أبو تمام ، بولاق ١٢٩٦ هـ .
- شرح ديوان الحماسة ، بون ١٨٢٢ .

شرح ديوان الحماسة (لأبي تمام . والشرح) لأبي عليّ أحمد بن محمد
المرزوقي (نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون) القاهرة ١٩٥١ م -
١٩٥٣ م .

شعراء الشام في القرن الثالث . تأليف خليل مردم ، دمشق ١٣٤٣ هـ -
١٩٢٥ م .

شعراء النصرانية بعد الاسلام ، تأليف الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩٢٤ -
١٩٢٧ م .

الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، تأليف أحمد عبدالستار
الجواري ، بيروت ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

الصبح المنبي عن حيثية المنبي ، تأليف يوسف البديعي ، دمشق ١٣٥٠ هـ .
الصناعتين : كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، الاستانة ١٣١٩ هـ .

عبقريّة أبي تمام ، تأليف عبدالعزيز سيد الاهل ، بيروت ١٩٥٣ م .
العمدة في صناعة الشعر ونقده لأبي عليّ الحسن بن رشيق القيرواني ، مصر ،
مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م .

الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية لمحمد بن علي بن طباطبا
(ابن الطقطقي) ، مصر ، المطبعة الرحمانية .

الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، تأليف الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ،
بيروت ١٩٥٦ م .

فنلاي = Finlay .

الفهرست لمحمد بن اسحق النديم ، ليزغ ١٨٧١ - ١٨٧٢ م . ومصر
(المطبعة الرحمانية) ١٣٤٨ هـ .

القاموس - القاموس المحيط للفيروزابادي ، مصر ، المطبعة الحسينية
المصرية ، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٣ م .

قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، لأبي عليّ الحسن بن رشيق الأزدي

كنوز الاجداد ، تأليف محمد كرد علي (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) . دمشق ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م .

الكلام في شعر البحري وأبي تمام ، تأليف محمد ظاهر الجبلاوي ، القاهرة ١٩٤٨ م .

ليال خمس مع أبي تمام ، تأليف محمد عبده عزّام ، القاهرة ١٩٤٨ م .
المثل السائر

مجلة الكلية (بيروت) المجلد الخامس ١٩١٤ م . - سلسلة مقالات للاستاذ جبر ضومط .

مختارات البارودي (من الشعر العباسي) لمحمد سامي البارودي ، بيروت ١٣٢٧ - ١٣٢٩ هـ .

مروج الذهب

معجم الادباء - ارشاد الاريب الى معرفة الاديب (أو طبقات الادباء) ، لياقوت الحموي ، مصر (الطبعة الأولى) ، مطبعة هندية .

معجم البلدان لياقوت الحموي ، ليزنغ ١٨٨٦ - ١٨٧٣ م ، مصر ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م .

مقدمة ابن خلدون ، بيروت ١٩٠٠ م .

مقدمة لدراسة النقد في الادب العربي ، وهي محاضرات ألقاها بدعوة من كلية المعقول والمنقول في جامعة طهران الاستاذ أنيس المقدسي (منشورات جامعة طهران ، رقم ٤٤٠) ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٥٨ م - ١٣٣٦ فارسي - ١٣٧٣ هـ .

الموازنة بين أبي تمام والبحري لأبي القاسم بن بشر الأمدي ، الاستانة ١٢٨٧ .

نزهة الالباء في طبقات الأدباء لعبد الرحمن بن محمد الانباري ، مصر ١٢٩٤ .

الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ، القاهرة ١٩٤٣ م .

هبة الايام فيما يتعلق بأبي تمام ليوسف البديعي ، القاهرة ١٩٤٥ م .
همزيات أبي تمام (تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون) ، القاهرة
١٩٤٢ م .

الوساطة بين المتنبي وخصومه للناضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، الطبعة
الأولى (دار احياء الكتب العربية) ، القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
وفيات الاعيان لابن خلكان ، بولاق ١٢٩٩ م .

Absan at - Taqàsîn ... , par Al - Mudaddisî ... Traduction partielle ,
annotée par André Miquel (Institut Français de Damas) , Damas
1963 .

La critique poétique des arabes , par Dr, Amjad Trabulsi , Damas
1956 .

Encyclopaedia of Islam (New edition) I 153 - 155 .

GAL = Geschichte der arabischen Litteratur , von Carl Brockelmann,
Bd. I, Leid en 1943 .

GAL , Suppl . = Supplementband zu GAL I , Leiden 1937 ,

Histoire de la Litterature arabe , par C. Huart , Paris 1902 .

History of the Byzantine Empire , By George Finlay (Everyman's
Library) .

JRAS , 1905 , pp. 763 - 782 .

A Literary History of the Arabs , by R. A. Nicholson , London 1930.

فهرست أبجدي لأعلام الاشخاص

مع عدد من أسماء الجماعات

ح - في الحاشية

م - مكرر في المتن أو في الحاشية أو فيهما معاً .

٢

آل حميد - بنو حميد

آل أبي عبد الكريم

آل طوق ١٢٠، ١٢٢، ١٣١.

آل عبد الكريم ١٢٢ .

آل عبد الكريم الطائي ٣٨ .

آل مصعب ١٥١ م .

آل وهب ١٢٢ .

الأمدي ٥٤-٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٠ م، ٦٧.

٦٨، ٨٠، ٨١ م، ٨٤، ٨٦ م

٩٧، ٩٩، ١٠٠-١٠١، ١١٠

. ١٣٩

ابن الاثير ٦٣، ١٢٧، ١٧٤.

ابن الاعرابي ١٠٠ .

ابن بسام = نصر بن منصور بن بسام

ابن جني ١٠٧ .

ابن خازم = خزيمه بن خازم

ابن خلكان ٢٣، ٢٦، ٣٦، ١٠٩ ح .

ابن رشيق ٣٦، ٥٣-٥٤، ٥٥، ٦٠ م،

٦٢-٦٣، ٦٤، ٦٩، ٧٨ م، ٨٠

. ١٢٩، ١٤٠

ابن رغبان = ديك الجن .

ابن الرومي ١٨، ٦٣ م، ٩١، ١١٢ .

ابن الزيات = محمد بن عبد الملك الزيات

ابو سعيد خالد بن هاشم = الخالديان

ابن سيني ١٦ .

ابن شبابة، شبانة = محمد بن الهيثم بن شبابة

ابراهيم بن مالك النخعي ٨٣ ح .

- ابن الشجري ١٠٨ .
- ابن عساكر ٢٣ .
- ابن فارس = أحمد بن فارس
- ابن الفارض ١١٢، ٥٦ .
- ابن هبة = عياش بن هبة
- ابن المدبر - ابراهيم ١٠٠ م .
- ابن المدبر - أحمد ١٠٣ .
- ابن المستوفى الأربلي ١١١ .
- ابن المعتدل ١٠٢ .
- ابن مهرويه ١٠٢ م .
- ابن النديم ١٠١، ١٠٣، ١١٢، ١١٣ م .
- ابن هرمة ١٠٧ .
- ابو البركات المبارك بن أحمد = ابن المستوفى .
- أبو بكر بن داوود الأصفهاني ١١٣ - ١١٤ .
- أبو بكر عثمان بن هاشم = الخالديان .
- أبو تمام
- أبو الحجاج بن محمد = البياسي
- أبو دلف العجلي ٣١-٣٢، ٦٧، ١١٦، ١١٩، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٠ م .
- ١٦٦-١٧٢ .
- أبو زيد (كاتب عبيد الله بن طاهر) ١٢١
- أبو السعادات هبة الله = ابن الشجري
- أبو سعيد الثغري ٣١ م، ٣٢ م، ٥٢، ٦٦ م،
- ١١٨-١١٧، ١١٦، ٧٦، ٧٥
- ١٥٧، ١٣٠، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٢
- ١٦٥ -
- أبو ضياء النصيبي = النصيبي
- أبو الطيب (ابن عم ديك الجن) ٢٦ م
- أبو الطيب = المتني
- أبو العباس نصر بن منصور = نصر بن بن بام
- أبو العباس أحمد بن عبدالله = القطريلي
- أبو عبد الرحمن يحيى بن اسماعيل = يحيى بن اسماعيل .
- أبو العتاهية ٤٧، ١٠٥ .
- أبو العلاء = المعري
- أبو علي (ابن أبي تمام) ٣٧ م، راجع ١٢٥ .
- أبو فراس ٩١، ٩٨ م .
- أبو الفرج الأصفهاني ٢١-٢٢، ٤٦، ٦٣، ٦٧، ٦٩، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٩٩، ١٠١-١٠٢ .
- أبو القاسم الآمدي = الآمدي
- أبو كرب بن حسان ١٧٥ م .
- أبو المغيث الرافقي ٣٣ م، ١٢٠ م، ١٢٢، ١٣١ م .
- أبو مكثف المزني ٧٠-٧٢ .
- أبو نصر محمد بن حميد = محمد بن

حميد الطوسي

ابو نسهل بن حميد الطوسي ٣٥ .

ابو نواس ١٥، ١٩، ٢٦، ٣٨، ٩٣ م .

٤٠، ٤٣ م، ٤٧، ٦٢، ٦٩، ٨١ م

٩١، ٩٦ م، ٩٧ ح، ٩٩، ١١٢ ،

١٢٠ ح، ١٢٩، ١٤٢ .

ابو هلال العسكري ٧٨، ١٠٧، ١٠٨ .

ابو الوفاء بن سلمة ١٠٤ م .

ابو يزيد (والد خالد بن يزيد الشيباني)

١١٧ م .

أحمد بن أبي دؤاد ٣٢، ٤٥ ح، ٦١ م،

١٢٢، ١٢٣، ١٣٠ .

أحمد شوقي ١٦، ٤٩ .

أحمد بن عبد الكريم الطائي ١٢٢ .

أحمد بن عبيد الله = القطريلي

أحمد بن فارس ١٠٨ .

أحمد بن المعتصم ١٢٢ .

أحمد بن يحيى = البلاذري

الأنطال ٩٨، ١٠٥ .

اسحق بن ربيعي ١٢٨ .

اسحق بن إبراهيم المصعب ٧٥، ١٢٢ ،

١٣١ .

اسكندر ١٧٥ م .

الأسود (الدكتور ملحم) ١١٢، ١٢٧ م،

١٣٣ ح .

الاشتر النخعي : راجع ٨٣ ح .

الاشتران : راجع ٨٣ ح .

الاصفهاني = أبو الفرج الاصفهاني

الاصفهاني = علي بن حمزة الاصفهاني

الاصفهاني = أبو بكر بن داود الاصفهاني

الأعلم الشتمري ١٠٨ م .

الأفشين ٣١ م، ٣٢، ٥٠، ٥١، ٥٦، ١١٨

١٢٢، ١٥٩، ١٦٠ ح، ١٧٠

١٧١ -

أقليدس ١١ م .

الآله ٧٦ .

أم المعتصم ٥١، ١٧٣، ١٧٥ م، ١٨٠ .

أمرؤ القيس ٥٦، ٨٨، ٩٨ .

أمين - أحمد ١٠٦ ح .

الأمين - محسن ٣٣، ٤١، ٤٣، ١٠٣ -

١٠٤، ١٠٦، ١٠٧ م، ١٣٩ .

الأنباري ٢٣، ٣٦، ٨٤ .

أوس (والد أبي تمام) ٢٥ (راجع

ندوس) .

أوس بن حجر ٦٩ .

أيوب بن سليمان بن عبد الملك ٤٥ ح .

ب

بابك الحرمي ٣١ م، ٥٠ م، ٥١ م، ٥٦ م،

٧٥، ٧٦، ١١٦، ١١٧، ١١٨ ،

- ١٤٥م، ١٥١م، ١٥٨م، ١٥٩ح،
 ١٦٠-١٦٤، ١٧٠-١٧١ .
 البحري ٢٢، ٣٣-٣٤، ٣٥، ٥٨، ٥٥م،
 ٦٨م، ٨٤م، ٨٥م، ٨٦م الطائيان
 ١٠٠م، ١٠٣م، ١٠٨م، ١٠٩م،
 ١١٢ .

ت

- تأبط شرآ ١٠٥
 التبريزي ٦٢، ٧٠، ١٠٦، ١١٠-١١١
 تمام الشاعر هو ابو تمام ٣٥ .
 تمام (بن ابي تمام) ٢٣ ، ٣٧ .
 تميم ١٧٠ م .
 توفيل بن ميخائيل ٥٠-٥١ = توفلس
 ١٧٣، ١٧٩، ١٨٠ .

ث

- ثادوس = ثدوس
 ثدوس العطار ٢٢م ، ٢٤ .
 ثديوس ٢٢ ح (= ثدوس)
 ثعلب - ابو العباس ٦٤ ح .
 ثيو = ثيودوسيوس ٢٢ ح .
 ثيودوسيوس = ثدوس
 ثيوفيلوس : توفيل بن ميخائيل

ج

- الجاحظ ٦٠ .
 الجبار (الله) ٧٦ .

- بدر (بن يزيد بن الحكم) ١٠٥ .
 البرامكة ٩١، ١١٤ .
 بروكمن ٨٥ م .
 بشار ٢٦، ٣٩، ٤٧، ٦٢، ٩١ .
 بشر بن المعتز ١٠٣ .
 بكر بن النطاح ١٠٥ .
 البلاذري ١٠٣ .
 بلحارث = بنو الحارث
 بلعبر = بنو العنبر
 بلهجيم = بنو الهجيم
 بنو الاصفر ١٨٢ م .
 بنو الحارث ٨٩ ح .
 بنو الحصن ١٦٩ م .
 بنو حميد ٧٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥-
 ١٢٧، ١٢٨ م .
 بنو خشين ٦٥ م .
 بنو صالح ١٥٧ .
 بنو العنبر ٧٩ ح .
 بنو القعقاع ٧١ .
 بنو لجيم = لجيم

الخرجاني ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢،

٦٦، ٧٨، ٨٠-٨١، ٨٢،

٩٢، ١٤٢.

جرير ٥٦، ٩٨.

جشم بن بكر ١٢١.

جعفر الخياط ٣٢، ١٢٢، ١٢٧-١٢٨.

جعفر بن دينار الطائي ٣١.

جمال - محمد ١١٣ ح.

جميل بن معمر ١٠٥.

ح

حاتم الطائي ١٠٦.

حاجب بن زرارة ١١٦، ١٧٠.

الحارث بن همام الشيباني ٧٠.

الحبال - حسين ١١٣ ح.

حبيب، حبيب بن أوس = أبو تمام

حبيش المعافى ١٢٢.

حسان بن ثابت ١٠٥.

الحسن بن بشر = الأمدى

الحسن بن هاني = أبو نواس

الحسن بن سهل ١٢٢.

الحسن بن علي بن مرة ١٢٢.

الحسن بن وهب ٣٤، ٣٥، ١٢٢، ١٢٩.

حفص (بن عمر الأزدي) ٤٦، ٧٤.

حنظلة بن ثعلبة ١٧٠ م.

حيدر بن كاوس = الافشين

خ

الخارزنجي ١١٠.

خالد الكاتب ١٠٢.

خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني ٤٥،

١١٧، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩.

خالد بن يزيد بن المهلب ٤٥ م.

الخالديان ١١٠، ١٠٨.

الخطيب التبريزي = التبريزي

خزيمة بن خازم ١٦٢ م.

الخفاجي ٨٠.

الخنساء ١٠٥.

خوفو ١٦.

الخياط - جعفر = جعفر الخياط

الخياط - الشيخ محيي الدين ٢٤ ح،

١١٣، ١٢٢، ١٣٢، ١٤٢.

خيزر = حيدر بن كاوس الافشين

د - ذ

داني ٥٦.

داوود بن داوود الطائي ١٢٢.

دعبل ٦٩-٧١، ٩٩-١٠٠، ١٠٢، ٣١.

ديك الجن ٢٥، ٣٦، ٣٥، ٣٨، ٣٩،

٦٩، ٨٥، ٩١.

ذقافة العبسي ٧٠-٧١.

ذو الرمة = غيلان مية

سليمان بن وهب ١٠٣، ١٢٢.

السموأل ١٠٥ .

السميسطائي ١٠٠ .

سهم بن أوس ٣٧ .

سيد الأهل - عبدالعزير ٨٦ .

سيف الدولة ١٠٨ .

ش

شاكر - محمد محمود ٣٨ .

الشجري = ابن الشجري

الشريف الرضي ٩١ .

الشريف المرتضى ١٠١ .

شكبير ٥٦ .

شميم الحلبي ١٠٩ .

شوقي = احمد شوقي

شيخو - لويس ٢٣، ٢٦.

ص

صاحب الاغانى = ابو الفرج الاصفهاني

صالح بن عبدالله الهاشمي ١٣١ .

صدر الدين البصري ١٠٨ .

صريع الغواني = مسلم بن الوليد

صهيب بن أبي صهباء ٤٠، راجع

الحاشية ٢ .

الصولي - أبو بكر ٢٧-٢٨، ٤٠، ٥٨

٧١، ٧٢-٧٣، ١٠١، ١٠٦، ١٠٧

ربّ الثار ٧٦ .

رتر ٢٢ ح .

الرسول = محمد رسول الله .

الرصافي - معروف ٩٦ ح .

رعميس الثاني = ابن سبي

رقاش بنت جذيمة ١٢٣ .

روفائيل ١٥ .

ز

الزيات - أحمد حسن ٨٥ .

زهير بن أبي سلمى ٥٦، ٦٤، ٨٩، ٩٨ .

زياد بن حمل ١٠٥ .

زيدان - جرجي ٨٥ .

س

سدوس ٢٢ ح .

السري الرفاء ١٠٣ .

سعاد ٦١ .

السفاح العباسي ١١٦ .

السكري ٦٤ ح .

سلام - عبدالرحمن ١١٣ ح .

سلامة بن جابر النهدي ٤٠ .

سليمان بن نصر ٢٦ .

١٠٩-١١٠، ١١١.

الصولي (لعله هو أو آخر) ١٠٦ ح .

١١٣ .

ض

ضومط - جبر ٦٠ .

ضيف - شوقي ٨٦ .

الطائي = أبو تمام

الطائيان = أبو تمام والبحري ٨٦ م .

طاهر بن الحسين ٣١ م .

طرفة ١٠٥ .

الطرماح بن حكيم ٥٦ .

طوقان - ابراهيم ١١٤ ح .

ع

العباس بن الاحنف ١٠٥ ، ١١٢ .

عبد السلام بن رغبان = ديك الجن .

عبد الصمد بن المعذل = ابن المعذل

عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ٤٥ م

عبد الكريم ١٠٠ .

عبد الكريم الطائي ٢٥ م .

عبد الله الدامغاني ٣١ .

عبد الله بن طاهر ٣٠ م ، ٣٢ ، ٤٦ م ، ٩٤

٥١ م ، ٥٢ م ، ٥٥ م ، ٦٦ ، ١٠٤

١١٨-١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢

١٤٥-١٥١ .

- (ابنان له) ١٢٨ .

عبد الله الكاتب ١٠٢ ، ١٣٢ ح .

عتبة بن أبي عاصم ١٠٢ ، ١٣٢ .

عتبة بن أبي عبد الكريم الطائي ٢٥ م .

عثمان بن المثني القرطبي ١١٢ .

عدى العديين = عدى بن نصر بن ربيعة

١٢٣ م .

العديل بن القرخ ١٠٥ .

عروة بن الورد ١٠٦ .

عزّام - محمد عبده ١٠١ ح ، ١٠٩ ح .

عساكر - خليل محمود ١٠١ ح .

العطاف بن هرون ٤٠ .

عطية - شاهين ٢٤ ح .

علي بن أبي طالب ٤١-٤٢ ، ٨٣ ح ،

١٢٢ ، ١٣٣ ح .

علي بن أبي الفرج = صدر الدين البصري

علي بن الجهم ٣٥ ، ٧١ ، ٨٤ ، ١١٩ .

علي بن حمدان = سيف الدولة

علي بن حمزة الاصفهاني ١٠٩ ، ١١٣

علي بن محمد بن بسام ١١٩ .

علي بن مرة ١٢٢ .

عمارة بن عقيل ٦٥ .

عمر بن أبي ربيعة ١٩ ، ٩٠ م .

عمر بن طوق ١٢٢ .

عمر بن عبد العزيز الطائي ١٢٢ .

ق

القاسم = أبو دلف العجلي

قسطنطين ٢٢ ح .

قسطة = قسطنطين

القطربلي ١٠٠ .

قلاية الجرمي ٤٠ .

القلمس ١٢٣ م .

ك

كرامة بن أبان ٤٠ .

كسرى ١٧٠ م ، ١٧٥ م .

كعب بن زهير ٦٤ م .

الجيم ١٦٩ م .

م

مازيار ٥١ م .

مالك بن الحارث النخعي ٨٣ ح .

مالك بن دهم ٤٠ .

مالك بن طوق ٣٣ ، راجع ١٢٠-١٢١

المأمون ٣٠ ح ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٤٩ ، ٥٠ م ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ،

١٢٢ م ، ١٢٧ ح ، ١٤٥ م ، ١٥٢ ،

١٦٦ .

المبارك بن أحمد = ابن المستوفى

المتني ٩١ م ، ٩٨ م ، ١٣٩ م .

عمرو بن عدى ٢٩ ، ١٢٣ م .

عمرو بن العاص ٢٧ م .

عمرو بن كلثوم ٨٨ ، ١٠٥ .

عمرو بن مسعدة ١٠٣ .

عمرو بن هاشم السروي ٤٠ .

عمير بن الوليد ٣٠ .

عنزة ٦٤ ، ٧١ ، ٨٨ ، ١٠٥ .

عياش بن هبة ٢٧-٢٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،

١٣١ ، ١٣٢ .

عيسى بن مريم ٣٦ .

غ

غالب بن عبد الحميد الصغدني ١٢٢ ،

١٢٨ .

غوته ٥٦ .

غيلان ١٧٧ م .

ف

فاطمة ٤١ ح .

الفتح (غلام أبي تمام) ٣٦ .

الفرزدق ٩٨ ، ١٠٥ .

الفضل بن صالح ١٢٢ .

فنلاي ١٧٩ ح ، ١٨٠ .

فيرجيل ٥٦ .

محمد بن وهب ١٠٢ .
 محمد بن يوسف الثغري = ابو سعيد
 الثغري
 مخلد بن بكار ١٠٢، ٣٦ .
 المرزباني ١٠٠ .
 المرزوقي ٨٦، ٨٩، م ١٠٦، ١١٠ م .
 مرغوليوس ٢٢ ح .
 مسلم بن الوليد ١٥ م، ٢٦، ٥٦، ٦٩ م،
 ٨٠ م، ٨٥، ٩١، ٩٨ م، ١٠٥ .
 مطر (من أسلاف بني شيبان) ١١٧ .
 مطيع بن اياس ٣٩ .
 معاوية (بابك الحرمي ؟) ١٥٩ م .
 معبد بن وهب ١٦٣ م .
 المعتصم ٣١ م، ٣٢ م، ٣٣، ٣٤، ٤٩، ٥٠،
 ٥١ م، ٥٢، ١١٦ (المعصوم)،
 ١١٨ ح، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨ .
 ١٥٩-١٦٠ ح، ١٦٦، ١٧١ م
 ١٨٣ .
 (أم المعتصم ٥١) .
 المعري ٩١، ١٠٣، ١١٠ م .
 المعصوم = المعتصم ١١٦ .
 معن (من أسلاف طي) ٢٩ .
 المقدسي - أنيس ٤٤، ١٢٢ ح .
 المنخل بن الحارث البشكري ١٠٥ .
 المنصور العباسي ٤٧، ١١٦ .
 المهدي العباسي ١١٦ .

المحبر = زهير بن أبي سلمى
 محمد رسول الله ٤١-٤٢، ٨٥، م ٧٦،
 ١١٦ م، ١١٧، ١٣٣ ح، ١٧٠ ح
 محمد (ابن أبي تمام) ٣٧ .
 محمد بن أبي يزيد ١٠٢، ١٣١ .
 محمد بن بسام الضبي ١٢٢ .
 محمد بن الحسن الشاعر ١٠٢ .
 محمد بن حميد الطوسي ٧١، ١٢١ :
 ١٢٥-١٢٧، ١٢٨ م، ١٣١ .
 ١٥٢-١٥٦، ١٥٨ م .
 محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني
 ٤٠، ١٢٢ .
 محمد بن شقيق الطائي ١٢٢ .
 محمد بن عبد الملك التزيات ٣٢، ٣٥،
 ٨٢، ٨٤، ١٠٣، ١١٩، ١٢١،
 ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦ .
 محمد بن عبد الملك بن صالح ١١٧، ١٢٢
 محمد بن الفضل الحميري ١٢٨ .
 محمد بن القاسم بن عمر العلوي ٤٩ م .
 محمد بن قريش ٩٧ ح .
 محمد بن الهيثم بن شبانة^١ ٥٦ ح، ٩٥،
 ١٢٢ .

(١) شياخة خ ٥٥، اخبار أبي تمام ١٨٨،
 حاشية ٤ عن مروج الذهب ؛ شبانة
 ت ٢٨٦: ١ .

المهلهل ١٠٥ .

موسى ٤١-٤٢، راجع ١٢٠ ح .

موسى بن ابراهيم الرافقي = ابوالمغيث
الرافقي

موسى بن جابر الحنفي ١٠٦ .

ميكالانجلو ١٥ .

مينا ١٥ .

مية بنت طلحة ١٧٧ م .

ن

النابة الذبياني ٦٨، ٩٨، ١٠٥ .

النبي = محمد رسول الله .

نصر بن منصور بن بسام ١٢٢ ،

النصيبي ١٠٠ .

نظير الاسلام ١٠١ ح .

نيكل - ع . ر . ١١٤ ح .

ه

هالي ١٧٤ ح .

هارون - عبد السلام محمد ١٠٦ ح .

هرون (بن عمران) ٤١ - ٤٢ .

هرون الرشيد ٤٧، ٩١ .

هرون بن عبد الله المهلي ٦٩ .

و

الواثق ٣٤، ٥٢، ١١٥-١١٦، ١٢٢ .

١٢٨ .

وحيد المغنية ١٨ .

الوليد (شاعر) ١٠٢ .

الوليد بن عبد الملك ٤٥ ح .

وهب (من أسلاف طيء) ٢٩ .

ي

ياقوت ٢١ م، ١٠١ م .

يحيى بن اسماعيل الاموي ٤٠ .

يحيى بن ثابت ١٢٢ .

يحيى بن عبد الله ٨٣ م .

يزيد بن الحكم ١٠٥ .

يزيد بن مزيد الشيباني ١٦٢ م .

يوسف السراج ٣٠، ٤٤، ٤٦، ١٠٢ .

يوسف (بن يعقوب) ١٤٥ م .



دراسات وكتب للمؤلف

دراسات قصيرة

الشمس بالقرش اللبناني

- | | | |
|-----|--------------------|--|
| ٤٠ | (الطبعة الثانية) | ١ - الحجاج بن يوسف |
| ٧٥ | (الطبعة الثانية) | ٢ - عمر ابن ابي ربيعة |
| ٤٠ | (الطبعة الثانية) | ٣ - عبد الله بن المقفع |
| ١٠٠ | (الطبعة الثانية) | ٤ - الرسائل والمقامات |
| ٥٠ | (الطبعة الثانية) | ٥ - ابن الرومي |
| ٦٠ | (الطبعة الثانية) | ٦ - احمد شوقي |
| ٥٠ | (الطبعة الثانية) | ٧ - ابن خلدون |
| ٧٥ | (الطبعة الثانية) | ٨ - أثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية |
| ١٢٥ | (الطبعة الثانية) | ٩ - شعراء البلاط الأموي |
| ١٠٠ | (الطبعة الثانية) | ١٠ - الفارابيان : الفارابي وابن سينا |
| ١٠٠ | (الطبعة الثانية) | ١١ - اربعة ادباء معاصرون |
| ١٥٠ | (الطبعة الثانية) | ١٢ - خمسة شعراء جاهليون |
| ١٢٥ | (الطبعة الثانية) | ١٣ - بشار بن برد |
| ٥٠ | (الطبعة الثانية) | ١٤ - نهج البلاغة |
| ١٥٠ | (الطبعة الثانية) | ١٥ - اخوان الصفا |
| ١٠٠ | (الطبعة الثانية) | ١٦ - ابن باجه |
| ١٠٠ | (الطبعة الثانية) | ١٧ - ابن طفيل |
| ٢٠٠ | | ١٨ - التصوف في الاسلام |
| ١٥٠ | | ١٩ - الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب |
| ١٠٠ | | ٢٠ - موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية |
| ١٥٠ | | ٢١ - ابو فراس |
| ١٥٠ | | أبو نواس |
| ٢٥٠ | | العرب والفلسفة اليونانية |
| ٢٠٠ | (الطبعة الثانية) | حكيم المعرة (نقل الى الفارسية) |
| ٥٠٠ | | وثبة المغرب |
| ٢٠٠ | | ابو العلاء المعري |

- ٣٠٠ عبقرية العرب في العلم والفلسفة (نقل الى اللغة الانكليزية)
- ١٥٠ الاسلام على مفترق الطرق (الطبعة الرابعة)
- ١٠٠ نحو التعاون العربي
- (نقد) دفاعاً عن العلم
- ٥٠ دفاعاً عن الوطن
- ٤٠٠ الأسرة في الشرع الاسلامي
- 1000 -- Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Hagra bis zum Tode Umars, 1 - 23 d. H. (600 - 644 n. C. Leipzig 1937.
- ٢٥ الاسئلة الثلاثة (مشهد شعري تمثيلي للمدارس الابتدائية)
- (نقد) باكستان دولة ستعيش
- التبشير والاستعمار في البلاد العربية وبلاشترك مع الدكتور مصطفى
- ٣٠٠ خالدي) (نقل الى اللغة الروسية) (الطبعة الثالثة)
- ١٥٠ الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط
- ٣٠٠ شاعران معاصران : ابراهيم طوقان و ابو القاسم الشابي
- ٣٠٠ العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط
- ٤٠٠ العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط
- ٢٠٠ المنهاج في الادب العربي وتاريخه (للسنة الرابعة الثانوية)
- ٣٥٠ المنهاج في الادب العربي وتاريخه (للسنة الخامسة الثانوية)
- ٥٠٠ المنهاج في الادب العربي وتاريخه (للسنة السادسة الثانوية)
- (الكتب الثلاثة الأخيرة موضوعة حسب المنهاج الرسمي اللبناني)
- ٢٥٠ الشابي شاعر الحب والحياة
- ٣٠٠ القومية الفصحى
- ١٠٠٠ تاريخ الفكر العربي
- ١٥٠ صفحات من حياة الكندي
- ٣٥٠ ابو تمام

